موسيقى الشعر العربي

محمد محمود السيد أحمد

obeikandl.com

obeikandl.com

موسيقى الشعر العربي

محمد محمود السيد أحمد

obeikandl.com

أحمد، محمد محمود السيد

موسيقى الشعر العربي / محمد محمود السيد أحمد (نزار شاهين. مستعار).- ط٠١ – الجيزة : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ، ٢٠١٢

٣٢٨ صفحة – ٢٤سم

تدمك، ١ ٢٢٩ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١-الأوزان الشعرية
أ- العنوان

٤١٦

obeikandl.com

موسيقى الشعر العربي

محمد محمود السيد أحمد

obeikandl.com

رئيس مجلس الإدارة

عـــادل المصـــرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

حسام حسين

رقم الإيداع

٢٠١٢/١٩٨٥٨

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٢٢٩-١

الطبعة الأولى

مطابع الخطيب

الكتـــاب : موسيقى الشعر العربي

المؤلـــف : محمد محمود السيد أحمد

الغلاف : أحمـــــــد فكـــرى

الناشـــر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

obeikandl.com

مُوسِيقَى الشِّعْرِ العَرَبِيِّ

عِلْمُ العَرُوض وَالقَوَافِي

وَيَلِيه

﴿ نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ المَهْمُوس ﴾

الدُّكْتُور مُحَمَّد مَنْدُور

[١٩٠٧ ـ ١٩٦٥م]

رُؤْيَةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ تَجْدِيدِيَّةٌ... لِنَظَرِيَّةٍ إِبْدَاعِيَّةٍ قَدِيمَة

قَصِيدَة ﴿ المُومِسُ العَمْيَاء ﴾

لِلشَّاعِرِ العِرَاقِيِّ بَدْر شَاكِر السَّيَّاب

أُنْمُوذَجَاً

لِلنَّاقِدِ الشَّاب

نِزَار شَاهِين

obeikandl.com

أُصُولُ الشِّعْرِ العَرَبِىِّ

obeikandl.com

تنبيه

كِتَابٌ قَدْ حَوَى دُرَرَاً
بِعَيْنِ الحُسْنِ [مَنْظُورَهْ]
لِهَذَا قُلْتُ تَنْبِيهَاً :
[سِهَامُ الغَصْبِ مَحْظُورَهْ] (١)

أَبُو نِزَار المِصْرِىّ

(١) ـ ما بين المُعقَّفات من كلمات ؛ إنما هى من كيسى : [أَبُو نِزَار] .

obeikandl.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ؛

وَصَلَّى اللهُ عَلَى محمَّدٍ وَعَلَى أَبَوَيْهِ

إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيراً

obeikandl.com

❁ ـ تَصْـدِير

وَرُوِّعْـتُ حَتَّى مَـا أُرَاعُ مِـنَ النَّـوَى
.....؛ وَإِن بَـانَ جِيـرَانٌ عَـلَىَّ كِـرَامُ
فَقَد جَعَلَت نَفْسِى عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِى
..؛ وَعَيْنِى عَـلَى فَقْـدِ الـحَبِيبِ تَنَـامُ

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

obeikandl.com

۞ ـ مَدْخَلٌ

« أَمَّا الشِّعْرُ ؛ فإنَّه ديوان الأدب ؛ وفخر العرب ؛ وبه تُضرَب الأمثال ؛ ويفتَخِر الرِّجالُ على الرِّجال ؛ وهو قيدُ المناقبِ ؛ ونظامُ المحاسنِ ؛ ولولاهُ لضاعَت جواهرُ الحِكَم ؛ وانتشرت نجومُ الشَّرَفِ ؛ وتهدَّمت مبانى الفضل ؛ وأقوَت مرابِعُ المجدِ ؛ وانطمسَت أعلامُ الكرم ؛ ودرَست آثارُ النِّعَم ؛ شرَفُه مخلَّدٌ ؛ وسُؤدُدُه مجدَّدٌ ؛ تَفْنى العصورُ وذِكرُه باق ؛ وتهوى الجبالُ وفخرُه الى السَّماء راق ؛ ليس لما أثْبَتَه ماح ؛ ولا لَمَن أعذَرَه لاح .

مات سُحَيمٌ عبدُ بنى الحَسْحَاس ؛ وله ذِكرٌ أضْوَعُ من المسك ؛ وأنضرُ من الآسِ ؛ ولولا الشِّعرُ لما عُرِف ؛ ولا بالإجادةِ وُصِف ؛ وكم فى بنى حام ؛ من مجهول طَغام ؛ ولا يُذكَر ؛ ولا يُشْكَر. ».

أبو علىّ

المُظفَّرُ بن الفضل بن يحيى

العلوىُّ ؛ الحُسَينىُّ ؛ العراقىُّ

« ت سنة ٦٥٦هـ »

« نُضْرَة الإغْرِيض فِى نُصْرَة القَرِيض »

أُصُولُ الشِّعْرِ العَرَبِىِّ

obeikandl.com

۞ ـ كَلِمَةٌ قُبَيْلَ الشُّرُوع :

بسم الله الرحمنِ الرحيم

« أسألُ اللهَ الذى عَدَّلَ موازينَ قِسطِه ؛ وعايرَ مكاييل قَبضِه وبسطِه ؛ ودعا فى كتابه بالويل ؛ على المُطفِّفين فى الكيل ؛ وكرَّه لعباده السَّرَف والبخس ؛ وحظر عليهم الشَّطط وَالوَكْس : أن يحملنى على السَّويَّةِ فيما أُورد وأُصْدِر ؛ والاقتصاد فيما آتى وأذر ؛ ويأخذَ بيدى ؛ إلى وزن الأمور بميزان العقل السَّليم ؛ فإنه المعيار المُعتدل ؛ والقسطاس المُستقيم ؛ حتى أكون من القائمين على الحَقِّ وبهِ ؛ والذاهبين عن الصواب وإليهِ .

وأحمده ؛ وَأُصَلِّى على خير خلقه ؛ مُحَمَّدٍ ؛ وآله ؛ وعلى الذين انتهجوا منهجهم فى بدء الأمر ومآله . » . (١) .

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

لِمَنْ دَارٌ... ؛ وَرَبْعٌ قَد تَعَفَّى
بِنَهْرِ الكَرْخِ مَهْجُورُ النَّوَاحِى؟!
إِذَا مَا القَطْرُ حَلاَّهُ تَلاقَت
عَلَى أَطْلاَلِهِ أَيْدِى الرِّيَاحِ

(١) - مُقدِّمة « القسطاس فى علم العروض » لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر ابن أحمد ؛ الزمخشرىِّ « ت سنة ٥٣٨هـ » .

مَحَاهُ كُلُّ هَطَّالٍ مُلِحٍّ .....
؛ يِوَبْلٍ مِثْلِ أَفْوَاهِ الجِرَاحِ
فَبَاتَ يِلَيْلٍ بَاكِيَةٍ ثَكُولٍ ؛
ضَرِيرِ النَّجْمِ مُتَّهَمِ الصَّبَاحِ !!

...

مَاذَا أَقُول !!... ؛ لَسْتُ أَدْرِى مَا أَقُول ؟!.

آسِفٌ جِدًّا !! آسِفٌ جِدًّا أَيُّهَا العُمُرُ الذَّابِل !!.

آسِفٌ جِدًّا لأَنِّى !!... ؛ آسِفٌ جِدًّا لأَنِّى !!... ؛ ضَاعَ عُمْرِى فِى التَّمَنِّى !! ... ؛ كُلُّ أَحْلامِى تَلاشَت !!... ؛ كُلُّ شَىءٍ ضَلَّ مِنِّى !!... ؛ مَا بَقِى غَيْرُ القَصَائِد !!... ؛ مَحْضُ مَأْسَاةٍ تُغَنِّى !!... ؛ كُلُّ آمَالِى تَهَاوَت !!... ؛ كُلُّ أَمْرٍ غَابَ عَنِّى !!... ؛ مَا غَدَا يِالأَرْضِ إِلاَّ !! ... ؛ غَيْرُ شَيْطَانِى وَجِنِّى !!... ؛ أَمَّا حُبِّى وَالأَمَانِى !!... ؛ إِنَّهَا عَيْنُ التَّعَنِّى !!... ؛ لَيْسَ عِنْدِى فِى حَيَاتِى !! ... ؛ غَيْرُ أَشْعَارِى وَفَنِّى !! .

...

وَبَعْدُ !! ؛ فَإِلَى مَتَى ؟! ؛ إِلَى مَتَى سَيَطُولُ هَذَا الأَمْر ؟! ؛ فَالآمَالُ الَّتِى تَبْعَثُ عَلَى الصُّمُودِ وَالنِّضَالِ قَد تَولَّت !! ؛ وَالكُرُوبُ والخُطُوبُ لَم تَزَل يِأَرْضِىَ لا تَرْغَبُ فِى ذَهَابٍ أَو مُهَادَنَةٍ !! .

فِلِمَاذَا ؟!... ؛ لِمَاذَا ؟!... ؛ لَسْتُ أَدْرِى !!.

...

اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْـأَلُكَ دَوَامَ العِـصْمَةِ وَالتَّأْييـد ؛ وَأَعُوذُ بِـكَ مِـن الخِـزْى وَالخِذْلان ؛ إِنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ القَادِر ؛ وَأَنْتَ العَلِيمُ بِمَا تُكِنُّ الأَنْفُسُ وَمَا تُخْفِى الصُّدُور ؛ سُبْحَانَكَ رَبَّنَا لا إِلَهَ سِوَاك .

obeikandl.com

❁ ـ تَوْطِئَةٌ

...

ـ مَقْصِدٌ:

قَالَ أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا؛ الحسنىُّ العلوىُّ «ت سنة ٣٢٢هـ» فى «عيَّار الشِّعْر»: (ص: ٥ ـ ١٥):

«ـ مَفْهُومُ الشِّعْر:

الشِّعْرُ ـ أَسْعَدَكَ اللهُ ـ كلامٌ منظومٌ؛ بَان عَن المنثور الَّذِى يَسْتعملُهُ النَّاس فِى مخاطباتهم بِمَا خُصَّ بِهِ من النَّظم الَّذِى إنْ عُدِل بِهِ عَن جِهَتِهِ مَجَّتْهُ الأسْمَاعُ وفَسَدَ على الذَّوْق.

ونَظْمُهُ معلومٌ محدودٌ؛ فَمَن صَحَّ طَبْعُهُ وذَوْقُهُ لم يَحْتَج إِلَى الاستعانَةِ على نَظْمِ الشِّعر بالعَرُوض الَّتِى هِىَ مِيزَانه؛ وَمن اضطَرَب عَلَيْهِ الذَّوقُ لم يَسْتَغْنِ عَن تَصْحيحهِ وتَقْويمِهِ بِمَعْرِفَةِ العَروضِ والحِذْقِ بهَا حَتَّى تَصير معرفَتُهُ المُسْتفادةُ كالطَّبع الَّذِى لا تَكَلُّفَ مَعَه.

...

ـ أدَوَاتُ الشِّعْر:

وللشِّعر أدواتٌ يجبُ إعدادُهَا قَبْلَ مَرَامِهِ وتكَلُّف نَظْمِه؛ فَمَنْ نَقُصَت عَلَيْهِ أداةٌ من أدواتهِ لم يَكْمُل لَهُ مَا يَتَكَلَّفُهُ مِنْهُ؛ وبَانَ الخَلَلُ فِيمَا يَنْظمهُ؛ ولحِقَتْهُ العُيوبُ من كلِّ جِهَةٍ.

فَمِنْهَا : التَّوَسُّعُ فِى عِلْمِ اللُّغة ؛ والبراعةُ فِى فَهْمِ الإِعرَاب ؛ والرِّوايةُ لفُنُونِ الآدابِ ؛ والمعرفةُ بأيَّام النَّاس وأنْسَابِهم ومَنَاقِبهم وَمَثَالِبِهِم ؛ والوقوفُ على مَذَاهب العَرَبِ فِى الشِّعْر ؛ والتَّصَرُّفُ فِى مَعَانِيه فِى كلِّ فَنٍّ قَالَتْهُ العَرَبُ فِيهِ ؛ وسُلوكُ مناهجها فِى صِفَاتِهَا ومُخَاطَبَاتِهَا وحِكَايَاتِهَا وأمْثَالِهَا ؛ والسَّنَنِ المستعملة مِنْهَا ؛ وتَعْرِيضِها وتَصْرِيحِها ؛ وإطنابِهَا وتَقصيرِهَا ؛ وإطالتِهَا وإيجازهَا ؛ ولُطِفْهَا وخَلاَبتِها ؛ وعُذُوبة ألفاظِها ؛ وجِزالَةِ مَعَانيها ؛ وحُسْن مَبَاديها ؛ وحَلاوةِ مَقَاطِعها ؛ وإيفَاء كل مَعْنىً حَظَّهُ من العبَارة ؛ وإلبَاسُهُ مَا يُشَاكِلُهُ من الأَلْفاظ ؛ حَتَّى يَبْرُزَ فِى أَحْسَنِ زِىٍّ وأَبْهَى صُورَة ؛ واجتناب مَا يَشِينُهُ من : سَفْسَافِ الكَلام ؛ وسَخيفِ اللَّفْظِ ؛ والمَعَانى المُسْتَبْرَدَةِ ؛ والتَّشْبيهاتِ الكاذبة ؛ والإِشاراتِ المَجْهولة ؛ والأَوْصاف البَعيدةِ ؛ والعبارات الغَثَّة ؛ حَتَّى لا يكونَ مُلَفَّقاً مَرْقُوعاً ؛ بل يكونُ كالسَّبيكة المُفْرَغَةِ ؛ والوَشْى المُنَمْنَم ؛ والعِقْد المُنَظَّم ؛ والرِّيَاضِ الزَّاهرة ؛ فتُسابِقُ معانيهِ ألفاظَهُ ؛ فَيَلْتَذُّ الفَهْمُ بِحُسْنِ مَعَانِيه كالتِذَاذِ السَّمْعِ بموزِنِ لَفْظِه ؛ وتكونُ قَوَافيهِ كالقَوَالبِ لمعانيه ؛ وتكونُ قَوَاعِدَ للْبِنَاء يَتَرَكَّبُ عَلَيْهَا ويَعْلو فوْقَها ؛ ويكونُ مَا قبْلهَا مَسبُوقاً إِلَيْهَا وَلا تكون مَسْبُوقَةً إِلَيْهِ فَتَقْلَق فِى مَوَاضِعها ؛ وَلا تُوافِق مَا يَتَّصِلُ بهَا ؛ وَتَكون الألفاظُ مُنْقَادَةً لما تُرَادُ لَهُ ؛ غَيْرَ مُسْتَكرَهَةٍ وَلا مُتْعَبَةٍ ؛ مُخْتَصَرةَ الطُّرق ؛ لَطِيفةَ المَوَالِج ؛ سَهْلَةَ المَخَارج.

وَجَماعُ هَذِه الأدوات : كمالُ العَقْلِ الَّذِى بِهِ تَتَميَّزُ الأضدادُ ؛ ولزومُ

العَدْل ؛ وإيثارُ الحَسَنِ ؛ واجتنابُ القَبيحِ ؛ ووَضْعُ الأشْياءِ مَوَاضِعَهَا.

...

ـ بِنَاءُ القَصِيدَة :

فإذاَ أرَادَ الشَّاعِرُ بناءَ قَصيدةٍ ؛ مخَّضَ المَعْنى الَّذِى يُريد بِنَاءَ الشِّعر عَلَيْهِ فِى فِكْرِهِ نَثْراً ؛ وأعَدَّ لَهُ مَا يُلْبسُهُ إيَّاهُ من الأَلْفَاظ الَّتِى تُطَابِقُهُ ؛ والقوافى الَّتِى توافِقُهُ ؛ والوَزْنِ الَّذِى سَلَسَ لَهُ القَوْلُ عَلَيْهِ ؛ فَإذا اتَّفَقَ لَهُ بيتٌ يُشَاكِلُ المَعْنَى الَّذِى يرومُهُ أثْبَتَهُ وأعْمَلَ فِكْرَهُ فِى شُغْل القوافى بِمَا تَقْتَضِيهِ من الْمعَانِى على غير تَنْسِقٍ للشِّعرِ وتَرْتيبٍ لفُنونِ القَوْلِ فِيهِ ؛ بل يُعَلِّقُ كلَّ بيتٍ يَتَّفِقُ لَهُ نَظْمُهُ على تَفَاوُتِ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ مَا قبلَهُ ؛ فَإذا كَمُلَت لَهُ المَعَانى ؛ وكَثُرت الأبياتُ ؛ وَفَّقَ بَينهَا بأبياتٍ تكونُ نظاماً لَهَا ؛ وسِلْكاً جَامعاً لما تشَتَّتِ مِنْهَا.

ثمَّ يتأمَّلُ مَا قد أدَّاه إِلَيْهِ طَبْعُهُ ونَتَجَتْهُ فِكْرَتُهُ ؛ فَيَسْتَقْصِى انتقادَهُ ؛ ويَرُمُّ مَا وَهَى منهُ ؛ وَيُبْدِلُ بكُلِّ لَفْظَةٍ مُسْتكرهَةٍ لَفْظَةً سَهْلةً نَقِيَّةً.

وإن اتَّفَقَت لَهُ قافيةٌ قد شَغَلَهَا فِى مَعْنىً من الْمعَانِى ؛ واتَّفَقَ لَهُ مَعْنىً آخر مُضَادٌّ للمعنى الأوَّل ؛ وكانَت تَلك القَافيةُ أوْقَعَ فِى المَعْنى الثَّانى مِنْهَا فِى المَعْنى الأوَّل ؛ نَقَلها إِلَى المَعْنى الْمُخْتَار الَّذِى هُوَ أحسَنُ ؛ وأبْطَلَ ذَلِكَ البَيْت ؛ أَو نَقَضَ بعضَهُ ؛ وطَلَبَ لمعنَاهُ قافيةً تُشَاكِلُهُ ؛ ويَكون كالنَّسَّاج الحاذِق الَّذِى يُفَوِّفُ وَشْيَهُ بأحسَنِ التَّفْويفِ ويُسَدِّيه ويُنيرُهُ ؛ وَلا يُهَلْهِلُ شَيْئاً منهُ فَيَشِينهُ ؛ وكالنَّقَّاش الرَّقيقِ الَّذِى يَضَعُ الأصْبَاغَ فِى أَحْسَنِ تَقَاسِيمِ نَقْشِهِ ؛

ويُشْبِعُ كُلَّ صِبْغٍ مِنْهَا حَتَّى يتضاعَفَ حُسْنُهُ فِى العَيَانِ ؛ وكناظِمِ الجَوْهر الَّذِى يُؤَلِّفُ بَين النَّفيسِ مِنْهَا والثَّمينِ الرَّائق ؛ وَلا يشينُ عُقودَهُ بأن يُفَاوتَ بَين جواهِرِهَا فِى نَظْمها وتَنسيقها ؛ وَكَذَلِكَ الشَّاعرُ إِذا أسَّسَ شِعْرَهُ على أَن يَأْتِى فِيهِ الْكَلام البَدَوىُّ الفَصيح ؛ لم يَخْلط بِهِ الحَضَرِىِّ المُوَلَّد.

... ؛ وَكَذَلِكَ إِذَا سَهَّلَ أَلفاظَهُ ؛ لم يَخْلِط بهَا الألفَاظَ الوَحْشِيَّةَ النَّافرةَ الصَّعْبَةَ القِياد ؛ ويقفُ على مَرَاتِب القَوْلِ والوَصف فِى فَنٍّ بَعْدَ فَنٍّ ؛ ويتَعَمَّدُ الصِّدقَ... فِى تَشْبيهاته وحِكَايَاتِه ؛ ويُحْضِرُ لُبَّهُ عندَ كلِّ مُخاطبةٍ وَوَصْفٍ ؛ فَيُخَاطبُ الملوكَ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ من جَليلِ المُخَاطباتِ ؛ ويَتَوقَّى حَطَّهَا عَن مَرَاتبها ؛ وأَنْ يَخْلطَهَا بالعَامَّةِ ؛ كَمَا يَتَوقَّى أَن يرفَعَ العَامَّةَ إِلَى دَرَجَات المُلُوك.

وَيُعِدُّ لكُلِّ مَعْنىً مَا يَلِيق بِهِ ؛ ولكُلِّ طَبَقَةٍ مَا يُشَاكِلُهَا ؛ حتَّى تكون الاستفادةُ من عقلهِ فِى وَضْعِه الكَلامَ مواضِعَهُ أكْثَرَ من الاستفَادةِ من قَوْلِه فِى تَحْسِين نَسْجِهِ وإِبدَاعِ نَظْمِهِ.

ويَسْلكُ مِنْهَاجَ أصْحَاب الرَّسائل فِى بَلاغَاتهم وتَصَرُّفهم فِى مُكَاتَباتهم ؛ فإنَّ للشِّعْرِ فُصُولاً كفُصُول الرَّسَائل ؛ فيحتَاجُ الشَّاعِرُ إِلَى أنْ يَصِلَ كلامَهُ ـ على تَصرُّفِهِ فِى فُنُونِه ـ صِلَةً لَطِيفَةً ؛ فيتخلَّصُ من الغَزَل إِلَى المَدِيح ؛ وَمن المَدِيح إِلَى الشَّكْوَى ؛ وَمن الشَّكْوَى إِلَى الاستماحَة ؛ وَمن وَصفِ الدِّيَار والآثَارِ إِلَى وَصْفِ الفَيَافى والنُّوق ؛ وَمن وَصْفِ الرُّعُود والبُروق إِلَى وَصْفِ الرِّياض والرُّوَّاد ؛ وَمن وَصْفِ الظِّلْمَان والأعْيار إِلَى وَصْفِ الخَيْلِ والأسْلحِة ؛ وَمن

وَصْفِ المفاوز والفَيافى إِلَى وَصْف الطَّرْدِ والصَّيْدِ ؛ وَمن وَصْفِ اللَّيل والنُّجوم إِلَى وَصْفِ المَوَارد والمِيَاه والهَوَاجر والآل والحَرَابى وَالجَنَادِب ؛ وَمن الافْتِخَار إِلَى اقْتِصَاصِ مَآثِر الأسْلاف ؛ وَمن الاسْتِكانَةِ والخُضُوع إِلَى ... الاسِتْعَتاب والاعْتِذَار ؛ وَمن الإِباء والاعتيَاص إِلَى الإجابَةِ والتَّسَمُّح بأَلْطَفِ تَخَلُّصٍ وأحْسَن حكايةٍ بِلا انفصالٍ للمَعْنَى الثَّانى عَمَّا قبلَهُ ؛ بل يكونُ مُتَّصِلاً بِهِ ومُمْتَزِجاً معهُ ؛ فَإِذا استَقْصَى المَعْنى وأحَاطَ بالمراد الَّذِى إِلَيْهِ يَسُوق القَوْلَ بأيْسَرِ وَصْفٍ وأخَفِّ لَفْظٍ لم يَحْتَج إِلَى تطويلهِ وتكريرِهِ.

...

ـ تَفَاضُل الأشْعَار :

والشِّعرُ على تَحْصيل جِنْسِهِ ومَعْرفةِ اسمهِ : مُتَشابهُ الجُمْلة ؛ مُتَفَاوتُ التَّفْصِيل ؛ مختلف كاختلاف النَّاس فِى صُوَرهم وأصْوَاتهم وعُقُولهم وحُظُوظهم وشَمَائِلهم وأخْلاقِهم ؛ فهم مُتَفاضِلُون فِى هَذِه المَعَانى ؛ وَكَذَلِكَ الأشْعَارُ هِىَ متفاضِلَةٌ فِى الحُسْنِ على تَسَاويهَا فِى الجِنْسِ.

ومواقِعُها من اخْتِيَار النَّاس إِيَّاهَا كَمواقِع الصُّور الحَسَنة عِنْدهم واختيارِهم لما يَسْتحسِنونه مِنْهَا ؛ ولِكُلِّ اختيارٌ يُؤثِرُهُ ؛ وهَوَىً يَتْبعُهُ ؛ وبُغْيَةٌ لا يَسْتبدلُ بهَا وَلا يُؤْثِرُ عَلَيْهَا.

...

ـ الألفاظُ والمعانى :

فمِنَ الأشْعارِ ؛ أشْعارٌ مُحْكَمةٌ مُتْقَنةٌ ؛ أنيقَةُ الألفَاظِ ؛ حكيمةُ المعَانِى ؛ عَجيبةُ

التأليفِ ؛ إِذا نُقِضَت وجُعِلَت نَثْراً لم تَبْطُل جَوْدةُ مَعَانيها ؛ وَلم تَفْقِد جَزَالةَ ألفاظِهَا.

وَمِنْهَا أشعارٌ مُمَوَّهةٌ مُزَخْرفَةٌ عَذْبةٌ ؛ تَرُوقُ الأسْمَاعَ والأفْهامَ إِذا مَرَّت صَفْحاً ؛ فَإِذا حُصِّلَت وانتُقِدَت ؛ بُهْرِجَت مَعَانِيهَا ؛ وزُيِّفَت ألفاظُهَا ؛ ومُجَّت حَلاوَتُها ؛ وَلم يَصْلُحْ نَقْضُها لبناءٍ يُسْتَأنَفُ مِنْهُ.

فبعضُها كالقُصُور المُشَيَّدة والأبْنيةِ الوَثِيقةِ الباقيةِ على مَرِّ الدُّهور.

وبعضُهَا كالخِيامِ المُوَتَّدة الَّتِى تُزَعزِعُها الرِّياحُ ؛ وتُوهِيها الأمطارُ ؛ ويُسْرِعُ إِلَيْهَا البِلَى ؛ ويُخْشَى عَلَيْهَا التَّقَوُّض.

وللمعانى ألفاظٌ تُشَاكِلُها ؛ فتَحْسُنُ فِيهَا وتَقْبُحُ فِى غَيرهَا ؛ فَهِىَ كالمَعْرضِ لِلْجَارِيَةِ الحَسْنَاءِ الَّتِى تَزْدادُ حُسْنَاً فِى بعض المعَارض دون بعض .

فَكَمْ من مَعْنىً حَسَنٍ قد شِينَ بمعرضهِ الَّذِى أُبْرِزَ فِيهِ.

وكَمْ من مَعرضٍ حَسَنٍ قد ابْتُذِلَ على مَعْنىً قَبِيح ألْبِسَهُ.

وكَمْ من صَارمٍ عَضْبٍ قد انتضَاهُ مَن وَدَدْتَ لَو أَنَّهُ أمْضَاهُ ؛ فَهَزَّه ؛ ثمَّ لم يَضْرِبْ بِهِ.

وكَمْ من جَوْهرةٍ نَفِيسَةٍ قد شِينَت بِقَرِينَةٍ لَهَا بَعيدةٍ مِنْهَا ؛ وأُفرِدَتْ عَن أخَواتها المُشَاكلاتِ لَهَا.

وكَمْ من زائفٍ وبَهْرجٍ قد نَفِقَا على نُقَّادهِما ؛ وَمن جَيِّدٍ نافقٍ قد بُهْرِجَ عِنْد البَصيرِ بِنَقْدِهِ فَنَفَاهُ سَهْواً.

وكَمْ من زُبَرٍ للمعانى فِى حَشْو الأَشْعَار لا يَحْسُنُ أَن يُطَبِّعها غير العُلَماءِ بهَا والصياقلةِ للسُّيوف المَطْبُوعةِ مِنْهَا.

وكَمْ من حكمةٍ غَريبةٍ قد ازْدُرِيت لرثَاثَةِ كِسْوتها ؛ وَلَو جُلِبَت فِى غير لباسها ذَلِك لكَثُر المُشِيرونَ إِلَيْهَا.

وكَمْ من سقيمٍ من الشِّعَر قد يَئِسَ طَبيبُهُ من بُرئه ؛ عُولج سَقَمُهُ ؛ فَعَاوَدَتْهُ سَلامتهُ.

وَكَم مِن صَحِيحٍ جُنِىَ عَلَيْهِ فأرْدَاهُ حَيْنُهُ

...

ـ أشْعَارُ المُوَلَّدين :

وستَعْثُرُ فِى أشْعار المُوَلَّدين بعجائبَ استفادُوهَا مِمَّن تقدَّمهم ؛ ولَطُفُوا فِى تَنَاوُلِ أصُولها مِنْهُم ؛ وَلَبَّسُوها على من بَعْدهم ؛ وتكَثَّروا بإبداعها فَسُلِّمت لَهُم عِنْدَ إدِّعائها ؛ للَطِيفِ سِحْرهم فِيهَا ؛ وزَخْرفَتِهم لمعَانيها.

والمِحْنَةُ على شُعَراءِ زَمَانِنَا فِى أشْعارهم ؛ أشَدُّ مِنْهَا على من كانَ قبلَهُمْ ؛ لأَنَّهم قد سُبِقوا إِلَى كلِّ مَعْنَىً بَديعٍ ؛ ولَفْظٍ فَصِيحٍ ؛ وحيلةٍ لَطيفةٍ ؛ وخَلابَةٍ ساحِرةٍ.

فَإِن أَتَوْا بِمَا يَقْصُر عَن مَعَانى أُولَئِكَ وَلا يُرْبِي عَلَيْهَا ؛ لم يُتَلَقَّ بالقَبُول ؛ وكَانَ كالمُطَّرَحِ المَمْلُولِ.

ومَعَ هَذَا ؛ فإنَّ مَن كانَ قَبْلنا فِى الجاهِلِيَّة الجَهْلاءِ وَفِى صَدْر الإسلامِ من

الشُّعَراء ؛ كَانُوا يؤسِّسُون أشعَارَهُم فِى المَعَانى الَّتِى رَكَّبُوها عَلَى القَصْدِ للصِّدْق فِيهَا مَدِيحاً وهِجَاءً ؛ وافتخَاراً ووَصفْاً ؛ وتَرْغيباً وتَرْهيباً ؛ إلاَّ مَا قد احْتُمِل الكَذبُ فِيهِ فِى حُكْمِ الشِّعْر من الإغراقِ فِى الوَصْف ؛ والإفراط فِى التَّشْبيه.

وَكَانَ مجرَى مَا يُوردونه مِنْهُ مجْرى القَصص الحَقِّ ؛ والمخاطبات بالصِّدْق ؛ فَيُحابُون بِمَا يُثَابون ؛ أَو يُثَابون بِمَا يُحَابون.

والشُّعَراءُ فِى عَصْرِنا إنَّما يُثَابونَ على مَا يُسْتَحْسَنُ من لَطِيفِ مَا يُورِدُونَهُ من أشْعَارهم ؛ وبديع مَا يُغْربونَهُ من معانيهم ؛ وبَليغِ مَا يَنْظِمونَهُ من ألفاظهم ؛ ومُضْحِكِ مَا يوردونَهُ من نوادرهم ؛ وأنيقِ مَا يَنْسِجُونَهُ من وَشْى قَوْلهم دون حَقَائِق مَا يَشْتمِلُ عَلَيْهِ من المَدْحِ والهَجاءِ وسَائرِ الفُنُون الَّتِى يُصَرِّفون القَوْلَ فِيهَا.

فَإِذا كَانَ المديح ناقِصاً عَـن الـصِّفة الَّتِى ذكرنَاهـا كـانَ سَـبباً لحرمَـانِ قائلـهِ والمُتوسِّل بِهِ.

وإِذا كَانَ الهجاءُ كَذَلِك أَيْضاً كانَ سبَبَاً لاستهانة المَهْجُوِّ بِهِ ؛ وأمْنِهِ من سَيْرِهِ ؛ وَرِوَايَة النَّاس لَهُ ؛ وإذاعَتِهم إيَّاهُ ؛ وتَفَكُّهِهِم بنوادره ؛ لا سِيَّما وأشْعَارُهُم مُتَكَلَّفَةٌ غيرُ صَادِرةٍ عَن طَبْعٍ صَحِيحٍ كأشْعَارِ العَرَب الَّتِى سَبِيلُهم فِى مَنْظُومِهَا سَبيلُهم فِى مَنْثور كَلاَمِهم الَّذِى لا مَشَقَّةَ عَلَيْهِم فِيهِ.

فَيَنبغى للشاعر فِى عَصْرنا أَن لا يُظْهِرَ شِعْرَهُ إلاَّ بعد ثِقَتِهِ بجَوْدَتهِ وحُسْنِه

وسَلامتهِ من العُيوب الَّتِى نُبِّهَ عَلَيْهَا وأُمِرَ بالتَّحرُّز مِنْهَا ونُهِىَ عَن استعمَال نَظَائرها ؛ وَلا يَضَعُ فِى نَفْسِهِ أنَّ الشِّعْرَ موضِعُ اضطرارٍ ؛ وأنَّهُ يَسْلُك سَبيلَ من كَانَ قبلَهُ ؛ ويحتجُّ بالأبيات الَّتِى عِيبَت على قَائِلهَا ؛ فَلَيْسَ يُقْتَدى بالمُسِىء ؛ وإنَّما الاقْتِدَاء بالمُحْسِن.

وَلا يُغِير على مَعَانى الشُّعراءِ فيودِعها شِعرَهُ ؛ ويخرِجها فِى أوْزانٍ مخالفةٍ لأوَزانِ الأشْعار الَّتِى يَتَناولُ مِنْهَا مَا يَتَنَاولُ ؛ ويَتوهَّمُ أنَّ تَغْييرهُ للألفَاظ والأوزَانِ مِمَّا يَسْتُر سَرِقَتَهُ أَو يُوجِبُ لَهُ فَضِيلةً !.

بل يُديم النَّظَرَ فِى الأَشْعَار... ؛ لتَلصَق مَعَانِيهَا بفَهْمِهِ ؛ وتَرْسَخَ أصُولها فِى قَلْبهِ ؛ وتَصِيرَ موادَّ لطَبْعِهِ ؛ ويَذُوبَ لِسَانُهُ بألفَاظِها ؛ فَإِذا جاشَ فِكرهُ بالشِّعْرِ أدَّى إِلَيْهِ نتائجَ مَا استفاده مِمَّا نَظَر فِيهِ من تِلْكَ الأشْعَار ؛ فكانَت تِلْكَ النَّتيجةُ كسبيكَةٍ مُفْرَغَةٍ من جَميعِ الأصْنَافِ الَّتِى تُخْرِجُها المَعَادن ؛ وكان كمن قد اغترَفَ من وادٍ قَدْ مَدَّتْهُ سيولٌ جَارِيَةٌ من شِعَابٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وكَطِيبٍ تَركَّبَ عَن أخلاطٍ من الطِّيبِ كثيرةٍ ؛ فَيُستغرَبُ عِيانُهُ ؛ ويَغْمُضُ مُستَبطَنُهُ.

ويذهبُ فِى ذَلِك إِلَى مَا يُحْكَى عَن خَالد بن عبد الله القَسْرىِّ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : حَفَّظَنى أبى أَلْفَ خُطبَةٍ ؛ ثمَّ قَالَ لى : تناسَهَا ؛ فتناسيْتُهَا ؛ فَلم أُرِد بَعْدُ شَيْئاً من الْكَلام إلاَّ سَهُلَ علىَّ.

فَكَانَ حِفْظُهُ لتِلْك الخُطَب رياضَةً لفَهْمِهِ ؛ وتَهْذيباً لطَبْعِهِ ؛ وتلقيماً لذهنِهِ ؛ ومادَّةً لفصاحَتِهِ ؛ وسبَبَاً لبلاغَتِهِ ولَسَنِهِ وخَطَابتِهِ.)). أهـ.

...

ـ مَقْصِدٌ:

قَالَ المُظفَّر بن الفضل بن يحيى؛ العلوىُّ؛ الحُسينىُّ؛ العراقىُّ «ت سنة ٦٥٦هـ» فى «نُضرة الإغريض فى نُصرة القريض»:

«ـ فى وصف الشِّعْرِ وأحكامه؛ وبيان أحواله وأقسامه:

أوَّلُ ما أبدأ به فى هذا الفصلِ؛ فأقولُ:

إنَّ اشتقاقَ لفظةِ الشِّعْرِ من العلمِ والإدراكِ والفطنةِ؛ تقول: ليْتَ شِعْرِى هل أصابَ صوْبُ السماءِ منازِلَ أسماء: أى ليت علمى.

قال الشاعر:

يا ليْتَ شِعْرِى والمُنى لا تَنْفَعُ
هلْ أغْدون يوماً وأمرى مُجْمَعُ
..؛ وتحتَ رَحْلى زَفَيانٌ مَيْلَعُ
..؛ حرْفٌ إذا ما زُجِرَت تبَوَّعُ
.....؛ كأنَّها نائحةٌ تفجَّعُ
تبْكى لَمَيْتٍ وسواها الموَجعُ

زَفَيان: ناقةٌ تَزيفُ فى مَشيها؛ وميلعٌ: سريعةٌ ناجية.

وسُمِّىَ الشاعرُ شاعراً؛ لعلمه وفطنتِهِ.

وأما كونُهم سمَّوا الشِّعْرَ قَرِيضَاً؛ فلأنَّ اشتقاقه من القَرْضِ؛ وهو

القطْعُ ؛ لأنه يُقْرَضُ من الكلامِ قرْضاً ؛ أى : يقطعُ منه قَطْعاً كما يُقْرَضُ الشىءُ بالمِقْراض.

قال الله تعالى : ﴿ وإذا غَرَبَت تَقرِضُهُم ذاتَ الشِّمال ﴾.

أى تجوزُهُم وتَدَعُهُم على أحدِ الجانبين.

قال عبد العزيز بن حاتم بن النُّعمان بن الأحمر ؛ وكان يُهاجى الفرزدق :

أنفى قَذَى الشِّعرِ عنهُ حينَ أقْرِضُهُ
فما بِشعْرىَ من عيْبٍ ولا ذامِ
كأنَّما أصْطَفى شِعري وأُغرِفُهُ
من مَوْجِ بحرٍ غزيرٍ زاخرٍ طامِ
... ؛ منهُ غرائِبُ أمثالٍ مُشهَّرةٍ
ملمومةٍ ؛ إنها رَصْفى وإحكامى

وأما القصيدُ ـ وهو جمْعُ قصيدةٍ ؛ مثل سَفين جمع سَفينة ـ ؛ فإنما اشتُقَّت لفظتها من القِصْدَة ؛ وهى القِطْعة من الشىء إذا تكسَّرَ ؛ كأنها قِطعةٌ من الكلام.

ومن ذلك : رُمْحٌ قِصَدٌ ؛ وقد تقصَّدَ : إذا صار قِطَعاً.

قال المُسيَّبُ بنُ عَلَس :

فَلأُهدِيَنَّ مع الرِّياحِ قصيدةً
منِّى مُغلْغَلَةً إلى القَعْقَاعِ

تَرِدُ المياهَ فلا تزالُ غريبةً
فى القَوْمِ بَيْنَ تمثُّلٍ وسَماعِ

وأما تسميتُهُم القصيدةَ قافيةً ؛ فلأن القافيةَ تقفو البيتَ ؛ أى : تتبعُهُ ؛ وسمُّوا الجميعَ باسم واحدٍ إيجازاً واختصاراً ؛ كما سمَّوا القصيدةَ بجملتها كلمةً ـ والكلمةُ : اللفظةُ الواحدة ـ ؛ ميلاً الى اختصار الكلام وإخلاداً الى ما يدلُّ فيه على التمام.

قالت الخنساء :

وقافيةٍ مثل حدِّ السِّنانِ
؛ تبْقَى ويهلِكُ مَن قالَها
نطقتَ ابنَ عمروٍ فسهَّلْتَها
ولم ينْطِقِ النَّاسُ أمْثالَها

وأقول : إنَّ الشعرَ عبارةٌ عن ألفاظٍ منظومة ؛ تدلُّ على معانٍ مفهومة.

وإن شئتَ قُلتَ : الشِّعرُ عبارةٌ عن ألفاظ منضودة ؛ تدلُّ على معانٍ مقصودة.

فإذا قيسَ به النَّثْرُ؟ ؛ كان أبرعَ منه مطالِع ؛ وأنْصَعَ مقاطع ؛ وأجرى عِناناً ؛ وأفصحَ لساناً ؛ وأشردَ مثلاً ؛ وأعضدَ مُنْصُلاً ؛ وأسدَّ سِهاماً ؛ وأشدَّ خِصاماً ؛ وأزهر نَجْماً ؛ وأبقَى مياسِمَ ؛ وأنْقَى مباسِمَ ؛ وأذكى مناسِمَ ؛ وأزكى معالِمَ ؛ وأرشقَ فى الأسماع ؛ وأعلَقَ بالطِّباع.

وقال الأصمعىُّ : الشِّعرُ ما قَلَّ لفظُهُ ؛ وسهُلَ ودَقَّ معناه ولَطُفَ ؛ والذى إذا

سمعْتَهُ ظننْتَ أنك تنالُه ؛ فإذا حاولته وَجدتَه بعيداً ؛ وما عدا ذلك فهو كلامٌ منظومٌ.

وقال بعض البُلغاء : الشِّعرُ عبارةٌ عن مثَلٍ سائرٍ ؛ وتشبيهٍ نادرٍ ؛ واستعارةٍ بلفظٍ فاخر.

أبو زكريا التبريزىُّ ؛ قال : كنتُ أسألُ المعرِّىَّ عن شعرٍ أقرؤُه عليه ؟ ؛ فيقول لى : هذا نظمٌ جيِّدٌ ؛ فإذا مرَّ به بيتٌ جيِّدٌ ؛ قال : يا أبا زكريا ! هذا هو الشِّعر.

وأما الشِّعرُ فيحتاجُ الى آلات ؛ وفيه ألقابٌ وله صفات.

ونحن نذكرُ ذلك مُجملاً :

١ـ فأما النَّحو :

فإنه من شرائطِ المُتكلِّم ؛ سواء كان ناظماً أو ناثراً ؛ أو خطيباً أو شاعراً ؛ ولا يمكن أن يَستغنىَ عنه إلاَّ الأخرسُ الذى لا يُفصِحُ بحرفٍ واحد.

وكان بعضُ البُلغاء يقول : إنى لأجدُ للَّحنِ فى فمى سُهوكةً كسُهوكةِ اللحمِ.

وقال علىٌّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ : تعلَّموا النَّحو ؛ فإنَّ بنى إسرائيل كفروا بحرفٍ واحدٍ كان فى الإنجيل الكريمِ مسطوراً ؛ وهو : ﴿ أنا ولَّدتُ عيسى ﴾ بتشديد اللام ؛ فخفَّفوه ؛ فكفروا.

وما قد ورد فى الحَثِّ على تعلُّمِ النحوِ وفى شرَفِ فضيلتهِ وجلالةِ صناعتِه ؛ لو تعاطينا حكايتَهُ لاحتجنا فيه الى كتابٍ مُفردٍ ؛ إذ بمعرفتِهِ يُعْقَلُ عن اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ كتابُهُ ؛ وما استوعاهُ من حكمتِهِ ؛ واستودَعَه من آياتِهِ

المُبينةِ ؛ وحُجَجِهِ المُنيرةِ ؛ وقُرآنِهِ الواضحِ ؛ ومواعظِهِ الشَّافيةِ ؛ وبهِ يُفهم عن النَّبِىِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - آثارُهُ المؤدية لأمرِهِ ونهيهِ وشرائعِه وسُنَنِه ؛ وبه يتسعُ المرءُ فى منطقِه ؛ فإذا قالَ أفصَحَ ؛ وإذا احتجَّ أوضحَ ؛ وإذا كتبَ أبلغَ ؛ وإذا خطب أعجبَ .

ومعنى النَّحو : انتحاءُ سمْتِ كلامِ العربِ فى تصرُّفِهِ من إعرابٍ وتثنيةٍ وجمْعٍ وتكسيرٍ وتحقيرٍ وإضافةٍ ونسبٍ وغير ذلك.

وهو فى الأصل مصدرٌ شائعٌ من قولكَ : نحوتُ نَحْواً ؛ أى : قصدتُ قصداً ؛ ثم خُصَّ به انتحاءُ هذا النوعِ من العِلْمِ ؛ فصار كالمقصور عليهِ دونَ غيرِهِ ؛ كما أنَّ الفِقْهَ فى الأصل مصدرُ فَقِهْتُ الشىءَ ؛ أى عرفتُهُ ؛ ثم خُصَّ به علم الشَّريعة من التحليل والتحريم ؛ وكما أنَّ بيتَ اللهِ خُصَّ به الكعبةُ ؛ وإن كانت البيوت كلها لله تعالى ؛ ونظائرُ ما كان شائعاً ثم قُصِرَ فى جنسِه على أحد أنواعِهِ كثيرةٌ .

وأول من نطَق بالنَّحوِ علىٌّ - رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - ؛ والحكايةُ فى ذلك معروفة ؛ ولَمَّا وضحَ بمثالِه المنْهَج ؛ واتَّضحَ بمقالِه المستقيمُ والأعوج ؛ تشعَّبتِ السُّبلُ فيه ؛ واتَّسعتِ العِللُ فى معانيه.

والشِّعرُ فلا يسلمُ أديمُهُ من النَّفَلِ؟ ؛ ولا يصِحُّ مريضُهُ من العللِ؟ ؛ إلا بمعرفة النَّحو ؛ وامتدادِ الباعِ فيه ؛ والوقوفِ على غامضِهِ وخافيه ؛ كما قال المُحْدَث :

وإذا أردتَ من العلومِ أجلَّها
فأجلُّها منها مُقيمُ الأَلْسُنِ

...

٢ـ وأما البلاغةُ ؛ فهى : الفصاحة.

يُقَالُ : بَلُغَ الرَّجُلُ ـ بضم اللامِ ـ ؛ فهو بليغٌ.

ولا فرقَ بين البلاغة والبيان إلاَّ فى اللّفظِ.

وَسُئِلَ بعضُهم عن البلاغة ؛ فقال : كلامٌ وجيزٌ ؛ معناهُ إلى قلبكَ أقربُ من لفظِه إلى سَمْعِك.

وقال جعفر بن محمد الصادق ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ : إنما سُمِّىَ البليغُ بليغاً ؛ لأنه يبلُغُ حاجَتَهُ بأهونِ سعيهِ.

قال المُفَضَّلُ الضَبِّىُّ : سألتُ أعرابيًّا عن البلاغةِ ؟ ؛ فقال : الإيجازُ فى غير عجْزٍ ؛ والإطْنابُ فى غير خَطْلٍ.

وقيلَ للعَتَّابىِّ : ما البلاغةُ ؟ ؛ فقال : مَن أفهمَكَ حاجَتَهُ من غيرِ إعاقةٍ ولا حُبْسةٍ ولا استعانَةٍ.

وَسُئِلَ بعضُ الحكماءِ عن البلاغةِ ؟ ؛ فقال : مَن أخذَ معانىَ كثيرةً ؛ فأدَّاها بألفاظٍ قليلةٍ ؛ وأخذَ معانىَ قليلةً فولَّد منها ألفاظاً كثيرةً ؛ فهو بليغٌ.

وقيلَ : البلاغةُ ما كان من الكلامِ حسَناً عند استماعِهِ ؛ موجَزاً عند بديهتِهِ.

وقيلَ : البلاغةُ لمحةٌ دالَّةٌ على ما فى الضمير.

وقيلَ: البليغُ الذى يبلغُ ما يريدُ؛ أطالَ أم قصَّرَ.
وقال بعضُهم: البلاغةُ تصحيحُ الأقسام؛ واختيارُ الكلام.
وقيلَ: البلاغةُ معرفةُ الفَصْلِ من الوَصْلِ.
وأقول أنا: إنَّ تركيبَ «ب ل غ» معناه: إدراك ما يحاولُه الإنسان عن قوَّةٍ وتمكُّنٍ من قُدرةٍ؛ فمن ذلك بلَغْتَ الأمرَ والغرَضَ: إذا وقفتَ على غايتِه؛ وأشرفتَ على نهايتِه؛ ولولا قوَّتُك عليه لما وصلتَ إليه؛ ومن ذلك البلاغةُ؛ فإنَّك إذا وقفتَ على غاياتِ الكلام ونهايات المعانى؛ دلَّ ذلك على قُدرتِكَ فى الأدب؛ وتمكُّنِك من لُغةِ العرب؛ فإن أوْجَزْتَ أو أسهبتَ كنتَ فيه بليغاً؛ وكان ما أتيتَ به بلاغةً.
ومن أعلى درجات البلاغةِ وأرفعِها فى الكلام المنثور قولُه تعالى: ﴿ وقيلَ يا أرضُ ابلَعى ماءَكِ ويا سَماءُ أقْلِعى؛ وغِيضَ الماءُ؛ وقُضِىَ الأمرُ؛ واسْتَوَت على الجُودىِّ؛ وقيلَ بُعْداً للقَوْمِ الظالمين ﴾.

ومن البلاغةِ فى الكلام المنظوم قول امرئ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِن ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

فإنَّه وقفَ واستوقَفَ؛ وبكى واسْتَبْكى؛ وتغزَّل بذكرى الحبيبِ والمنزلِ فى نصفِ بيْتٍ!.
وقال طرَفَة:

ولستُ بحلاَّلِ التِّلاعِ مَخافَةً

ولكن مَتى يسْتَرفِدِ القومُ أرْفِدِ

المعنى أكثر من اللفظِ ؛ يقولُ : لستُ أحُـلُّ بالمواضـعِ الخفيَّةِ مخافـةَ القِـرَى ؛ ولكنى أحُلُّ بالمواضع الظاهرةِ التى لا تَخفى على الضَّيْفِ الطارقِ ؛ فإذا استُقريتُ قَرَيْتُ.

فأوردَ كلاماً يدلُّ على نفيهِ عن نفسِه نزولَ التِّلاعِ خوفاً فقط ؛ فلما ذكرَ فى النصفِ الثانى الرِّفْدَ ؛ دلَّ على أنَّ المخافةَ فى القِرَى ؛ ولم يُقابل اللفظَ بأن يقول :

ولكن أحُلُّ باليَفاع بارزاً وأشجَعُ

فاكتفى بمعرفةِ السامِعِ ؛ وبما دلَّ الكلامُ عليه ؛ وهذه بلاغةٌ ناصِعةٌ.

...

٣ـ وأما الفصاحةُ : الفصاحةُ مشتقَّةٌ من الكَشْفِ وارتفاع اللَّبْسِ ؛ يُقالُ : أفصحَ اللبنُ إفصاحاً : إذا ذهبَ اللِّبَأ عنه ؛ وخَلَصَ اللبنُ منه.

وأفصحَتِ النَّاقةُ فهى مُفْصِحٌ : إذا انقطعَ لِبَؤُها وخلَصَ لبَنُها ؛ وفصُحَ اللبنُ : إذا كشَفْتَ رُغْوَته عنه.

قال الشاعر :

وتحتَ الرُّغْوَةِ اللبنُ الفصيحُ

وأفصحَ الصُبْحُ : إذا انكشفَ وبَدا.

وكلٌّ واضحٍ مُفْصِحٌ ؛ وعلى ذلك فكلُّ ناطق فصيحٌ ؛ وما لا يَنطِقُ فهو أعجَمُ.

...

٤ـ وأما الحقيقةُ والمجازُ:

فإن الحقيقة : ما أُقِرَّ على أصل وضعِه فى اللغة عند استعمالِه.

والمجازُ : ما كان بضدِّ ذلك.

وقال علىُّ بن عيسى الرُّمانىُّ : الحقيقةُ : الدِّلالةُ على المعنى من غير جهةِ الاستعارةِ ؛ والمجازُ : تجاوزُ الأصلِ إلى الاستعارة .

وإنما يُعْدَلُ عن الحقيقة إلى المجاز ؛ لمعانٍ ثلاثةٍ ؛ وهى : الاتساعُ ؛ والتوكيدُ ، والتشبيهُ ؛ فإن عُدِمَت هذه الأوصافُ ؛ كانت الحقيقةُ أولى بالاستعمال.

ومن المجاز فى أشعارِ العربِ كثيرٌ لا يُحصى.

فمنه قولُ الأول :

غَمْرُ الرِّداءِ إذا تبسَّم ضاحكاً

غَلِقَت لضِحكتِه رِقابُ المالِ

وقال طَرَفة :

ووْجهٌ كأنَّ الشمسَ ألقَت رِداءَها عليهِ ؛ نقىُّ اللونِ لم يتخدَّدِ

جعل للشمسِ رداءً وهو جوهرٌ ؛ لأنه أبلغُ من النورِ الذى هو عَرَضٌ.

وكُلُّ ما كان من هذه الاستعاراتِ ؛ فإنهُ داخلٌ تحت المجاز.

...

٥ ـ وأمَّا الصَّنعةُ والمَصنوع :

فإن الصَّنعةَ : هى عبارةٌ عن الحوادِثِ فى المصنوعات ؛ مثل الإصلاح والإفسادِ ؛ والطول والقِصَر ؛ والضخامةِ والنحافة ؛ والخُضرةِ والحُمرةِ ؛ والحركةِ والسُّكون ؛ والأشياء التى يُسمِّيها المُتكلِّمون : الأعراض.

وأما المصنوعات : فهى الأشياء التى تتعاقبُ عليها هذه الأعراض.

فالصَّنعةُ والمصنوعات مُحدَثتان.

فمن المصنوعات : الحيوانُ الذى يصنعه اللهُ تعالى ؛ وصُورٌ فى الجَمادات نفعلُها نحن ؛ فالإشارات التى فى الصور من حِذْقِ المُصوِّرين فى أفعالِهم فيها يُخيَّلُ إليكَ أن بعضها ناطقٌ وإن كان لا ينطِقُ ؛ ومنها ما يخيَّل إليك أنَّه مُتحرِّك وهو ساكن.

فأنت تُسمِّى الجسمَ مصنوعاً على حقيقة اللُّغة ؛ وتُسميه صَنعةً على الاتساع والمجاز ؛ ألا ترى أنك تقولُ : هذا جسمٌ مصنوعٌ حسَنُ الصَّنعةِ ؛ أو قبيح الصنعَةِ ؛ وكاملُ الصنعةِ أو ناقصُ الصنعَةِ ؛ وإن كان أصل اللفظتين فيهما واحداً.

وإنما قدَّمتُ ذلك توطئةً ؛ لتعلمَ أن الصَّنعةَ فى الشِّعْر : عبارةٌ عن النظم الذى خلَّصه من النثرِ وجمع أشْتاتَه بعدَ التبدُّدِ والصَّدْع ؛ وأن المصنوع : هو الشعر

الذى عنصرُهُ الكلامُ المنثور.

والمصنوع لا يُسمَّى مصنوعاً حتى يخرُجَ من العدم إلى الوجود ؛ فإذا كان موجوداً سُمِّىَ مصنوعاً لُمشاهَدَتِه والعلم بهِ ؛ ثم يعْتَورُهُ بعد ذلك النقد ؛ فيقالُ فيه : كاملٌ وناقصٌ ؛ وحسنٌ وقبيح ؛ وسقيمٌ وصحيح ؛ وجيِّدٌ وردىء.

...

٦ـ وأما إقامةُ الوزن : فهوَ عبارةٌ عن ذوْقٍ طبيعىٍّ حفِظَ فصولَه من الزيادةِ والنُقصان ؛ وعدَّلها تعديلَ القِسْطِ بالميزان.

ولو أن كُلَّ ناظمٍ للشعر يفتقرُ فى إقامة وزنهِ ؛ وتصحيحِ كسْرِه ؛ وتعديلِ فصولِه إلى معرفةِ العَروض ؛ والقوافى ؛ لما نظَمَ الشِعرَ إلا قليلٌ من الناس.

على أن الشاعر إذا عرَفَهما لم يستغن عنهما.

فأما العَروض ـ وهى مُؤنَّثة ـ : فهى ميزانُ الشِّعرِ ؛ يُستخرجُ بها صحيحُه من مكسوره.

...

٧ـ وأما القوافى : فإنَّ القافية مُختلَفٌ فيها :

فعند أبى الحسن الأخفش ومن تابَعَه من المُقَفِّين : أن القافيةَ آخرُ كلمة فى البيت ؛ وقال : إنما سُمِّيت قافيةً لأنها تقفو البيت.

وعند النَّضْرِ بْنِ شُمَيْل ومؤرَّج وأبى عُمر الجَرْمىِّ : أنها النصفُ الأخير من البيت.

وقيلَ : بل هى البيت بكمالِه.

وقيل : بل القصيدةُ بجُملتها.

وعند الخليل بن أحمد : أنَّ القافية من آخر البيت إلى أول ساكنٍ يليه مع المُتحرِّك الذى قبل الساكن.

وعلى قوله الاعتمادُ ؛ فإن القول ما قالت حَذام.

والقافية تنقسمُ إلى ثلاثة أشياء : أصول ؛ وحروف ؛ وحركات.

ويعرُضُ فى القافية عيوبٌ أربعة ؛ وهى : الإكفاء ؛ والإقواء ؛ والإيطاء ؛ والسِّناد.

وجميع حروف المُعجم تكون رويَّاً إلا الواو والياء والألف ؛ الزوائد السَّواكن اللواتى تَتْبَعْن ما قبلهنَّ ؛ فإنهنَّ لا يكُنَّ رويَّاً البتَّة.

وألِفُ التثنيةِ وواو الجمْعِ وياءُ ضمير المؤنث ؛ لا يكُنَّ رويَّاً.

والألف المُبْدَلةُ من التنوين ؛ فى نحو قولك : رأيتُ زيداً ؛ لا يكون رويَّاً .

والنُّون الخفيفة ؛ نحو قولك : اضْرِبَنْ.

والهمزة المُبْدَلةُ من ألِف التأنيث فى الوقْف ؛ نحو قولِك : هذه حُبلاء.

وهاءُ الوقفِ ؛ وهاء الإضمار ؛ وهاءُ التأنيث ؛ كلُّ هذه لا تكون رويَّاً ؛ فإن سكَن ما قبلَ هذه الهاءات كُنَّ رويَّاً.

والهاء الأصليَّة يجوز أن تكون رويَّاً ؛ سكن ما قبلها أو تحرَّك ؛ كقوْل رؤبة بن العجَّاج :

قتلتْ أُبَيْلَى لى ولم أُشبِّهِ

ما العيْشُ إلاَّ غَفْلَة المُدَلَّهِ
... ؛ لَّما رأتْنى خَلقَ المُمَوَّهِ
برَّاقَ أصْلادِ الجَبين الأجْلَهِ
بعدَ غُدافىِّ الشَّباب الأبْلَهِ

وسُمِّىَ حرف الرَّوىِّ رويًّا ؛ لأنه من الرِّواء ؛ وهو الحَبْلُ الذى يُشَدُّ على الأحْمال والمتاعِ ليضُمَّها.

وروى فى كلامهم للضمِّ والجمع والاتصال ؛ وكذلك حرف الروىِّ ؛ تنضمُّ وتجتمع إليه جميعُ حروف البيت.

فالقوافى على ذلك خواتيمٌ على عنوان الشِّعْر ؛ جامعةٌ لأطراف معانيه ؛ قابضةٌ على أزمَّةِ مَهاريه.

...

٨ ـ وأما الألقاب : فإنها تنقسِم الى أقسام ؛ ولكُلِّ قسم منها باب.

فمنها :

ـ باب الإشارة :

والإشارة من محاسن البديع ؛ ومعناه اشتمالُ اللفظِ القليل على المعانى الكثيرة ؛ وإن كان بأدْنى لَمْحٍ يُستدلُّ على ما أُضمِرَ من طويل الشرحِ .

كقولِ امرئ القيس :

على هيكلٍ يُعطيكَ قبلَ سؤالهِ

أفانينَ جرْيٍ غير كزٍّ ولا وانِ

تأمَّل ما تحت لفظة أفانين ؛ وما اقترنَ بها من جميع أصناف الجوْدة !.

ثم نفى عنه الكزازة والوَنى ؛ وهُما أكبر معايب الخيْلِ.

وقال زهير:

فلو أنِّى لقيتُك واتَّجَهْنا

لكانَ لكُلِّ مُنكرةٍ كفيلُ

فهذا لفظٌ قليلٌ يدُلُّ على معنى كثير.

وكما قال بعض الأعراب :

جعلْتُ يدَىَّ وِشاحاً لهُ

وبعضُ الفوارِسِ لا يعْتَنِقْ

قولهُ : جعلتُ يدىَّ وِشاحاً له : إشارةٌ بديعةٌ الى المُعانقةِ بغير لفظِها ؛ وهى دالَّةٌ عليها.

وقال الأعشى :

تسْمَعُ للحَلْى وسْواساً إذا انصَرَفَت

كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

أشار بذلك إلى دقَّة الخصرِ والرَّشاقةِ والهَيف ؛ لأن حركة الوشْحِ تدلُّ على ذلك ؛ فأما الخلاخلُ والأسْورةُ والبُرى ؛ فإنها توصفُ بالصمتِ والخرَس.

وفى البيت إشارةٌ أُخرى إلى شدَّة الحركة ؛ وهى قولُه :

كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زجِلُ

وذلك أن العِشرِقَ وهو شجرٌ شديدُ الحركة فى ضعْفِ النسيم ؛ فكيفَ إذا استعانَ بريحٍ؟!.

وقالت الخنساء :

يُذكِّرُنى طُلوعُ الشّمسِ صخْرَاً

وأذكرُهُ لكلِّ غُروبِ شمسِ

إشارة حسنة إلى وقت الغارة ؛ ووقت المَيْسِرِ وإطعامِ الضيف.

وقال القُحَيْف :

أتانى بالعقيقِ دعاءُ كعبٍ

فحنَّ النَّبْعُ والأسَلُ النِّهالُ

إشارة حسنة إلى إغاثته بالجيش.

وقال آخر :

وزَيدٌ ميِّتٌ كمَدَ الحُبارَى لأن ظَعَنت سُكَيْنَةُ والرَّبابُ

إشارة حسنة إلى شدَّة الهمِّ ؛ وذلك أن الطير تجتمعُ فى مواضعِ بعيدةٍ من الأُناسىِّ ؛ فتطرحُ ريشها هناك وفيها الحُبارى ؛ ثم ترتعى الى أن ينبُتَ ريشُها ؛ فإذا نبتَ ريشُ تلك الطيرِ كلها تخلَّف الحُبارى عنها ؛ لأن ريشَها بطىءُ الطلوع ؛ فينهضُ جميع الطير وتبقى الحُبارى ؛ فيموتُ أكثرُها كَمَدَاً.

وأنشد ابن الأعرابىِّ:

مَشيْنا فسوَّيْنا القُبورَ بعاقلٍ

فقد حسُنَت بعْدَ القُبوحِ قُبورها

أى قتَلْنا بقتلانا؛ فاستوى عددُ قتلانا وقتلاهم.

وهذه إشارةٌ عجيبةٌ لطيفةٌ إلى أخذ الثأر.

وقريبٌ من معنى الإشارة؛ وإن تغايَرَت العبارة:

ـ باب الكناية: وربما سمَّاها قومٌ (التتبيع)؛ لأن الشاعر يقولُ معنىً ويأتى بلفظٍ تابعٍ له؛ فإذا دلَّ التابعُ أبانَ عن المتبوع.

فمِن ذلك قوله تعالى: ﴿وبلَغَت القُلُوبُ الحَناجِرَ﴾؛ كناية عن شدَّة الأمر والحرب؛ ومعنى ذلك: أن القلوب ارتفعَت عن مواضعِها؛ فنفرت كأنها تريدُ الخروج عن الأجسامِ مفارقةً لها.

وأنشد المبرِّد:

تقول وقد أبْدى البُكاءُ بعينِه.....

...؛ نُدوباً: ألا داويتَ عيْنَكَ بالكُحْلِ؟

فقد رأيتُ الكُحْلَ يشغَلُ قَدْرُهُ؛ .....

من العينِ قدراً لم يكُنْ عنكِ فى شُغْلِ

كناية عن أنه لا يحِبُّ أن يشغَلَ عينَهُ عن النَّظرِ إليها؛ لأن الزَّمان الذى يذهبُ فى الاشتغال بالكُحْلِ لم يكن قبل الكُحْلِ مشغولاً بغير النَّظر إليها؛ فهو

يكرهُ أن لا يكون على ما كان عليه من تلك الحال.

وقال بَلْعاءُ بن قيس الكِنانىُّ:

معى كُلُّ مُسترخى الإزارِ كأنَّهُ

إذا ما مشى فى أَخْمُصِ الرِّجْلِ ظالِعُ

كناية عن التَّرف والنعمة.

وأنشدوا:

بالمِلحِ يُدْرَكُ ما يُخشى تغيُّرُه

فما دَوا المِلحِ إنْ حلَّت به الغِيَرُ

كنايةٌ عن الأمر الذى يُرجى لكشْفِه السُّلطان؛ فَيُبْتَلى ذلك السلطانُ بأمرٍ يشغَلُهُ عن القيام بما يُرجى له.

وقال النابغة الذُّبيانىُّ:

سِتَّةُ آباءٍ هـمُ ما هُـمُ

هُـم خيْرُ من يشرَبُ ماءَ الغَمامِ

كناية عن أنهم خيرُ الناس كلِّهم؛ لأن الناس كلَّهُمُ يشربون ماءَ الغَمام.

وقال معقِّر البارقىُّ:

وكل طَروحٍ فى الجِراءِ كأنَّها

إذا اغْتَسَلَت بالماءِ فتْخاءُ كاسِرُ

يصف فرساً شبَّهها: إذا عرِقَت من الرَّكض والتعب؛ بالعقاب الكاسر؛ وهى

الفَتْخاءُ ؛ والفتخُ : لِينٌ فى الجناح محمود.

وهذه كناية بالماء عن العَرَق ؛ وأراد : أنها فى هذه الحال التى يضعُفُ فيها أمثالها هذه حالها ؛ فكيف تكون فى ابتداء جريها؟!.

والسابقُ الى هذا المعنى امرؤ القيس ؛ حيث يقول :

كأنَّها حينَ فاضَ الماءُ واحتفلَت

صقعاءُ لاح لها بالمَرْقَبِ الذيبُ

فى هذا البيت زياداتٌ لم يصِل بيتُ معقِّرٍ إليها ؛ وهو قولُه : فاضَ الماءُ ؛ والفائِضُ أعظمُ مما يُغتَسَلُ به ؛ لأن الاغتسال حصل من الفائض وزيادة .

وقوله : احتفلت : مُبالغة فى الجهدِ والتعب.

وقولُه :

صقعاء لاح لها بالمرقبِ الذيبُ

الصقعاءُ : العُقابُ فى وجهها بياض ؛ وإذا لاح لها الذئب كان أشد لانقضاضها ؛ وإذا كان انقضاضُها من مَرقَب كان أشد لانحدارِها.

وقال عمر بن أبى ربيعة :

بعيدةُ مَهْوى القُرْطِ إمَّا لنوْفَلٍ

أبوها ؛ وإمّا عَبدِ شمسٍ وهاشِمِ

كنَّى بذلك عن طول الأعناق.

وقال عمرو بن قِعاسٍ الغُطَيْفىُّ :

وسوداءِ المحاجرِ إلْف صخْرٍ
تلاحظنى الترقُّبَ ؛ قد رمَيْتُ

كنى بذلك عن ظبية.

ولحْمٍ لم يذُقْه النَّاسُ قبْلى
أكلت على خَلاءٍ وانتقَيْتُ

قال الأصمعىُّ وأبو عمرو الشيبانىُّ وابن الأعرابىِّ : كنَّى بذلك عن لحم ولده ؛ فإنه جاع فذبحه وأكله.

وقال غيرُهم : كنَّى بذلك عن مَلِكٍ هَجاه ؛ ولم يهجُه أحدٌ قبلَه ؛ فكأنه أكل لحمَه ميتاً.

وماءٍ ليس من عِدٍّ رَواءٌ
ولا ماءِ السماءِ قد استَقَيْتُ

كناية عن دموعه.

وجاريةٍ تُنازعُنى رِدائى
وراء الحىِّ ليس علىَّ بيْتُ

كناية عن الرِّيح.

ونارٍ أُوقِدَت من غير زَنْدٍ
أثرتُ جَحيمَها ثم اصْطَلَيْتُ

كناية عن الحرب.

وبيتٍ ليس من وبْرٍ وَشَعْرٍ
على ظهرِ المطيَّة قدْ بنَيْتُ

كنَّى عن بيت شِعرٍ نظمَه على ظهر راحلتِه.)).أهـ.

...

ـ مَقْصِدُ:

قَالَ فِى «نُضرة الإغريض فى نُصرة القريض»:

«ـ فيما يجوزُ للشاعر استعمالُه وما لا يجوز؛

وما يُدركُ بـه صـواب القـولِ ويـجـوز:

الذى يجوز للشاعر المولَّد استعمالُه فى شعره من الضرورة؛ هو جميع ما استعملَتْه العرب فى أشعارها من الضرورات؛ سوى ما أستَثنيه لك؛ وأبيِّنُه لدَيْك.

والمولَّد (١) فى ضرورات شعره وارتكاب صعابها؛ أعذرُ من العربىِّ الذى يقول فى لغته بطبعه.

أما الذى لا يجوز للمولَّد استعمالُه؛ ولا يُسامَح فى ارتكابِه؛ فهو جميعُ ما يأتى عن العرب لَحْناً لا تسيغُه العربيَّةُ ولا يجُوِّزه أهلُها؛ سواء كان فى أثناء البيت؛ أو فى قافيتِه؛ فإنَّ اللحنَ لا يجوزُ الاقتداءُ به؛ ولا النزولُ فى شُعَبِه.

---

(١) - المُرَادُ بِقَوْلِهِ: «المُوَلَّد»؛ أَى الشَّاعِر المُحْدَث.

فمن ذلك ؛ اللَّحنُ الذى سمُّوهُ جرًّا على المجاورة.

قال الشاعر :

فيا معشرَ الأعرابِ إن جازَ شُرْبُكم

..... ؛ فلا تشربوا ما حَجَّ للهِ راكبِ

..... ؛ شَراباً لغزوانَ الخبيثَ فإنَّهُ

..... ؛ يُناهيكُم منه بأيْمانِ كاذِبِ

وهذا لَحْنٌ قبيحٌ ؛ وصوابُه :

مَا حَجَّ لله رَاكِبُ

وقال آخر :

أطوفُ بها لا أرى غيرَها

كما طافَ بالبَيْعَةِ الرَّاهِبِ

وهو لَحْنٌ قبيحٌ ؛ وصوابه :

كما طاف بالبيعةِ الرَّاهِبُ

وقال آخر :

كأنَّ نسْجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ

وصوابه : المُرْمَلا.

ومما لا يجوز للمولَّدين الاقتداءُ به ولا العملُ عليه ؛ لأنه لحنٌ فاحشٌ : الإقواء فى القافية.

وذاك أن يعمل الشاعرُ بيتاً مرفوعاً وبيتاً مجروراً.

كقول النابغة :

أمِـن آلِ مَيَّةَ رائـحٌ أو مُغْـتَـدِ
عـجْـلانَ ذا زادٍ وغـيـرَ مـزوَّدِ
زعم البـوارحُ أنَّ رِحلتَنا غداً
وبذاك خبَّرَنا الغُرابُ الأسودُ

ويا للعجب !! ؛ كيف ذهب ذلك عن النابغة ؛ مع حُسْنِ نقدِه للشِّعر وصحَّة ذوقِهِ وإدراكِه لغوامض أسرارِه؟!.

ولّما نُبِّه على موضعِ الخطأ ؛ لم يصل إلى فهمِه ولم يأبَه له؟! ؛ حتى غنَّت به قَينَةٌ وهو حاضر ؛ فلمَّا مدَّدَت :

خبَّرَنا الغرابُ الأسودُ

وبيَّنت الضمة فى (الأسود) بعد الدال ؛ فطِنَ لذلك ؛ وعلِم أنَّه مُقْوٍ ؛ فغيَّره ؛ وقال :

وبذاك تنعابُ الغُرابِ الأسودِ

وكقول مُزرِّد بن ضِرار من أبيات :

ألم تعلمِ الثعلاءُ لا دَرَّ درُّها
فَزارةُ أنَّ الحقَّ للضّيفِ واجبُ

ومنه :

تشازَرْتُ فاستشرفْتُه فرأيتُهُ

فقلتُ له: آنتَ زيدُ الأرانبِ؟!

وكقول حسَّان بن ثابت:

لا بأسَ بالقَوْمِ من طولٍ ومن عِظَمٍ

جِسمُ البِغالِ وأحلامُ العصافيرِ

كأنهم قصبٌ جُوفٌ أسافِلُه.....

..... ؛ مُثَقَّبٌ نفخَت فيه الأعاصيرُ

ولعمرى ؛ إنَّ الجميع لحْنٌ مردود ؛ ولا وردَ عنهم شىءٌ من ذلك.

وأظنُّ أنَّ من ارتكبَ الإقواءَ من العرب لم يكنْ ينشِدُ الشِّعرَ مُطلقاً ؛ بل ينشدُهُ مُقيَّداً ويقف على قافيتِه.)). أهـ.

.....

ـ مَقْصِدٌ:

قَالَ فِى ((نُضرة الإغريض فى نُصرة القريض)):

((ـ فى فضلِه ومنافِعِه ؛ وتأثيرِهِ فى القلوبِ ومواقعِه:

أما الشِّعرُ ؛ فإنه ديوان الأدب ؛ وفخر العرب ؛ وبه تُضرَب الأمثال ؛ ويفتَخِر الرِّجالُ على الرِّجال ؛ وهو قيدُ المناقبِ ؛ ونظامُ المحاسنِ ؛ ولولاهُ لضاعَت جواهرُ الحِكَم ؛ وانتشرت نجومُ الشَّرَف ؛ وتهدَّمت مبانى الفضل ؛ وأقوَت مرابِعُ المجد ؛ وانطمسَت أعلامُ الكرمِ ؛ ودرَست آثارُ النِّعَم ؛ شرَفُه مخلَّد ؛

وسُؤدُدُه مجدَّد ؛ تَفْنى العصورُ وذِكرُه باق ؛ وتهوى الجبالُ وفخرُه الى السماء راق ؛ ليس لما أثْبَتَه ماح ؛ ولا لَمن أعذَرَه لاح.

مات سُحَيمٌ عبدُ بنى الحَسْحاس ؛ وله ذِكر أضْوَع من المسك ؛ وأنضر من الآسِ ؛ ولولا الشِّعرُ لما عُرِف ؛ ولا بالإجادةِ وُصِف ؛ وكم فى بنى حام ؛ من مجهول طَغام ؛ ولا يُذكَر ؛ ولا يُشْكَر.

وقد قيل : إنَّ إبراهيم بن المهدى لَّما اعتذر الى المأمون ؛ وكلامُهُ معروف ؛ قال للمأمون فى جوابِ قوله له : أنتَ الخليفةُ الأسودُ.

وأما كونى أسودَ ؛ فقد قال عبدُ بنى الحَسْحاس :

أشعارُ عبد بنى الحَسْحاسِ قُمْنَ لهُ
يومَ الفَخارِ مقامَ الأصلِ والوَرِقِ
إنْ كُنتُ عبداً فنفسى حُرَّةٌ كرَماً
أو أسودَ اللونِ إنى أبيضُ الخُلُقِ

فقال المأمون : لوَدِدْت أنهما لى بجميع مُلكى ! ـ يعنى البيتين ـ.

ولولا زهير لما ذُكِر هِرَم ؛ ولا جرى بمدحِه قلَم ؛ ماتا وبَلِيا ؛ وتمزَّقت أوصالُهما وفَنِيا ؛ وذِكرُهما غضٌ جديدٌ ؛ وصيتُهما باقٍ مديدٌ ؛ هذا لفضلِه ؛ وهذا لإفضالِه ؛ ولولا الشِّعرُ لما ذُكِرا ولا عُرِفا.

سالم بن عبدِ الله بن عمر ؛ عن أبيه عبد الله ؛ أنه قال : كُنَّا ذات يومٍ عند عمر ابن الخطَّاب ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ ؛ إذ قال : من أشعرُ الناس؟ ؛ فقلنا : فلانٌ ؛

وفلانٌ ؛ فبينما نحن كذلك إذ طلَعَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاس ؛ فسلَّم ؛ وأجلسَهُ إلى جنبهِ ؛ ثم قال : قد جاءَكُم ابنُ بَجْدَتِها ! ؛ من أشعرُ الناس يا ابنَ عبَّاس ! ؛ قال : ذاك زهيرُ بن أبى سُلمى ؛ قال : فأنشِدْنا شيئاً من شعرِه نستدلُّ به على ما تقول ؟ ؛ قال : امتدحَ قوماً من غطَفان يُقالُ لهم بنو سِنان ؛ فقال :

لوْ كان يَقْعُدُ فوقَ الشمسِ من بشَرٍ

قوم بأوَّلِهم أو مجدِهِم..... ؛ قعَدوا

قومٌ سِنانٌ أبوهم حين تَنسُبُهم... ؛

طابوا وطابَ من الأولادِ ما ولدوا

إنسٌ إذا أمِنوا ؛ جِنٌّ إذا فزِعوا.... ؛

مُرزَّؤونَ بَهاليلٌ..... ؛ إذا جُهِدوا

مُحسَّدونَ على ما كان من نِعَمٍ.....

؛ لا ينزِعُ اللهُ عنهم مالهُ حُسِدوا

فقال عمر ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ : قاتَلَهُ الله يا ابنَ عبَّاس ! ؛ لقد قال كلاماً حسناً ! ؛ ما كان يصلُحُ إلا لأهل هذا البيتِ من بنى هاشم ؛ لقرابَتِهم من رسول الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ.

واستعظمَ ما مدَحَ به بنى سنان ؛ وطلب له مُستَحِقّاً ؛ فما رأى إلا بنى هاشم.

وهذا جريرُ بنُ الخطَفى ؛ مع لُؤم أصله ؛ وضِعَة بيتِه ؛ وقِلَّة أهْليه ؛ وخُمولِ جدِّهِ وأبيه ؛ قد رفعَهُ شعرُه ؛ وعمَّرَه قولُه ؛ فهو مُخَلّدٌ باق ؛ وعليه من الفناء

بشعرِه واقٍ ؛ ولقد شُيِّدَ بذكره ذكرُ يربوع ؛ وشُهِر اسمُهُ بين المحافلِ والجموعِ ؛ وضاهى الفرزدقَ وناواه ؛ وجاهرَهُ بالأهاجى وعاداه ؛ مع شَرَفِ الفرزدق وكرَمِ أصلِه ؛ ولولا الشِّعرُ لكان بنَجْوَةٍ عن مُجاراةِ مثلِه.

ولقد ذهب امرؤ القيس وأبوه ؛ وملكُه وأهلوه ؛ وغبَرَ شعرُه وكلامُه ؛ وعُمِّرَ قولُه ونظامُه ؛ وكم من مَلِكٍ فى كِندة ذهبَ وذهبَت منه العُدَد والعُدَّةُ ؛ فما تُحَسُّ نبأتُه ؛ ولا يُعرَفُ اسمُه ولا سمَتُه ؛ ولقد ذهبَ مُلْكُ التبابعةِ والأكاسرة ؛ وزالَ سُلطانُ المَقاوِلِ والأساورَة ؛ ولم يبْقَ لهم سوى بيتٍ سائر ؛ من مديح شاعر ؛ ولولا مدائحُ زياد الذُبيانىِّ لما عُرِفَ المِلكُ ابنُ الجُلاح ؛ ولا ضاعَ له أرَجُ ثناءٍ ولا فاح ؛ وكذاك أبوه الجُلاح ؛ فلولا أبو أُمامة ؛ لما كان عليه من سِمَةِ الذِّكر علامة :

ماتَ الجُلاحُ ولم يُمت
ما قالَ فيه أبو أُمامهْ

ولقد كانت العربُ تَعُدُّ الشِّعرَ خطيراً ؛ وترى الشاعرَ أميراً ؛ فإذا نبغَ فى القبيلة شاعرٌ هُنِّئَت به ؛ وحُسِدَت من سبَبه ؛ لأنه يُنافِح عن أنسابِها ؛ ويُكافِح ويُناضلُ عن أحسابها.

ألا ترى الى أبى دُلَف العِجْلىِّ كيفَ رفعَه ؛ على ضِعَةِ بيتِه ودناءَةِ بنى عِجْلٍ؟! ؛ فإنكَ لا تجدُ فيهم ممدوحاً سواه : قول ابن جبلة :

إنَّما الدُّنيا أبو دُلَفٍ
بينَ باديةٍ ومُحتَضَرَهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ
ولَّتِ الدُّنيا على أثَرَهْ

وكان أبو الصَّقْر بنُ بُلبلٍ لا يُعدُّ من ذوى الأصول الثابتة ؛ ولا ذوى الفروعِ النابتةِ ؛ حتى مدحَه ابنُ جُريج.

وكان بنو قُرَيْع يُدعَون أنفَ الناقةِ ؛ فيَغضَبون لذلك ويسخَطون منه ؛ فلمَّا مدحَهم الحُطيئة بقوله :

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ
ومَن يُسوِّى بأنفِ الناقةِ الذَّنَبا ؟!

رضوا به ؛ وصار من أكبر مفاخرِهم ؛ ولولا الشِّعرُ لعدُّوه من أقبحِ ألقابِهم.

وخبَرُ الحُطيئة مع الزِّبرقان بن بدْرٍ وما كان من زوجته أمِّ شَذْرَة وتقصيرها فى حقِّهِ ومُراسلة بنى أنفِ الناقة له حتى استفْسَدوه ونَقلوه إليهم ؛ مشهورٌ مذكور ؛ ولَّما خُيِّرَ الحُطيئة اختار بنى أنفِ الناقة على الزِّبرِقان ؛ فشقَّ ذلك عليه ؛ وأرسل الزبرقان إلى رَجُلٍ من النَّمِر بن قاسطٍ يُقال له دِثار بن شيبان وأمرهُ أن يهجوَهم ؛ فقال النَّمَرىُّ من أبيات :

وقد وردَت مياهَ بنى قُرَيْعٍ
فما وصَلوا القرابَةَ مُذْ أساؤوا

فاحتاج الحُطيئة عند ذلك أن يهجو الزبرقان بن بدر ؛ فهجاهُ بأبياتٍ منها :

دعِ المكارمَ لا تنهَض لبُغيَتِها

واقعُدْ فإنَّك أنتَ الطاعِمُ الكاسى

فلمَّا بلغتِ الزبرقان ؛ استعدى عليه عُمرَ بن الخطَّاب ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ ؛ وقال : هجانى ! ؛ فلما استنشَدَه ؛ قال عمر : لا بأس بذلك ! ؛ فقال : أرسِل إلى حسَّان بن ثابتٍ وسلْهُ أهجانى أم لا ؟ ؛ فقال حسَّان : نعم ؛ هجاهُ وسلَحَ عليه.

فحبسَه عمر ؛ فكتب إليه الحُطيئة من الحبس أبياتاً منها :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مرَخٍ

حُمْرِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجَرُ

ألقيْتَ كاسِبَهُم فى قعْرِ مُظلمةٍ؟!

فامْنُنْ عليهِ هداكَ اللهُ يا عُمَرُ

فأثَّر الشِّعرُ عند عمر ؛ فاستتابَه وأطلقَه.

ولو أن الحُطيئة قد شتم الزبرقان بغير الشِّعرِ لما تأثَّر بشتمِه ؛ ولَّما كان شعراً ؛ رآه بقوله : فأنت الطاعمُ الكاسى ؛ قد جنى عليه وأساءَ إليه.

وبلغه ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ أن كعبَ بن زُهير هجاهُ ؛ فنذرَ دمَه ؛ فجاءَه متنكِّراً حتى دخل المسجِدَ ؛ واستأذنه فى إيراد مِدحته ؛ فأذِنَ فقام بين يديه وأنشد :

بانَتْ سُعادُ فقلبى اليومَ متْبولُ
مُتيَّـمٌ إثرَها لم يُفْدَ مكبولُ

فلما بلغَ إلى قوله:

نُبِّئتُ أنَّ رسول الله أوعدَنى
والعفوُ عند رسولِ الله مأمولُ

فقال: عفَى الله عنكَ؛ وخلعَ عليه بُردَتَه؛ وطيَّبَ نفسه وأمَّنَه؛ ولولا شِعرُهُ لطاحَ دمُه وكان مآلُه جهنَّم.

وحدّث أبو غزيَّةَ الأنصاريُّ؛ قال: لَّما أنشدَ حسَّانُ بْنُ ثابت رسول الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ كلمَتَه حتى وصل إلى قوله:

هجَوْتَ مُحَمَّداً فأجبتُ عنهُ
وعندَ اللهِ فى ذاكَ الجزاءُ

تبسَّم ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ؛ وقال له: جَزاكَ اللهُ الجنَّةَ على ذلك.

ثم أنشده:

فإنَّ أبى ووالدَه وعِرْضى لعِرْضِ مُحَمَّدٍ منكم وِقاءُ

فقال ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ: وقاكَ اللهُ حرَّ النَّار.

ولما قتلَ النَّبىُّ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ النّضْرَ بْنَ الحارث؛ أنشأَتْ ابنتُه قُتيلة تقول من أبيات:

أَمُحَمَّدٌ ولأنتَ نجلُ نجيبةٍ
فى قومها والفَحْلُ فحْلٌ مُعْرِقُ
ما كان ضرَّك لو مَنَنْتَ وربَّما
مَنَّ الفَتَى وهو المَغيظُ المُحنقُ

فلما سمع ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ شِعرَها ؛ قال ـ وما ينطقُ عن الهوى ـ : لو سمعْتُه قبل قتلِه لما قتلتُه.

ومدحَهُ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ العبَّاسُ بنُ مرداس السُلَمىُّ بأبيات منها :

رأيتُكَ يا خيرَ البريَّةِ كلِّها ؛
نشَرْتَ كتاباً... ؛ جاءَ بالحقِّ مُعْلَما
شرَعْتَ لنا دينَ الهُدى بعد جَيْرِنا
عنِ الحقِّ لَّما أصبحَ الحقُّ مُظلِما
فمن مُبلِغٌ عنِّى النَّبِىَّ محمداً... ؛
وكلُّ امرئٍ يُجْزَى بما كان قدَّما
أقمْتَ سبيلَ الحقِّ بعدَ اعوجاجهِ
..... ؛ وكان قديماً رُكنُه قد تهدَّما

فخلعَ حُلَّتَه عليه ؛ وقطع لسانَه بإحسانه إليه ؛ ولولا الشِّعرُ ؛ لما شمِلَه من النَّبِىِّ البِرُّ.

وقد سمِعَ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ الشِّعرَ من جماعةٍ غير هؤلاء ؛ مُقبلاً

بالإصغاء عليهم ؛ ومائِلاً بالاستحسان إليهم ؛ فمنهم أعشى بنى مازِن ؛ وضِرار بن الأزْوَر ؛ وقِردة بن نُفاثة السَّلُولىّ.

وسمعَ من عبد الله بن كُرْز اللَّيْثىِّ ؛ ومن حُمَيْد بن ثَوْر ؛ ومن النَّمر بن تَوْلَب العُكْلىِّ ؛ ومن لبيد بن ربيعة ؛ ومن فَرْوَة بن عامرِ الجُذامىِّ ؛ ومن عَمرو بن سالمٍ الكعبىِّ.

... ؛ ألا ترى أن جسَّاسَ بنَ مُرَّة قتلَ كُلَيْبَ وائِلٍ فى غِرَّةِ بناقةِ جارِ خالتِه لأبياتٍ قالتْها ؛ وهى :

لعَمرُ أبى لو كُنتُ فى دارِ مِنْقرٍ.....

..... ؛ لما ضِيمَ سعْدٌ وهْو جارُ أُبَيَّاتى

..... ؛ ولكننى أصبحتُ فى دار غُربةٍ

متى يغْدُ فيها الذِّئْبُ يغْدُ على شاتى

فَيا سعْدُ لا يغْرُرْكَ قومىَ وارتحِل

؛ فإنَّك فى حىٍّ عن الجارِ أمواتِ

ودونَك أذوادى فسُقْها فإننى.....

..... ؛ لَخائِفَةٌ أن يغْدِروا ببُنَيَّاتى

فلما سمع جسَّاسٌ الأبيات حرَّكتْه وهزَّتْه وأغضبتْهُ ؛ وقال : أقلِّى عليكِ أيتها العجوز ! ؛ فلأقْتُلنَّ بناقةِ جارِكِ أعظمَ فحلٍ للعرب.

فظنَّتْه يقتلُ بعض إبل كُلَيْب ؛ فخرجَ من وقته فطعنَ كُلَيْباً فقتلَه.

ودخل سُدَيْفٌ على السَّفَّاح وعندَه بنو أُميَّة على مراتِبِهم ؛ فأنشده :

لا يغُـرَنْكَ ما ترى من أُناسٍ.....

..... ؛ إنَّ تحْتَ الضُّلوعِ داءً دَوِيًّا

فضَعِ السيفَ وارفعِ السَّوطَ حتى

..... ؛ لا ترى فوقَ ظهرِها أُمَوِيًّا

وأنشدَه سُدَيف أيضاً :

أصبحَ المُلكُ ثابتَ الآساسِ

بالبَهاليلِ من بَنى العبَّاسِ

حتى انتهى إلى قوله :

واذكُروا مصْرَعَ الحُسين وزَيدٍ

وقتيلٍ بجانبِ المِهْراسِ

تأثَّر السَّفَّاح بذلك تأثُّراً بانَ فى صفَحاتِ وجهه ؛ وكان سَبباً لقتل بنى أُميَّة.

والقوْلُ يفعلُ ما لا تفعَلُ الإبَرُ

وأمر بضربِ رِقابِهم عن آخرهم ؛ وقصَّتُهم مشهورة.

ولولا الشِّعرُ والشَّاعر ؛ لذهبَتِ النَّفس والأباعر.

وقيل لَمَّا بلغَ علقمَةَ قولُ الأعشى :

تَبيتون فى المشتى مِلاءً بُطونُكم

وجاراتُكم غَرْثَى يبِتْنَ خمائصا

بكى ؛ ولعله لم يبْكِ عندَ حلول النوائبِ وقراعِ المصائب ؛ ولو عاينَ الموتَ فى الحروب ؛ ومُنازلةَ الأبطال عند الكروب !.

وقيل : كان سبب خروج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان قول الشاعر :

أفى الله أمَّا بحْدَلٌ وابنُ بحدَلٍ
فيَحْيا وأمَّا ابنُ الزُبَيْرِ فيُقتَلُ

فقال : لا والله !.

وطلبَ دمَ آلِ الزبير ؛ وكان منه ما كان.

وقال يحيى بنُ خالد : سألنى رجلٌ من بنى أُميَّة أنْ أوصلَهُ إلى الرشيد ؛ فقلتُ له : إنَّ أمير المؤمنين مُنحرِفٌ عن كل مُنتسِبٍ إلى أُميَّة ؛ وحنَقُه عليهم وسوءُ اعتقادِه فيهم مشهور ؛ فإن كانت لك حاجةٌ غيرُ هذه فأنا أقضيها لك ؛ فأبى إلا إيصالَه إليه ؛ فعرَّفتُ الرشيدَ ما كان من التماسه وجوابى له ؛ فأمر بإحضاره ؛ فلمْ أرْتَب أن يُمْسى مقتولاً ؛ فلما مثُل بين يديه أنشده :

يا أمينَ اللهِ إنِّى قائِلٌ..... ؛
قولَ ذى عقْلٍ ودينٍ وأدَبْ
لكُمُ الفضلُ علينْا ولنا.....
بكُمُ الفضلُ على كلِّ العرَبْ

عبدُ شمسٍ كان يتلو هاشِماً

.....؛ وهم بعْدُ لأُمٍّ ولأبْ

فصِلوا الأرحامَ منَّا إنَّما.....

عبدُ شمسٍ عمُّ عبدِ المطَّلِبْ

فقال له الرَّشيد: صدَقْتَ، ؛ مُتأثِّراً بقوله؛ وقد عمِلَ الشعرُ فى نفسه؛ وأمرَ له بأربعين ألف درهَم.

قال يحيى: ولولا الأبياتُ لأمرَ بأخذ رأسه.

ولمَّا مدح أبو تمام الطائىُّ أحمدَ ولدَ المُعتصمِ بكلمتهِ التى أولها:

ما فى وقوفِكَ ساعةً من باسِ

تقضى ذِمامَ الأربُعِ الأدْراسِ

فلما وصل إلى قوله:

إقدامُ عَمروِ فى سَماحة حاتِمٍ

فى حِلْمِ أحْنَفَ فى ذَكاءِ إياسِ

قال له بعضُ الحاضرين ـ وهو يعقوبُ الكِندىُّ ـ: كيفَ تُشبِّهُ ولد أمير المؤمنين بأعرابٍ أجلافٍ وهو أشرفُ منزلةً وأعظمُ مَحِلَّةً؟!.

فانقطع وأطرقَ؛ ثم رفع رأسَهُ وأنشدَ مُرتَجِلاً:

لا تُنكِروا ضَرْبى لهُ مَن دونَه

مَثَلاً شَروداً فى النَّدى والباسِ

فاللهُ قد ضربَ الأقلَّ لنورِهِ
مثَلاً من المِشكاةِ والنِّبْراسِ

فاهتزَّ لذلك طرَباً ؛ وبُهِتَ له متعجِّباً ؛ ووقَّعَ له بالموصِل إجازةً .

وفى هذا الباب من تأثير الشِّعْرِ ما يكثرُ منه العجبُ العُجاب.)). أهـ.

.....

ـ مَقْصِـدٌ :

قَالَ فِى ((نُضرة الإغريض فى نُصرة القريض)) :

((ـ فى كشفِ ما مُدِحَ به وذُمَّ بسببه ؛ وهل
تعاطيهِ أصلح ؛ أم رفضه أوفر وأرجح :

أمّا مدْحُ الشِّعرِ على لسان النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ وألسُنِ الصحابةِ ـ رُضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم أَجْمَعِين ـ ؛ فكثيرٌ غزير ؛ لا يُنْكِرُ ذلك إلا غِمْرٌ من الأدبِ فقير.

وفى الاقتداء بهِم والاقتفاء لمنهجِهم رشادٌ لا يضِلُّ سالكُه ؛ ومِهادٌ لا يُزَحْزَح مالِكُه ؛ وزَنْدٌ لا يُصلِدُ قادِحُه ؛ وإمدادٌ لا يُنزَفُ ماتِحُه.

فمن ذلك قولُه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ مِنَ الشِّعرِ لَحِكْمَة ﴾.(١).

---

(١) - أَخْرَجَ البُخَارِىُّ (ح : ٦١٤٥) مِن حَدِيثِ أُبَىِّ بْنِ كَعْب ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : ﴿ إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً ﴾. =

وفى موضعٍ آخر: ﴿ إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكَمًا ﴾ .(١).

هذا قولُه ؛ وهو ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ لا ينطبقُ عن الهَوى.

وناهيكَ بذلكَ فضيلةً للشعرِ والشعراء ؛ ومَزِيَّةً عظُمَ بها قدرُ الأدبِ والأُدباء.

وقال عبدُ الله بنِ عبَّاس: تعلَّموا الشِّعرَ ؛ فإنَّه أولُ عِلْم العرب ؛ وهو ديوانُ الأدب ؛ وعليكم بشعرِ أهلِ الحجاز ؛ فإنَّه شِعرُ الجاهليَّة ؛ وقد عُفِىَ عنهُ.

وقال عمرُ بنُ الخطَّابِ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ: تحفَّظوا الأشعارَ وطالِعوا الأخبار ؛ فإنَّ الشِّعرَ يدعو إلى مكارم الأخلاق ؛ ويُعلِّمُ محاسِنَ الأعمال ؛ ويبعثُ على جميلِ الأفعال ؛ ويفتُقُ الفِطْنَةَ ؛ ويشحَذُ القريحة ؛ ويحدو على ابتناءِ المناقبِ وادِّخار المكارمِ ؛ وينهى عن الأخلاقِ الدنيئةِ ؛ ويزجُرُ عن مُواقَعَةِ الرِّيَبِ ؛ ويحضُّ على معالى الرُّتَب.

وَأَخْرَجَهُ أَبُودَاود (ح: ٥٠١٠) ؛ وَابْنُ مَاجَه (ح: ٣٧٥٥) ؛ وَمَعْمَرُ بْنُ رَاشِد فِى جَامِعِهِ (ح: ٢٠٤٩٩) ؛ وَأَبُو دَاود الطَّيَالِسِىُّ فِى « مُسْنَدِهِ » ؛ (ح: ٥٥٨) ؛ وَعَبْدُ الرَزَّاق الصَّنْعَانِىُّ فِى « الأَمَالِى فِى آثَارِ الصَّحَابَة » ؛ (ح: ١٠١) ؛ وَابْنُ أَبِى شَيْبَةَ فِى « الأَدَب » ؛ (ح: ٣٥٣) ؛ وَفِى « مُصَنَّفِهِ » ؛ (ح: ٢٦٠٠٥).

(١) - أَخْرَجَ التِّرْمِذِىُّ (ح: ٢٨٤٥) ؛ مِن حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاس ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ـ ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: ﴿ إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكَمًا ﴾ .

وَقَالَ التِّرْمِذِىُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ؛ وَقَالَ الأَلْبَانِىُّ: حَسَنٌ صَحِيح .

وقالَ معاوية : علِّموا أولادَكم الشِّعرَ ؛ فإنِّى أدركتُ الخِلافةَ ونلتُ الرئاسةَ ووصلتُ الى هذه المنزلةِ بأبياتِ ابنِ الإطنابةِ ؛ فإننى يومَ الهرير كُلَّما عزمتُ على الفِرارِ أنشدتُ قولَه :

أَبَت لى عِفَّتى وأبى بَلائى .. ؛
وأخْذى الحمدَ بالثَّمنِ الرَّبيحِ
وقولى كُلَّما جشَأَت وجاشَت
مكانكِ تُحْمَدى أو تَسْتَريحى

فأثبتُ وأقول : مكانكِ تُحمَدِى أو تستَريحى.

ولَّما قدِمَ الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ العراقَ ؛ جَفا الشُعَراءَ جفاءً اتصلَ خبرُهُ بعبدِ الملكِ بنِ مروان ؛ فكتب إليه :

بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم

من عبدِ اللهِ عبدِ المَلك ؛ إلى الحجَّاج بنِ يوسف :

أمَّا بعدُ : فقد بلغَنى عنك أمرٌ كذَّبَ فَراستى فيك ؛ وأخلفَ ظنِّى عندَك ؛ وهو إعراضُكَ عن الشِّعْرِ والشُعراء ! ؛ فإنَّكَ لا تعرِفُ فضيلةَ الشِّعْرِ ؛ ولا تعْلَمُ مواضِعَ كلامِ الشُعراءِ ومواقِعَ سهامِهِم ؛ أوَ ما علِمتَ يا أخا ثقيف ؛ أنَّ بالشعرِ بقاء الذِّكْرِ ونماء الفخْرِ ؛ وأنَّ الشُّعراءَ طُرُزُ المملكةِ ؛ وحُلىُّ الدولة ؛ وعناوينُ النِّعمةِ ؛ وتمائِمُ المَجْدِ ؛ ودلائِلُ الكرمِ ؛ وأنهم يحُضُّونَ على الأفعالِ الجميلةِ ؛ وينهونَ عن الخلائِقِ الذَّميمةِ ؛ وأنهم سَنُّوا سبيلَ المكارِمِ لطُلاَّبِها ؛

ودلُّوا بُغاةَ المحامِد على أبوابِها ؛ وأنَّ الإحسانَ إليهم كرَم ؛ والإعراضَ عنهم لُؤمٌ وندَم ؟!.

فاسْتَدْرِكْ فارِطَ تفريطِكَ ؛ وامْحُ بصوابِك وحْىَ أغاليطِك.

...

ومن فضيلة الشِّعرِ أنَّ العُلَماءَ بالأدبِ لا يستطيعونَ نظْمَ البيتِ الفَذِّ منه ؛ مع عدَمِ الطبيعةِ فى نظمِهِ والمِنْحَةِ من اللهِ تَعالى فى تأليفِه ؛ لقولِه تعالى : ﴿ وما علَّمناهُ الشِّعرَ وما ينْبغى له﴾ .

فعَزى تعليمَهُ إليه سُبحانَه ؛ وجعلَه من جُملةِ هِباتِه للمخلوقِ وزينتِه التى يكسوها من يشاءُ ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَزيدُ فى الخَلْقِ ما يشاء﴾ .

ولولا أن تكون هذه المَزيَّةُ ؛ والفضيلةُ السَّنِيَّةُ ؛ مَوْهِبةً من اللهِ تعالى ؛ لما تعسَّرَت على العُلماء ؛ مع معرفَتِهم بأدواتِها وقبضِهم على أزِمَّةِ آلاتِها ؛ وتسهَّلَت على الخِلْوِ من الأدب ؛ والنِّضْوِ فى مسارح ذلكَ الصَّبَب ؛ حتَّى يقولَ ما لا يعرفُ تعليلَهُ ؛ وينظمَ ما يجهلُ فروعَهُ وأصولَهُ !.

ومن فضيلةِ الشِّعرِ ؛ أنَّ الكلامَ المنثورَ ؛ وإن راقَت ديباجتُهُ ؛ ورقَّت بهجَتُهُ ؛ وحسُنَت ألفاظُهُ ؛ وعَذُبَت مناهلُهُ ؛ إذا أنشدَه الحادى ؛ وأوردَه الشَّادى ؛ ومدَّ به صوتَهُ المطرِبُ ؛ ورفَعَ به عقيرتَهُ المُنشدُ ؛ لا يُحرِّكُ رزيناً ؛ ولا يُسلى حزيناً ؛ ولا يُظهِرُ من القلوبِ كميناً ؛ ولا يخَوِّنُ من الدَّمْعِ أميناً.

فإذا حُوِّلَ بعينِهِ نظماً ؛ ووُسِمَ بالوزنِ وَسْماً ؛ ولَجَ الأسماعَ بغيرِ

امتناع ؛ ومَلَكَ القلوبَ كما تُملَكُ الإماء فى الحروب ؛ وقبضَ على الجوارحِ قَبْضَ الجبائِرِ على الجرائِحِ ؛ فكم من نَفْسٍ استعادَتْ بهِ نفسَها ؛ وكمْ من مُهْجَةٍ ذهبَ بها واختلَسها ؛ وكم من كريمٍ أحياهُ ؛ ومن لئيمٍ أرداه ؛ وكم من فقيرٍ أغناهُ ؛ وكم من غنىٍّ أخلاه ؛ فضيلةٌ لم تكن إلا لهُ أبداً.

والشِّعرُ معدِنُ تفضيلٍ وإعجازٍ ؛ يُشَجِّعُ الجبانَ الوَكِل ؛ فلا فرار عندَهُ ولا نَكَل ؛ ويسمَحُ البخيلُ وإنْ برِمَ ؛ ويسْتَصبى الشَّيْخَ وإن هَرِم.

فمُعْجزاتُه باديةٌ ؛ وآياتُه رائحةٌ غاديةٌ.

وأمَّا من ذهبَ إلى ذَمِّه وتنَقُّصِه لسوءِ فهمِه ؛ فإنَّما هو مُتَمسِّكٌ بشُبَهٍ لم يعْرِف تأويلَها ؛ مُسْتَنِدٌ إلى حُجَجٍ لم يعلم تعليلَها ؛ خابِطٌ فى عشواءَ مُظلِمَةٍ ؛ مُتورِّطٌ فى خوْضٍ وعْثاءَ مُؤلمة.

وقال أحمدُ بنُ حنبل ـ رحِمَه اللهُ تعالى ـ : إنَّما يُكْرَه من الشِّعرِ ؛ الهجاءُ ؛ والرقيقُ الذى يُتَشبَّبُ فيه بالنساء ؛ فتَهيجُ له قلوبُ الفتيان.

فأما سوى ذلك فما أنفَعهُ.

رُوى عن الحسنِ فى قوله تعالى : ﴿ ألمْ تَرَ أنهم فى كُلِّ وادٍ يهيمون﴾ أنه قال : قد رأينا أودِيَتَهم التى كانوا يهيمونَ فيها ؛ مرَّةً فى مديحٍ ومرَّةً فى هجاء.

ورُوىَ عن ابن مجاهدٍ أنه قال : إنَّما يَهيمونَ فى كُلِّ فنٍّ يَفْتَنُّونَ فيه من فُنونِ الشعرِ.

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ وأنَّهم يقولونَ ما لا يَفعلون﴾ .

أى يدَّعونَ على أنفسهم أنهم قتَلوا وما قتَلوا ؛ وزَنَوْا وما فعلوا ؛ وما شابَه ذلك. وأقوالُ المفسِّرينَ فى ذلك كثيرةٌ شهيرة ؛ ولا نزاعَ فى اختصاصِ الآية بشعراء الجاهليَّة .

ثم مِن جَهْلِ المُحتجِّ على الشُّعراء بهذهِ الآية ؛ كونهُ لم يعلم بمَن استُثْنى فيها ؛ وتَلا أوَّلها ونسِىَ آخرَها ؛ وهو قولُه تعالى : ﴿ إلاَّ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ وذكَروا اللهَ كثيراً وانتصَروا من بعدِ ما ظُلِموا﴾ .

وتمسّك الذَّامُّ للشِّعر والشُّعراء بقول مَنْ قال :

الشِّعرُ أخبثُ طُعمةٍ تؤْكَل ؛ وأفحشُ صِناعةٍ تُعمَل ؛ وأرجسُ قِدْحٍ يُلْمَس ؛ وأبخسُ ثوبٍ يُلبَس ؛ لأن قولَ شاعرِه زُورٌ ؛ وثناءهُ غُرُور ؛ ولفظهُ فُجور ؛ وهو مُستثْقَلٌ مهجور ؛ إن بعُدَ خِيفَ شَذاهُ ؛ وإن قرُبَ لم يُؤمَن أذاه ؛ وإنما غايةُ الشاعر إذا اسحنفرَ فى مَيدانِه ؛ وأطلقَ عِنانَ لسانِه ؛ وتبوَّعَ فى القولِ بجُهدِه ؛ وتدرَّع فى الوصفِ بجدِّه ؛ واحتفلَ لبلوغِ شأوهِ عندَ من يجتديهِ ؛ وترامَى إلى أقصى بُغْيَتِه عندَ من يعتريه ويعتفيه ؛ أن يُفوِّقَ فى وصفِ جَمَلٍ ؛ ويُطنِبَ فى مُساءلة طَلَل ؛ ويبكى على رَسْمٍ داثرٍ ؛ ويقِفَ ويستوقفَ على رمادٍ ثائر ؛ ويرحِّل النوقَ والجِمالَ ؛ ويصفَ قطْعَ المفاوزِ وتعسُّفَ الرِّمالِ ؛ ويذكرَ ورودَ المياهِ الأواجنِ ؛ ومصاحبةَ الغِلانِ والسَّعالى فى تلك المخارمِ !.

وأىُّ عقْلٍ أقلُّ ؛ ورأيٍ أجوَرُ وأضلُّ ؛ من عقلِ رجُل انتصبَ لسماعِ

ذلك ؛ ورأى شاعرٍ أتعبَ نفسَه وكدَّ حِسَّهُ في وصفِ بقَرٍ وسؤالِ حجرٍ ؟!.

ثُمَّ إنَّ الشاعرَ إذا نظمَ قِطعةً ؛ واختطفَ معنىً ؛ استصغرَ من الشُّعراء الصَّدْرَ الأوَّل ؛ واستحقرَ من العلماءِ الخليل والمفَضَّل ؛ وليس عنده سوى لُمَعٍ قد أخذها من بطون الكُتبِ وصحَّفها من مُتونِ الصُّحُف ؛ ولم يتدرَّج إلى معرفة أدبٍ بطولِ صُحْبَةٍ ولا بقديمِ رياضةٍ ؛ وإذا لم تَطُلِ الصُحبةُ لم تُعرَفِ المظَنَّةُ ؛ وللعِلمِ سِرٌّ ؛ مَنْ قصَّر عن مكانِه لم يُعَدَّ من إخوانِه.

وكم من شاعرٍ قد ابتُلىَ به مَن أنعمَ عليه وأحسنَ إليه ؛ فقابلَ الإحسانَ بالإساءةِ ؛ والإنعامَ بالانتقام ؛ وحُسْنِ الصنيع بقُبحِ التضييع ؛ حتى أذاقَه بعدَ حلاوةِ مدائحهِ مرارةَ هجائه ؛ وجرَّعهُ غُصَص ثَلبه ومضضَ ذمِّه ؛ ناقِضاً لما أبرَم ؛ هادِماً لما شيَّدَ ؛ ومكذِّباً نفسه فيما قدَّم ؛ لا تصرِفُه عنهُ أنَفَةٌ ؛ ولا يَرْدَعُهُ حياءٌ ؛ ولا يقذُعُه دينٌ ؛ ولا يزَعُهُ تُقَى.

وكم من كريمِ الطرفينِ ؛ عالى الجدَّيْن ؛ صريح النَّسب ؛ صحيحِ الحسَب ؛ عظيم الرُّتَب ؛ شريفِ الأم والأب ؛ قد قذَفَه بهَجْو ؛ زَنيمٌ فى نسبهِ ؛ لئيمٌ فى ادِّعاءِ أبٍ غيرِ أبيه ؛ وضيعٌ قدْرُه ؛ حقيرٌ أمرُه.

وكم من حُرَّةٍ كريمةٍ ؛ وعفيفةٍ مأمونةٍ ؛ ومخَدَّرةٍ مصونةٍ ؛ قد هتَك الهجوُ خِدرَها ؛ وكشفَ عنها سِتْرَها ؛ فشمِلَها العار ؛ وحلَّ بها الشَّنار ؛ فهى لا تُطيقُ لذلك دِفاعاً ؛ ولا تجدُ منه امتناعاً.

وأىُّ مُصيبةٍ أعظمُ ؛ ورزِيَّةٍ آلمُ ؛ من شاعرٍ رمَى حُرمةَ مُحسنٍ إليه

بقَذْعِه ؛ ووسمَ جهةَ مُنعمٍ عليه بقذفِه ؛ فلزمَهُ عارُ هجائهِ لزومَ طوْقِ الحمامةِ ؛ إلى يومِ القيامة ؟!.

وإنما يُكرَمُ الشاعرُ مخافةً من شرِّه ؛ وحَذَراً من بذىء لسانِه ؛ وقلَّة دينِه ؛ وعدمِ مُروءَتِه.

فكم من كريمٍ جعلَهُ الشعرُ بخيلاً ؛ وصريحٍ فى قومهِ تركَه دخيلاً ؛ وشُجاعٍ صيَّرهُ جباناً ؛ وأمين غادرَه خَوَّاناً !.

ولو عدَدْنا مَنْ فعلَ ذلك من الشُّعراء ؛ ومن قابَلَ منهم الإحسانَ بالذّمِّ والهجاءِ ؛ لصنَّفْنا فى ذلك كُتُباً ؛ وأوردْنا منه طريفاً عجَباً.

هذا زُبدَةُ من مَخَّضَ وِطابَهُ فى ذمِّ الشِّعرِ والشُّعراء ؛ ونبذِه ونبْذِهم من الجَفوةِ بالعَرا والعراء.

وسنذكُرُ الجوابَ عن ذلك مختصراً إن شاءَ اللهُ تعالى.

الجوابُ ـ وبالله التوفيق ـ :

اعْلَمْ أيُّها الذامُّ ـ أصلحكَ اللهُ تعالى ـ ؛ أنَّ الحقَّ غيرُ ما توخَّيْتَ ؛ والصِّدقَ غيرُ ما آخيْتَ ؛ ومَنْ نازَعَ فى أمرٍ ولم يُنافِر إلى حاكمٍ غيرِ نفسِه ؛ لم يظْفَر بمحجَّة حُجَجِه وكشْفِ لَبْسِه ؛ ومن سوَّلَ لهُ الشيطانُ فى خلواتِه أمْراً فرضىَ بهِ ؛ وأطْباهُ هواهُ لغرَضٍ فقادَه الجهلُ إليه ؛ لم يزَل فى مضَلَّةٍ عن الحقِّ ؛ وحَيْرةٍ مُظلمةٍ فى تلك الطُّرُق ؛ والعُجْبُ بالرأى آفةُ العقلِ ؛ والقلوبُ مع الأهواءِ سريعةُ التقلُّبِ ؛ سيَّما إذا لم يكن لَها قائدٌ من الإنصافِ

بصير؛ ولا معينٌ من الإرشادِ نصير؛ ولم يكُن لأوَدِها مثقِّفٌ ولا مُقوِّمٌ؛ ولا فى مُجْهِلها هادٍ ولا مُعلِّم؛ ومن رضىَ شيئاً شَنِئَ ضدَّهُ؛ واحتجَّ لباطلِه جُهْدَه؛ وتسخَّطَ ما خالَفَه؛ وأنكرَ منه ما عرَفَه؛ وكان لِما انهدَم منه مُشيِّداً؛ ولما شرَدَ من محاسنِهِ مُقيِّداً؛ وعمَّا عرضَ عن مساوئِهِ حَيوداً مُعْرِضاً.

وليسَ من العدلِ ما أنتَ عليهِ؛ ولا من الإنصافِ ما ذهبتَ إليه؛ والعِلمُ غير ما توهَّمتَ؛ والأدبُ ليسَ كما زعمتَ.

وإنَّما العِلمُ مَنيعُ الحِمى؛ صعْبُ المُرتَقى؛ لا يُنالُ بالمُنى؛ ولا يُدرَك بالهُوَيْنا؛ ولن يَحْظى به إلاَّ مَنْ أحبَّهُ لنفسِه ونفاستِه؛ وطلبَهُ لذاتِه ولَذاذتِه؛ وتعشَّقَه لعَيْنِه ومزيَّتِه؛ وكانَ مُؤْنِسَهُ فى الوحشَةِ؛ وثانيه عندَ الوَحْدةِ؛ يتكثَّرُ به لدى القِلَّةِ؛ ويعتزُّ بهِ فى حالِ الذِلَّةِ.

ولن يُعطيكَ بعضَهُ حتى تُعطِيَهُ جُملتَك؛ ولا يُصحِبُ إليكَ حتى تُلقىَ نفسكَ عليه؛ وربَّما كان مع ذلك عزيزاً عليك مرامُه؛ بعيداً من يَدِكَ منالُه؛ ألا تراهُ لَّما دخلَ فيه مَن ليسَ هو منه؛ واقتنعَ باسمِه دونَ عَيْنِه وجسمِه؛ كيفَ ذهبَ بهاؤه؛ وغاضَ رونقُه؛ واستحالَت نضارتُه؛ وتعطَّلَت سُنَنُه؛ وطُمِسَ سَنَنُه؛ واستُخِفَّ بقدرِهِ؛ واستُهينَ بأمرِه؛ ونُبِذَت رُسومُه؛ وأقْوَتْ رُبوعُه؛ ونُقِضَتْ شروطُه؛ واستُحْدِثَت فيه البِدَعُ؛ وظهرتْ فيه الشُّنَعُ ؟!.

ويجبُ - أيُّها الذَّامُّ - أن تعلمَ أنَّ الشِّعرَ كلامٌ؛ وفى الكلام الجيِّدُ والردىءُ؛ وما يُكتسَب به الثوابُ؛ وما يُجتَلَبُ به العقابُ؛ وما تُبتاعُ به الجِنَان؛ وما تُشْتَرى

به النِّيرانُ.

فكيفَ يُطلَقُ الذَّمُّ على الجميع ؛ ويُؤْخَذ الرَّفيعُ بالوضيعِ ؛ ويُلحِقُ بالشِّعرِ كلِّه كراهيةً تختصُّ ببعضِه ؟!.

واعْلَمْ أنَّ الشُعراءَ بشَرٌ ؛ وفى البشر الصالِحُ والطالِحُ ؛ والعاقِلُ والجاهلُ ؛ والمحمودُ والمذموم.

وليس من العقل والعدْلِ أن نجِدَ فى رَجُلٍ خَلَّةً مذمومةً فنَذُمَّ من أجلِها كلَّ من تسمَّى باسمِه ؛ وكلَّ منْ انتسبَ الى أصلهِ وجِذْمِه ؛ وكلَّ داخلٍ فى صناعتِه ؛ وكلَّ معدودٍ من جماعتِه !.

وهل يَحسُنُ باللبيبِ العاقلِ أن يَرى كاتِباً لحَّاناً ؛ رديئاً خطُّه ؛ مُخطِئاً شكلُه ونَقْطُه ؛ فيَذُمَّ من أجلِه كلَّ كاتبٍ ؛ ويُبْعِدَ لبُغضِه كلَّ ضابطٍ وحاسِب ؟!.

هل يُعَدُّ فاعلُ ذلك فى جملةِ المكلَّفين ؟! .

كلاّ واللهِ !.

وكذلك كلُّ صِناعةٍ إذا برَّز واحدٌ فيها وأجادَ ؛ فما يستحقُّ جميعُ أهلِها المدْحَ ؛ كما أنه إذا قصَّر واحدٌ فيها وأخطأ لا يُلْحَقُ بكلّ أهلِها الذَّمُّ ؛ وإنما من العدلِ والإنصافِ ؛ وشِيَمِ الكُرَماءِ الأشرافِ ؛ أن يُعْطَى كلُّ شىءٍ قِسطَه ؛ ويوفَّى كلُّ ذى قسمٍ حقَّهُ ؛ فيُلْحَقُ المدحُ بأربابِه ؛ والذمُّ بأصحابه.

واعلَمْ أيُّها الذَّامُّ أنَّ الشِّعرَ صِناعةٌ عزيزةٌ شريفةٌ ؛ يخْلُدُ ذكرُها خُلودَ الدّهرِ ؛ ويَبْقى فخرها بقاءَ الأبدِ.

ومن لم يجْرِ فى مَيْدانِ النَّظْمِ ؛ ولم يبرِّز فى رِهانِ الحِذْقِ والفَهْمِ ؛ ولم تَرُض قَريحَتَهُ رياضةُ القَريض ؛ ولم يدْعَك خاطرَهُ تنافُرُ القوافى دعْكَ الأديمِ ؛ وتأبى عليه المعانى إباءَ الصَّعْبِ الجَموحِ ؛ وتعْتاصُ عليه الألفاظ العذبةُ الحلوةُ اعتياصَ البطىءِ الطليحِ ؛ ويصعُبُ عليه ردُّ الشواردِ من مقاصدِه ؛ ويمتنعُ عليه الخروجُ من النَّمَطِ الموضوعِ والحدِّ المحدود الى غيرِه من التَّفنُّنِ فى الصِّفاتِ والتشبيهاتِ ؛ لم يعلم بحقائقِ الشِّعْرِ ودقائقِ المعانى ؛ ولم يعرف هل يستحقُّ قائلُهُ المدحَ أو الذمَّ ؛ اللهمَّ إلاَّ إن كان مُقلِّداً لا مُنتقِداً.

فاعرفْ أيُّها الذَّامُّ ذلك ؛ وإيَّاكَ أن تتعرَّضَ لذمِّ فضيلةٍ جليلةٍ ؛ قد مُدِحَت على لسانِ سيِّدِ البَشَر ؛ وأشرَفِ مُضَرَ ؛ أو تنالَ من أديبٍ ذى خِصِّيصَةٍ لا تُرتَقى درَجَتُها ؛ ولا تُتَّقَى فِراسَتُها ؛ فكم من رفيعٍ اتَّضعَ ؛ وعزيزٍ ذَلَّ وخضَعَ ؛ بتعدِّيه على الأُدباءِ ؛ وتنقُّصِهِ منازلَ الفُضَلاء ؛ ومن بُنيانٍ انهدم ؛ وسُلطانٍ عُدِمَ ؛ وقِرانٍ عبَرَ ؛ وشَرْعٍ نُسِخَ ؛ وعَقْدٍ مُحْكَمٍ فُسِخَ ؛ ومعالِمُ الشِّعرِ قائمةٌ لا تُلوى ؛ وأعلامُه منشورةٌ لا تُطوى ؛ ورياضُهُ مونِقَةٌ غيرُ خاويةٍ ؛ وأغصانُه مورِقةٌ غيرُ ذاويةٍ ؛ يُحلِّمُ السفيهَ ؛ ويُجمِلُ النَّبيهَ ؛ ويُريقُ الدماءَ ويحقُنُها ؛ ويذيلُ الأعراضَ ويحصِّنُها ؛ يقرِّبُ المآربَ الشاسعةَ ويُنئيها ؛ ويبعدُ المطالبَ الواسعةَ ويدنيها ؛ وينفعُ ويضرُّ ؛ ويسوء ويسرُّ ؛ ويعزِلُ ويُولِّى ؛ ويُفقِر ويُغنى.

وأما قولُنا فى أول الفصل : وهل تعاطيه أصلَحُ ؛ أم رفضُه أوفر وأرجحُ ؟.

فالجواب: كيفَ يكون ترك الفضائلِ خيراً من تعاطيها؛ واجتنابُ المناقِبِ أصلحَ من مواصلَةِ مَعالِيها ؟!.

وما علِمْنا أنَّ أحداً من البشَرِ استطاعَ نظمَ الشِّعرِ وكان فيه مُجيداً؛ وتركَ ذلك.

كما نُقِلَ عن المأمونِ لَّما قيلَ له: هلاَّ نظمتَ شِعراً؛ فقال: يأْبانى جيِّدُه وآبى رَديئَه. وله مع هذا أشعارٌ كثيرةٌ مشهورة.

ولو عدَّدْنا مَنْ تعاطى نظْمَ الشِّعرِ من الخُلفاءِ؛ والمُلوكِ والأُمراءِ والوزراءِ؛ والقُضاةِ والزُهَّادِ؛ والقُوَّادِ والعُلماء والأشرافِ؛ لأفرَدْنا له كِتاباً يجِلُّ رقمُهُ؛ ويثقُلُ حجمُه. حتى أنَّ جماعةً من ملوكِ بنى بُوَيْه رَشَوْا جماعةً من الشُّعراءِ؛ حتى نظَموا لهم أشعاراً فنَسبوها إلى أنفسهِم؛ ودوَّنوها على ألسنتِهم؛ لِما فى ذلك من المنزلةِ الرفيعةِ؛ والخَلَّةِ الجميلةِ؛ والمَنْقَبَةِ الجليلةِ؛ والفضيلةِ النَّبيلة؛ ولولا ذلك لما تحلَّوْا بحُلِيِّه؛ ولا تزَيَّنوا بجلابيبه.

وقد رُوىَ عن جماعةٍ من الصَّحابةِ أشعارٌ كثيرةٌ؛ حتى دوَّنوا لأمير المؤمنين علىِّ بن أبى طالب ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ ديواناً؛ ورَوَوا فيه أشعاراً حِساناً.

فأمَّا النَّبِىُّ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ؛ فقد قال اللهُ تعالى فيه: ﴿ وما علَّمناهُ الشِّعرَ وما ينْبَغى له﴾ ؛ ليكونَ ذلك أبلغَ فى الحُجَّةِ على من زعَم أنه كاهِنٌ؛ ومرَّةً ساحِرٌ؛ ومرَّة: ﴿ شاعرٌ نتربَّصُ به ريْبَ المنون﴾ .

فمنعَهُ الله تعالى من الشِّعر تكْرِمَةً له؛ لَّما كان الشِّعرُ ديْدَنَ أهلِ عصرِه الذى

بُعِثَ فيه ؛ وحُظِرَ عليه ذلك دَلالةً على صِدقِه وشهادةً على بُطلانِ قولِ المُبْطلينَ فى حقِّه ؛ وتنزيهاً له من افترائِهم عليه ؛ وزيادةً فى الحُجَّةِ له.

وما كان منْعه ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ من الشِّعْرِ إلا فضيلةً ومصلحةً وإكراماً وتطهيراً.

وليس على الشِّعرِ بذلك نقيصةٌ ولا عارٌ ؛ ولو كان كلُّ ما منَعَهُ الله تعالى منه حتى لا يرتابَ المُبطلونَ نقيصةً لذلك الفنِّ ؛ لكانَتِ الكتابةُ نقيصةً لمَّا جعلَهُ اللهُ أُميًّاً لا يكتبُ ولا يقرأ ؛ ليكونَ أوْكَدَ سبباً ؛ وأعلى شأناً ؛ وأشهرَ مكاناً ؛ ولذلك قال الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ وما كنتَ تتْلو من قبْلِه من كتابٍ ولا تخُطُّه بيَمينِكَ إذاً لارتابَ المُبْطلونَ﴾ .

فإن كان منْعُه من الشِّعرِ مذمةً ونقيصةً للشِّعرِ والشُّعراءِ ، ؛ فمنْعُهُ من الكتابةِ مذمّةٌ ونقيصةٌ للكتابةِ والكُتَّابِ.

ومعاذَ اللهِ أن يقولَ ذلك عاقلٌ ! ؛ والله تعالى يقول : ﴿ اقرأْ وربُّكَ الأكْرَم ؛ الذى علَّمَ بالقلَم﴾ ؛ وقال تعالى : ﴿ كِراماً كاتِبين﴾ ؛ يعنى الملائكة.

وقد جعلَ اللهُ تعالى أهلَ بيتِ رسولِه ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ وأصحابه وإخوانه كُتَّاباً وحُسَّاباً ؛ كما جعلَ منهم شُعراء ورُجَّازاً.

وقيل : دخل أبو علىّ المَنْقَرىُّ على المأمونِ وكان مُتكئاً على فُرُشِه ؛ قال له المأمون : بلغَنى أنكَ أمِّىٌّ ؛ وأنك لا تقيمُ الشِّعرَ ؛ وأنَّكَ تَلْحَنُ ؟.

فقال : يا أمير المؤمنين ! أمَّا اللَّحنُ ؛ فربما سبَقَ لسانى بشىء منه ؛ وأما الأُمِّيَّةُ

وكسرُ الشعرِ ؛ فقد كان رسول الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ لا يكتبُ ولا يُقيمُ الشِّعرَ. فاستوى المأمون جالساً وقد ظهرَ الغضبُ على وجهه ؛ وقال : ويلَك ! سألتُك عن ثلاثةِ عيوبٍ فيكَ فزدْتَنى رابعاً ؛ وهو جهلُك وحمقُك ؛ يا جاهل ! إنَّ ذلك كان فى النَّبِىِّ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ فضيلةً ؛ وهو فيكَ وفى أمثالِك نقيصةٌ ورذيلةٌ ؛ وإنما مُنِعَ النَّبِىُّ من ذلك لنفى الظِّنَّةِ عنهُ ؛ لا لِعيبٍ فى الشِّعر والكتابةِ ؛ ولا لنَقْصٍ لحِقَهما.)).أهـ.

...

ـ مَقْصِـدٌ :

قَالَ فِى ((نضرة الإغريض فى نُصرة القريض)) :

((ـ فيما يجب أن يتوخاهُ الشّاعرُ ؛

ويتجنَّبَه ويطَّرحَه ويتطلَّبَه :

يجب على الشَّاعر أن يتجنَّبَ سَفْسافَ الكلامِ ؛ وسخيفَ الألفاظ ؛ ونازلَ المعانى المسترَذَلَةِ ؛ ووحشىَّ اللُّغةِ المتكلَّفَة.

ولا يستعملُ التشبيهاتِ الكاذبةَ ؛ ولا الإشاراتِ المجهولةَ ؛ ولا الأوصافَ البعيدةَ ؛ ولا العباراتِ الغثَّةَ.

ولا يختصر فى موضع البَسْطِ ؛ ولا يبسُطُ فى موضع الاختصار.

فإذا أراد أن يبنى قصيدةً أو ينظم قطعةً ؛ صوَّرَ المعنى فى قلبه ؛ ومثَّلَهُ فى نفسه كلاماً منثوراً ؛ ثم أعدَّ له ألفاظاً تُطابقه ؛ واختار له من القوافى ما

يوافقه ؛ وجعله على وزنٍ يسْلسُ القولُ عليه ؛ وينقاد المعنى إليه.
فإذا نظم بيتاً ؛ تأمَّلَهُ تأمُّلَ غيرِ راضٍ عن نفسه ؛ ولا مغالطٍ لفهمه وحسِّهِ ؛ وانتقدَه انتقاد متعنِّتٍ فيه ؛ فإن وافق الصحَّةَ ؛ وجرى على منهاجِ الاستحسانِ ؛ وإلاَّ فالواجب عليه إسقاطُه.
وإنِ اتّفقَ له بيتان على قافيةٍ واحدة ؛ اختار الأوقعَ منهما وأبطلَ الآخرَ.
ويجبُ على الشاعر أنه لا يُظْهِرَ له شعراً إلا بعد ثِقتِه بجودتِه وسلامتِه من العيوبِ التي نبَّه عليها العُلماءُ وأمروا بالتحرُّزِ منها.
وأمَّا ارتكابُ الضروراتِ غير المحظوراتِ ؛ فيجوزُ استعمالُها ـ وإن كانت عند المحققينَ عيباً ؛ وقائلُها عندهم مسيئاً ـ ؛ إلا أنَّ اجتنابَها مع جَوازها أحسنُ.
ولا ينبغى الاقتداءُ بمن أساءَ من الشُّعراءِ القدماءِ ؛ بل بمن أحسنَ منهم وأجاد.
ولا يحذو إلاَّ حذْوَ الشِّعر الجيِّد ؛ والنظم المختار ؛ والطريقة الحسنة ؛ والسُّنَّة الهادية ؛ واللَّفظ الرَّشيق ؛ الحُلو اللطيف السّهلِ ؛ الآخذِ بمجامع القلوب ؛ المستولى على قُوَى النُّفوس ؛ الواصلِ إلى الأفهام من غير حجاب ؛ الهاجمِ على العقول بلا مِطْرَقٍ ولا بوَّاب ؛ المُشاكلِ للأرواح لفظاً ورقَّةً ؛ وللسِّحرِ حلاوةً ودقَّةً.
ويجبُ على الشاعر أن يتنكَّبَ سرِقةَ الأشعارِ ؛ ويتجنَّبَ الإغارةَ على المعانى ؛ فإذا حاولَ النظرَ إلى شىءٍ من ذلك ؛ جعل خاطرَهُ كوادٍ مُطمئِنٍ قد مدَّتْهُ سيولٌ جاريةٌ من شِعابٍ مختلفة ؛ أو كمَن ركَّبَ طيباً من أخلاطٍ متغايرةٍ

من الطيبِ ؛ فلا يُعرَفُ أرَجُ ما ركَّبَهُ من أىِّ طيبٍ هو.

ومما يُحكى فى مثلِ ذلك : أنَّ خالدَ بنَ عبد الله القَسرىّ ؛ قال : حفَّظنى أبى ألفَ خُطبةٍ ؛ ثم قال لى : تناسَها ؛ فتناسَيْتُها ؛ فغاضَت ؛ ثم فاضَت ؛ فواللهِ ما أردتُ بعد ذلك شيئاً من الكلامِ إلاَّ سَهُلَ علىَّ وعْرُه ؛ ولانَ لخاطرى صعبُه.

وينبغي للشّاعرِ أنه إذا نظمَ شِعراً يردِّده برفيعٍ من صوته ؛ فإنَّ الغِناءَ فيه يكشفُ عيوبَه ؛ ويبيِّنُ متكلَّفَ ألفاظِه.

ألا ترى إلى قولِ حسَّان بن ثابت :

تغنَّ فى كُلِّ شِعْرٍ أنتَ قائلُهُ

إنَّ الغِناءَ لهذا الشِّعْرِ مِضْمارُ.

وينبغى للشاعر أن يتأمَّل مصراعَ كل بيْتٍ حتى يُشاكل ما قبلَه ويطابقَ ما تقدَّمه ؛ فقد عاب العلماء على خَلْقٍ من الشُّعراء القدماء مثلَ ذلك.

كقول الأعشى :

أغَرُّ أبيضُ يُسْتَسْقى الغَمامُ بهِ

لو قارعَ الناسَ عن أحسابِهِمْ قَرَعا.

فالمِصْراعُ الثانى غيرُ مُشاكِلٍ للأوَّل ؛ وإن كان كلُّ واحدٍ منهما قائماً بنفسِه. وهذا معنىً ينبغى مراعاتُه والوقوفُ عندَه.

ومثله قول امرئ القيس :

كأنِّى لم أرْكَب جَواداً للذَّةٍ
ولم أتبطَّن كاعِباً ذاتَ خَلْخالِ.
ولم أسْبأِ الزِّقَّ الرَّوىَّ ولم أقلْ
لخَيْلىَ كُرِّى كرَّةً عندَ إجْفالِ.

قال محمد بنُ أحمد بن طباطبا العلَوىُّ: هذان بيتان حسنان؛ ولو وُضِعَ مصراعُ كلِّ واحدٍ منهما فى موضع الآخر كان أشكلَ وأدخل فى استواء النسج؛ فكأن يُقال:

كأنى لم أركب جواداً ولم أقُل
لخيلىَ كُرِّى كَرَّةً بعدَ إجفالِ.
ولم أسبأ الزِّقَّ الرَّوىَّ للذَّةٍ
ولم أتبطَّن كاعباً ذاتَ خَلخالِ.

وينبغى للشاعر أن يتجنَّب الحشوَ الذى يفسُدُ به البيت.

كقول الأعشى لَمَّا مدح قيْساً:

ونُبِّئْتُ قيْساً ولم آتِهِ
وقد زعَموا؛ سادَ أهلَ اليَمَنْ.

فقال له قيس: يا ويلكَ! تقول: وقد زعَموا؟!.

وهذه كلمةٌ لا تُستعمَل إلا عندَ الشكِّ فى صِدْق القائل! فجعلها حَشْوةً أفسدَ بها معنى البيت.

فلو قال:

ونُبِّئْتُ قيساً ولمْ آتِهِ على نأيهِ سادَ أهلَ اليمَنْ.

لخلُص من ذلك.

وينبغى للشاعر أن يتعفَّفَ فى شعرِه؛ ولا يستَبْهِرَ بالفواحشِ؛ ولا يتهكَّمَ فى الهجاء؛ فإنَّ العلماء ذمُّوا من اعتمد ذلك؛ ومن كان يتعهَّرُ ولا يتستَّرُ.

وينبغى للشاعر أنه إذا رأى الشِّعرَ قد اعتاصَ عليه ومنعَ جانبَه منه؛ أن يتركَهُ فى تلك الحال ولا يكُدَّ قريحَته فيه؛ ولا يكلِّفَ خاطرَهُ اقتحامَ مهاويه؛ فقلَّما يجىءُ الشعر على تلك الحال؛ ولعلَّ فى تركِه له حدوثَ معنىً لم يكن فى الخاطر من قبْلُ؛ وقد وقعَ لجماعةٍ من الشُّعراءِ مثلُ ذلك كثيراً.

وينبغى للشاعر أن يُقارِبَ بين الألفاظِ ولا يُباعِدَ بينها؛ فهو عيبٌ.

وأول ما يحتاجُ إليه الشِّعرُ أن يُنظَمَ على نسَقٍ.

قيل: إنَّ عمَّ عُبَيْد الرَّاعى النُّمَيْرىّ قال للرَّاعى: أيُّنا أشعرُ؛ أنا أم أنتَ؟؛ فقال الرَّاعى: أنا أشعرُ يا عمُّ منكَ؛ فغضِبَ؛ وقال: بمَ؟!؛ وكيفَ؟!؛ قال: لأنى أقولُ البيتَ وأخاهُ؛ وأنتَ تقول البيتَ وابنَ أخيه.

وينبغى للشاعرِ أن يتجنَّب الألفاظَ التى تَشْتَبِهُ على سامعيها وقارئيها؛ ولا ينزِل فى الخطابِ من عُلوٍّ إلى مهْبِطٍ؛ لأنَّ الأجدرَ أن يرتقىَ من انحطاطٍ إلى عُلوٍّ.

وأما النُّزولُ فى الخطاب من مرتَبةٍ شريفةٍ إلى منزلةٍ سخيفةٍ.

فكقول أبي الطَّيِّب :

ترَعْرَعَ المَلِكُ الأستاذُ مُكْتَهِلاً
قَبْلَ اكتهالِ ؛ أديباً قبلَ تأديبِ.

لم يَحْسُنْ فى حُكم صناعةِ الشعر أنْ يخاطبَهُ بالأستاذِ بعدَ المَلِكِ ؛ فإنَّ ذلك نقصٌ فى الأدب ؛ وقُبحٌ في المعرفة ؛ ألا ترى أن الكلمةَ الدنيَّة لا يليقُ أن تقترنَ بكلمةٍ شريفةٍ ؛ وكذاك الكلمةُ الشريفةُ لا يليقُ أن يُذْكَرَ معها إلا ما هو من قبيلِها ؛ وغير ذلك يقدحُ فى الصناعةِ عندَ أهلِ المعرفةِ.

وإنّما ينَبَّهُ على مساوئِ الشاعرِ المتقدِّمِ ؛ ليتجنَّبَ المتأخِّر ما أُخِذَ عليه وأخطأ فيه ؛ وليسَ الغرضُ بذلك الغَضَّ من نُبلِه ؛ ولا الاستنقاصَ بفضلِهِ.
والشاعرُ إذا أوقعَ الكلامَ مواقعَهُ ؛ ووضعَ المعانىَ مَواضعَها ؛ اكتسى شعرُهُ البهاءَ ؛ وكسَبَهُ حُسْنُ تأتِّيهِ الثناءَ ؛ وإذا أجادَ فى نظمِهِ ؛ وأساءَ فى تأتِّيهِ وقلَّةِ حَزْمِه ؛ غطَّتِ الإساءةُ على الإحسان ؛ واستحقَّ بعد الإكرامِ محِلَّ الهوانِ.
ولله دَرُّ المتوكِّل الليثىِّ حيث يقول :

الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يعرِضُهُ
والقولُ مثلُ مواقِعِ النَّبْلِ.
منها المُقصِّرُ عن رَمِيَّتِه
ونواقِرٌ يَذْهَبْنَ بالخَصْلِ.

قوله :

ونواقِرٌ يذهبنَ بالخَصْلِ.

أى صوائب ؛ يُقال : نقرَ السّهمُ ؛ فهو ناقِرٌ : إذا أصابَ ؛ والنَواقِر : الدواهى.

وينبغي للشاعر أن يجتنبَ التناقضَ فى شعره ؛ فإنَّه من أوْفَى عيوبِ الشِّعْرِ الدالَّة على جهلِه بالمعانى ووضْعِ الكلام مواضِعَهُ.

وقد عيبَ على جماعةٍ من الشعراء القدماءِ ذلك ؛ وهو أنَّ الشاعرَ يبتَدئُ بشىءٍ ويُقرِّره ؛ ثم يعطِفُ عليه ؛ إمَّا فى باقى البيتِ أو فى الذي يليه ؛ فينقضُ ما بناهُ ؛ ويأتى بما يخالفُ معناهُ .

وينبغى للشاعرِ أن يتجنَّبَ التَّثْليمَ ؛ وهو أنْ يجىءَ بالأسماءِ ناقصةً لإقامةِ الوزن.. كقول لبيد :

درَسَ المَنا بمُتالِعٍ فأبانِ.

أرادَ : المنازلَ ؛ فحذفَ.

وقال إسحاقُ بنُ خلفٍ البصرىُّ :

ولُبْسُ العَجاجةِ والخافقاتُ

تريكَ المَنا برؤوسِ الأسَلْ.

أراد : المنايا ؛ فحذفَ.

وينبغى للشَّاعِرِ أن يتجنَّبَ التذنيب ـ وهو ضِدُّ التثليم ـ ؛ وذاك أن يأتى بألفاظٍ تُقصِّرُ عن إقامةِ الوزن ؛ فيزيدُها حروفاً [لإقامة] عروضَ البيت .

كقولِ الشاعر:

لا كعَبْدِ المليكِ أو كيزيدٍ

أو سُليمانَ بعْدُ أو كهِشامِ.

أرادَ أن يقول: كعبدِ الملكِ ـ يعنى ابنَ مروان ـ؛ فجعلَه: كعبدِ المليكِ؛ لإقامةِ الوزنِ؛ والمليكُ والمَلِكُ اسمان للهِ تعالى؛ وليس إذا سُمِّىَ إنسانٌ بالتعبُّدِ لأحدِهما وجبَ أن يُدعى بالآخر؛ كما أنَّ من سُمِّىَ بعبدِ الرَّحمنِ لا يجبُ أن يُدعَى بعبدِ الرحيم.

وينبغي للشَّاعرِ أن يتجنَّب الإخلالَ؛ وهو أن يتركَ من اللفظِ ما يتمُّ به المعنى.

وينبغى للشاعِرِ أن يتجنَّب الزيادة كما يجبُ أن يتجنَّبَ الإخلالَ؛ وهو أن يأتى فى الكلامِ بما لا حاجةَ له إليه؛ فيفسد ما قصدَهُ من المعنى بتلك الزيادة.

وينبغى للشاعرِ أن يتجنَّب فسادَ التفسير؛ وهو أن يقَرِّرَ معنىً؛ ثُمَّ يحاولَ تفسيرَ ما قرّره؛ فلا يأتى بما يطابقُ ما قدَّمَه؛ فيُفسِدَ تفسيرَه ويُغايرَ تقريرَه.

وينبغى للشاعر أن يتجنَّب تكلُّفَ القوافى واستِدعاءَها مع إبائِها وامتناعِها؛ فإنه يشغَلُ معنى البيت بقافيةٍ قد أتى بها متكلِّفةً صعبةً؛ فهو عيبٌ قد نصَّ العلماءُ عليه.

وقد يجىءُ من القوافى ما يكون رُقَى العقاربِ أحلى منه.

فمن ذلك قولُ أحمدَ بنِ جَحدرٍ الخُراسانىِّ:

وما شَبْرَقَت من تَنوفيَّةٍ
بها من وحَى الجِنِّ زِيزَيْزَمُ.

وقال محمد التَيْمىُّ:

أخطأْتَ وجه الحَقِّ في التّطَخْطُخِ
لَتَمْطَخَنَّ برشاءٍ مِمْطَخِ.

ومن حقِّ الشاعر أنه إذا أخذ معنىً قد سُبقَ إليه أن يُغيِّر ألفاظَه ويصنعَه أجودَ من صَنعةِ السابق إليه؛ أو يزيدَ فيه عليه حتى يستحقَّه.

فأما إذا أتى بلفظِهِ ومعناهُ؛ فذاكَ عيْبٌ قبيحٌ عندَ الشُعراء المُقصِّرينَ فضلاً عن المُجيدين.

وينبغى للشَّاعرِ أن يُقرِّبَ مأخذَهُ؛ ولا يُبعِّد مُلتَمَسَه؛ ولا يقصِدَ الإغرابَ فإنه إذا دقَّ أغلقَ؛ وإذا استعملَ وحشىَّ اللغةِ نفرَت عنهُ مسامعُ الرّواةِ؛ وأن يوردَ المعنى باللفظِ المعتادِ فى مِثلِه؛ وأن تكون استعاراتُه وتشبيهاتُه لائقةً بما استُعيرَت له وشُبِّهَت به؛ غيْرَ نافرةٍ عن معانيها؛ فإنّ الشِّعرَ لا تروقُ نضارتُهُ؛ وتشرقُ بهجتُهُ؛ وترقُّ حواشيه؛ وتورقُ أغصانُه؛ ويعجبُ أقاحيه؛ إلا إذا كان بهذه الصِّفَة؛ وإذا اتفق مع ذلك معنىً لطيفٌ أو حكمةٌ غريبةٌ أو أدبٌ حسَنٌ؛ فهو زيادةٌ فى بهاءِ الشِّعرِ؛ وإنْ لم يتفق فقد قامَ الشِّعرُ بنفسِه واستغنى عمَّا سواه.

وإذا سلكَ الشَّاعرُ غيرَ هذا المذهبِ المُذْهَب؛ وكان لسانُه ولفظُه مُقصِّرَيْن عن

إدراكِ هذا المطلبِ ؛ حتى يعتمدَ على دقيقِ المعانى بألفاظٍ متعسَّفةٍ ؛ ونسجٍ مُضطَربٍ ؛ وإن اتَّفقَ فى ضمنِ ذلك شىءٌ من سليمِ الرَّصْفِ وقويمِ النَّظْمِ ؛ قُلنا له : قد جِئْتَ بحكمةٍ ؛ فإن شئتَ دعَوْناكَ حكيماً ولا ندعوكَ شاعراً ولا بليغاً ؛ لأنك ذهبتَ غيرَ مذْهَبِ الشُّعراءِ البُلغاءِ ؛ وهذه طريقةٌ لم يذهب إليها من شكرَهُ العلماءُ من أهلِ هذه الصناعة.)).أهـ.

أهـ. عن نضرة الإغريض.

...

ـ مَقْصِدٌ :

قال الزمخشرىُّ فى مقدمة ((القسطاس فى علم العروض)) :

((أُقدّمُ بين يدى الخوض فيما أنا بصدده ، مقدّمةً :

وهىَ أنَّ بناء الشعر العربىِّ على الوزن المُخترعِ ؛ الخارج عن بحور شعر العرب ؛ لا يَقدحُ فى كونه شعراً عندَ بعضهم.

وبعضُهم أبى ذلك ؛ وزعم أنه لا يكون شعراً حتى يُحامَى فيه وزن من أوزانهم.

والذي ينصر المذهب الأول ؛ هو أن حَدَّ الشعر : لفظٌ موزونٌ مقفّى ؛ يدلُّ على معنى.

فهذه أربعة أشياء : اللفظ ؛ المعنى ؛ الوزن ؛ القافية.

فاللفظ وحده هو الذى يقع فيه الاختلاف بين العرب والعجم ؛ فإنَّ العربىَّ

يأتى به عربيًّا ؛ والعجمىَّ يأتى به عجميًّا.

وأما الثلاثة الأُخر ؛ فالأمر فيها على التَّساوى بين الأمم قاطبة.

ألا ترى أنا لو عملنا قصيدة على قافية لم يُقَفِّ بِها أحدٌ من شعراء العرب ؛ ساغ ذلك مساغاً لا مجالَ فيه للإِنكار.

وكذلك لو اخترعنا معانى لم يسبقونا إليها ؛ لم يكن بنا بأس ؛ بل يُعدُّ ذلك من جملة المزايا ؛ وذلك لأن الأمم عن آخرها متساوية بالنسبة إلى المعانى والقوافى والافتنان فيها ؛ لا اختصاص لها بأمة دون غيرها.

فكذلك الوزنُ ؛ لتساوى الناس فى معرفته ؛ والإِحاطة بأن الشيئين إذا توازنا وليس لأحدهما رُجحان على الآخر ؛ فقد عادل هذا ذاك ككفَّتى الميزان.

ثم إنَّ من تعاطى التصنيف فى العروض من أهل هذا المذهب ؛ فليس غرضه الذى يؤمُّه أن يحصر الأوزان التى إذا بُنىَ الشعر على غيرها لم يكن شعراً عربيًّا ؛ وأنَّ ما يرجع إلى حديث الوزن مقصور على هذه البحور الستةَ عشرَ لا يتجاوزها ؛ إنما الغرض حصر الأوزان التى قالت العرب عليها أشعارهَا ؛ فليس تجاوزُ مقولاتها بمحظور فى القياس على ما ذكرت.)).

...

ـ تَمْهِيد

ـ مَقْصِدٌ :

قَالَ أَبُو الْفَتْح عُثْمَان بن جِنِّى النَّحوىُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ فى صدر « كِتاب العَرُوض » :

« اعْلَم أَن الْعرُوض ميزَان شعر العَرَب ؛ وَبِه يُعرف صَحِيحه من مكسوره ؛ فَمَا وَافق أشعار العَرَب فى عدَّة الْحُرُوف السَّاكِن والمتحرك سُمِّىَ شعراً ؛ وَمَا خَالفه فِيمَا ذَكرْنَاهُ فَلَيْسَ شعراً ؛ وَإِن قَامَ ذَلِك وزناً فِى طباع أحد لم يحفل بِهِ حَتَّى يكون على مَا ذكرنَا.

وَاعْلَم أَن شعر الْعَرَب مُركَّبٌ من : سَبَب ؛ ووتد ؛ وفاصلة.

فالسبب على ضَرْبَيْنِ : خَفِيف ؛ وثقيل .

فالخفيف : حرفٌ مُتحرِّكٌ بعده حرف سَاكن ؛ نَحْو : هَل ؛ بل ؛ وقد.

والثقيل : حرفان متحركان مَعًا ؛ نَحْو : مَعَ ؛ لَكَ.

والوتد على ضَرْبَيْنِ : مَجْمُوع ؛ ومفروق.

فالمجموع : حرفان متحركان بعدهمَا حرف سَاكن ؛ نَحْو : أجل ؛ نعم ؛ لقد.

والمفروق : حرفان متحركان بَينهمَا حرف سَاكن ؛ نَحْو : أَيْن ؛ كَيفَ ؛ لَيْسَ.

والفاصلة على ضَرْبَيْنِ : صَغِيرَة ؛ وكبيرة.

فالصغيرة : ثَلاثَة أحرف متحركة بعْدهَا حرف سَاكن ؛ نَحْو : ضربت ؛ دخلت ؛ خرجت.

والكبيرة: أَرْبَعَة أحرف متحركة بعْدهَا حرف سَاكن؛ نَحْو: ضربتا؛ دخلتا؛ خرجتا.

وَاعْلَم أَن تقطيع الْحُرُوف وهجاءه على اللَّفْظ لا على الْخط؛ فَمَا وجدت فِى اللَّفْظ أُحتسب بِهِ فِى التقطيع؛ وَمَا لم يُوجد فى اللَّفْظ لم يحْتَسب بِهِ فِى التقطيع.

وعروض الْبَيْت: آخر جُزْءٍ من مصراعه الأول.

وَالضَّرْب: آخر جُزْء فِى البَيْت أجمع.

وَاعْلَم أَن أشعار جَمِيع الْعَرَب تُقسَّم إِلَى ثَلاثَة وَسِتِّينَ ضرباً؛ وَأَرْبعٍ وَثَلاثِينَ عرُوضاً؛ وَخَمْسَة عشر بحراً؛ وَخمْس دوائر.

- والبحور:

الطَّوِيل؛ والمديد؛ والبسيط: دَائِرَة.

والوافر؛ والكاملَ: ائِرَة.

والهزج؛ وَالرجز؛ والرمل: دَائِرَة.

والسريع؛ والمنسرح؛ والخفيف؛ والمضارع؛ والمقتضب؛ والمجتث: دَائِرَة.

والمتقارب وَحده دَائِرَة.)).أهـ.

...

ثُمَّ:

قَالَ الأُستاذ عبد العزيز عتيق ((ت سنة ١٣٩٦هـ)) فى مُقدِّمَة كتابهِ ((علم

العروض والقافية)) ؛ (ص : ٧ـ٢٤) ـ باختصار ـ :

((ـ العروض والخليل بن أحمد :

العروض : علم يُبْحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة.

أو : هو ميزان الشعر ؛ به يُعرف مكسوره من موزونه ؛ كما أن النحو معيار الكلام ؛ به يُعرف مُعربه من ملحونه.

ويُرجع رجال التراجم الفضل فى نشأة علم العروض إلى الخليل بن أحمد ؛ أحد أئمة اللغة والأدب فى القرن الثانى الهجرىَّ ؛ فابن خلكان يذكر أن الخليل كان إماماً فى علم النحو ؛ وأنه هو الذى استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود ؛ وحصر أقسامه فى خمس دوائر يُستخرج منها خمسة عشر بحراً ؛ ثم زاد الأخفش بحراً واحداً وسمَّاه : الخَبَب.

كما يذكر أن الخليل كان له معرفة بالإيقاع والنغم ؛ وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض ؛ فإنهما متقاربان فى المأخذ.

ويحدثنا ياقوت عن الخليل بن أحمد بأنه أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب ؛ وأن معرفته بالإيقاع ـ بناء ألحان الغناء على موقعها وميزانها ـ هى التى أحدثت له علم العروض.

كذلك يحدثنا القفطىُّ عن الخليل بأنه سيِّد الأُدباء فى علمه وزهده ؛ وأنه نحوىٌّ لغوىٌّ عروضىٌّ ؛ استنبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد ؛ ولم يسبقه إلى علمه سابقٌ من العلماء كلهم.

وروى ابن خلكان عن حمزة بن الحسن الأصفهانىِّ نقلاً عن كتابه (التنبيه على حدوث التصحيف) ؛ قوله : إن دولة الإسلام لم تُخرج أبدع للعلوم التى لم يكن لها عند العرب أصول من الخليل ؛ وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض ؛ الذى لا عن حكيم أخذه ؛ ولا على مثال تقدمه احتذاه ؛ وإنما اخترعه من ممرٍّ له بالصفارين ؛ من وقع مطرقة على طست.أهـ.

من ذلك يرى أن الخليل هو أول مبتكر لعلم العروض وحصر كل أشعار العرب فى بحوره.

ولم تقف عقليته المبتكرة عند هذا الحَدِّ ؛ وإنما تجاوزته إلى ابتكار علوم أخرى ؛ فهو أول مبتكر لفكرة المعاجم العربية بوضعه معجم العين ؛ الذى يحصر لغة أُمَّةٍ من الأمم قاطبة ؛ وهو الذى وضع أساس علم النحو باستخراج مسائله وتعليله ؛ وإمداده سيبويه من علم النحو بما صنَّف منه كتابه الذى هو زينة لدولة الإسلام كما يذكر القفطىُّ ؛ ثم هو الذى اخترع علم الموسيقى العربيَّة وجمع فيه أصناف النَّغم.

ولكن لا ينبغى أن يُفهم من وضع الخليل لعلم العروض أن العرب لم تكن تعرف أوزان الشعر من قبل ؛ فالواقع أنهم كانوا قبل وضع علم العروض على علمٍ بأوزان الشعر العربىِّ وبحوره على تباينها ؛ وإن لم تكن تعرفها بالأسماء التى وضعها الخليل لها فيما بعد.

وما أشبه علمها بذلك بعلمها بالإعراب فى الكلام حين كانوا عن سليقة

يرفعون أو ينصبون أو يجرون ما حقه الرفع أو النصب أو الجرِّ دون علمٍ بما وضعه النُّحاة فيما بعد من مصطلحات الإعراب وقواعده.

كذلك كانوا بذوقهم وسيلقتهم يدركون ما يعتور الأوزان المختلفة من زحافات وعلل وإن لم يعطوها أسماء ومصطلحات خاصة كما فعل العروضيون.

وإذا كان الخليل بن أحمد غير مسبوق فى وضع علم العروض ؛ فإن أبا عمرو بن العلاء قد سبقه فى الكلام عن القوافى وقواعدها ؛ ووضع لها أسماء ومصطلحات خاصة.

والرُّواة مختلفون بشأن الباعث الذى دعا الخليل إلى التفكير فى علم العروض ووضع قواعده.

فمن قائل : إنه دعا بمكة أن يرزقه الله علماً لم يسبقه إليه أحد ولا يؤخذ إلا عنه. فرجع من حجِّه ؛ ففُتح عليه بعلم العروض.

ومن قائل : إن الدافع هو إشفاقه من اتجاه بعض شعراء عصره إلى نظم الشعر على أوزانٍ لم يعرفها العرب ولم تُسمع عنهم ؛ ولهذا راح يقضى الساعات والأيام يُوقِّع بأصابعه ويحركها ؛ حتى حصر أوزان الشعر العربىِّ وضبط أحوال قوافيه.

ومن قائلٍ : إنه وجد نفسه وهو بمكة يعيش فى بيئةٍ يشيع فيها الغناء ؛ فدفعه ذلك إلى التفكير فى الوزن الشعرىِّ وما يمكن أن يخضع له من قواعد

وأصول.

وقد عكف أياماً وليالى يستعرض فيها ما روى من أشعار ذات أنغام موسيقيَّة متعددة ؛ ثم خرج على الناس بقواعد مضبوطة وأصول محكمة سماها : علم العروض.

وأيَّاً كان الدافع ؛ فالثابت أن الخليل هو واضع أصول علم العروض وقوانينه التى لم يطرأ تغييرٌ جوهرىٌّ عليها ؛ وأن الناس ظلُّوا حتى اليوم يتدارسونها ويتفهمونها من غير أن يزيد عليها أحدٌ شيئاً ؛ فلا تزال الوحدات القياسيَّة للأوزان هى التفعيلات التى اخترعها الخليل ؛ ولا تزال المقاطع الصوتيَّة التى تتألف منها التفعيلات هى الأسباب والأوتاد ؛ كما أن عدد البحور لا يزال ثابتاً عند البحور الخمسة عشر التى وضعها الخليلُ وبحر الخبب أو المتدارك الذى وضعه تلميذه الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة.

ولا يرد علينا هنا بما استُحدث من أوزانٍ فى العصر العباسىِّ ؛ لأن هذه يمكن إرجاع أصولها إلى أوزان الخليل.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك فارقاً ملحوظاً بين علم العروض وعلوم العربيَّة الأخرى من حيث النشأة.

فعلوم النحو والصرف والبلاغة واللغة مثلاً ؛ قد استُحدثت ثم أخذت تنمو جيلاً بعد جيلٍ وعصرًا بعد عصرٍ حتى بلغت ذروة اكتمالها.

أما العروض ؛ فقد أخرجه الخليل علماً يكاد يكون متكاملاً ؛ ولعلَّ ذلك هو

السِّرُّ فى أنَّ من أتى بعد الخليل من العروضيين لم يستطيعوا أن يزيدوا على عروضه أىَّ زيادة تُذكر أو تمس الجوهر.

وكما اختلفت الآراء بالنسبة إلى الباعث الذى دعا الخليل إلى التفكير فى علم العروض ؛ اختلفت كذلك بالنسبة إلى سبب تسمية هذا العلم بالعروض.

فمن قائل : إن من معانى العروض : مكَّة ؛ لاعتراضها وسط البلاد ؛ ومن ثم أطلق الخليل على علم ميزان الشعر الذى اخترعه اسم المكان الذى أُلهم فيه قواعده وأصوله.

ومن قائل : إنه سُمِّىَ عروضاً باسم : عمان ؛ التى كان يقيم فيها واضعه ومخترعه الخليل بن أحمد.

ويذكر صاحب لسان العرب أنه سُمِّىَ عروضاً ؛ لأن الشعر يُعرض عليه ؛ أى : يُوزن بواسطته.

...

ـ الحاجة إلى علم العروض :

عرفنا مما سبق أن العروض هو علم ميزان الشعر أو موسيقى الشعر ؛ وهو علمٌ له قواعده وأصوله ونظريَّاته التى تُحصَّل وتُكتسب بالتعلُّم.

وإذا كان الشعر من الناحية العمليَّة هو الجانب التطبيقىُّ لقواعد العروض وأصوله ونظرياته ؛ فإنه قبل ذلك فَنٌّ كسائر الفنون ؛ مصدره الموهبة

والاستعداد.

وقد يستطيع الشاعر الموهوب بما له من أُذُنٍ موسيقيَّة وحسٍّ وذوق مُرهفين أن يقول الشعر دون علمٍ بالعروض وحاجةٍ إلى قوانينه ؛ ولكنه مع ذلك يظل بحاجة إلى دراسة علم العروض والإلمام بأصوله.

فأُذُن الشاعر الموسيقيَّة ـ مهما كانت درجة رهافتها وحساسيتها ـ قد تخذل صاحبها أحياناً فى التمييز بين الأوزان المتقاربة ؛ أو بين قافية سليمة وأخرى معيبة ؛ أو بين زحاف جائز وآخر غير جائز.

وجهل الشاعر الموهوب بأوزان الشعر وبحوره المختلفة من تامة ومجزوءة ومشطورة ومنهوكة ؛ قد يحصر شعره فى بعض أوزان خاصة ؛ وبذلك يحرم نفسه من العزف على أوتارٍ شتَّى تجعل شعره منوَّع الأنغام والألحان.

من ذلك تتجلى أهمية دراسة الشاعر للعروض والإلمام بقوانينه وأصوله.

وإذا كان العروض إلى هذا القدر لازماً للشاعر المُلهم الموهوب ؛ فإنه يكون أشد لزوماً لغيره ؛ فهو أشد لزوماً لطلاب اللغة والتخصص فيها ؛ لأنه يعينهم على فهم الشعر العربىِّ وقراءته قراءةً صحيحةً والتمييز بين سليمه ومختله وزناً.

وهو كذلك أشد لزوماً للدارسين والمتخصصين فى فروع الثقافة العربية ؛ من تاريخ ؛ واجتماع ؛ وأدب ؛ وبلاغة ؛ ومذاهب دينيَّة ؛ أو عقليَّة.

فالباحثون فى أمثال هذه العلوم العربية لا غنى لهم عن تفهُّم ما يرد من شعرٍ

فى المراجع والكتب المختصة بهذه العلوم ؛ وفهم أولئك للشعر متوقفٌ على صحَّة قراءته ؛ وهذه لا تتأتى إلا لمن لديه القدرة على معرفة صحيح الأوزان والتمييز بين أنواعها المختلفة.

من أجل ذلك كله نُدرك ضرورة الإلمام بعلم العروض أو علم موسيقى الشعر وأصوله ؛ لا بالنسبة للشعراء فحسب ؛ ولكن بالنسبة أيضاً لذوى التخصص فى علوم العربية.

وإذا جاز أن يُغتفر لغير متخصص ألا يقيم وزن الشعر وألا يقرأه قراءة صحيحة ؛ فإن ذلك لا يمكن أن يغتفر مطلقاً للمتخصص.

...

ـ الصلة بين العروض والموسيقى :

عرفنا أن العروض هو علم موسيقى الشعر ؛ وعلى ذلك يكون هناك صلة تجمع بينه وبين الموسيقى بصفة عامة ؛ وهذه الصلة تتمثل فى الجانب الصوتىِّ.

فالموسيقى تقوم على تقسيم الجُمل إلى مقاطع صوتية تختلف طولاً وقصراً ؛ أو إلى وحدات صوتيَّة مُعيَّنة على نسق معين ؛ بغض النظر عن بداية الكلمات ونهايتها.

وكذلك شأن العروض ؛ فالبيت من الشعر يُقسَّم إلى وحدات صوتية معينة ؛ أو إلى مقاطع صوتية تُعرف بالتفاعيل ؛ بقطع النظر عن بداية

الكلمات ونهايتها ؛ فقد ينتهى المقطع الصوتىُّ أو التفعيلة فى آخر كلمة ؛ وقد ينتهى فى وسطها ؛ وقد يبدأ من نهاية كلمة وينتهى ببدء الكلمة التى تليها. وهاكم مثالاً على ذلك :

لا تسألى القومَ ما مالى وما حسبى

وسائلى القومَ ما حزمى وما خُلقى.

فتقطيع هذا البيت أو تقسيمه إلى وحدات صوتية أو تفاعيل يكون كالآتى :

لا تَسْأَلِلْ قَومَ مَا مَالِىَ وَمَاحَسَبِى ... مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن.

وَسَائِلِلْ قَومَ ما حَزْمِى وَمَا خُلُقِى ... متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن.

ولكن تقطيع البيت أو تقسيمه إلى وحدات صوتية أو تفاعيل لا يتحقق إلا إذا كُتِبَ الشعر كتابة عروضية.

فما الكتابة العروضية؟!.

...

ـ الكتابة العروضيَّة :

أوضحنا فيما سبق الصلة الوثيقة التى بين العروض والموسيقى ؛ وهى صلة الفرع المتولد من الأصل ؛ فالعروض فى الحقيقة أمره ليس إلا ضرباً من الموسيقى اختص بالشعر على أنه مُقوِّم من مقوماته.

وإذا كان للموسيقى عند كتابتها رموز خاصة يدلُّ بها على الأنغام المختلفة ؛ فإن للعروض كذلك رموزاً خاصة به فى الكتابة تُخالف الكتابة

الإملائية التى تكون على حسب قواعد الإملاء المتعارف عليها.

وهذه الرموز العروضيَّة يدلُّ بها على التفاعيل التى هى بمثابة أنغام الموسيقى المختلفة.

والكتابة العروضيَّة تقوم على أمرين أساسيين هما :

١ـ ما يُنطق ؛ يُكتب.

٢ـ ما لا يُنطق ؛ لا يُكتب.

وتحقيق هذين الأمرين عند الكتابة العروضية يستلزم زيادة بعض أحرف لا تكتب إملائياً ؛ وحذف بعض أحرف تكتب إملائياً.

وفيما يلى تفصيل للأحرف التى تُزاد أوتحذف فى الكتابة العروضية :

أ ـ الحروف التى تُزاد :

تُزاد فى الكتابة العروضيَّة ستة أحرف ؛ هى :

١ـ إذا كان الحرف مُشدَّداً ؛ فُكَّ التشديد ؛ ورسم الحرف أو كتب مرتين : مرة ساكناً ومرة متحركاً.

نحو : رَقَّ ؛ وعدَّ ؛ وهزَّ.

فتكتب عروضيَّاً : رقق ؛ وعدد ؛ وهزز.

٢ـ إذا كان الحرف منوناً كتب التنوين نوناً.

نحو : جبلٌ ؛ وشجرٌ ؛ وأسدٌ.

فتكتب عروضيَّاً : جبلن ؛ وشجرن ؛ وأسدن ـ رفعاً ؛ ونصباً ؛ وجرَّاً ..

٣ـ تُزاد ألف فى بعض أسماء الإشارة.

نحو: هذا ؛ وهذه ؛ وهذان ؛ وهذين ؛ وهؤلاء ؛ وذلك.

فتكتب عروضيًّا: هاذا ؛ وهاذه ؛ وهاذان ؛ وهاذين ؛ وهاؤلاء ؛ وذالك.

كذلك تُزاد ألف فى لفظ الجلالة ؛ وفى (لكن) المخففة والمُشدَّدة.

فهذه الكلمات: الله ؛ ولكن ؛ ولكنَّ ؛ تُكتب عروضيًّا هكذا: اللاه ؛ ولاكن ؛ ولاكنن.

٤ـ تُزاد واو فى بعض الأسماء.

كما فى: داود ؛ وطاوس ؛ وناوس.

فتكتب عروضيًّا: داوود ؛ وطاووس ؛ وناووس.

٥ ـ تُكتب حركة حرف القافية حرفاً مجانساً للحركة.

فإذا كانت حركة حرف القافية ضمَّة ؛ كُتبت هذه الضمَّة عروضيًّا: واواً.

وإذا كانت كسرة ؛ كتُبت: ياء.

وإذا كانت فتحة ؛ كُتبت: ألفاً.

٦ ـ إذا أُشبعت حركة هاء الضمير للمفرد المذكر الغائب ؛ كُتبت حرفاً مجانساً للحركة.

فالضمَّة التى على الهاء فى: لهُ ؛ ومنهُ ؛ وعنه: إذا أُشبعت كُتبت عروضيًّا: واواً ؛ هكذا: لهو ؛ ومنهو ؛ وعنهو.

وكسرة الهاء فى: بهِ ؛ وإليهِ ؛ وفيهِ: إذا أُشبعت كتبت عروضيًّا هكذا: بهى ؛

وإليهى ؛ وفيهى.

أما كاف المخاطب أو المخاطبة ؛ فلا تشبع ؛ وبالتالى لا يُزاد بعدها أىُّ حرفٍ.

نحو : بكَ ؛ وبكِ ؛ ومنكَ ؛ ومنكِ ؛ وإليكَ ؛ وإليكِ.

ب ـ الأحرف التى تُحذف :

١ـ تُحذف همزة الوصل : وهى الألف التى يُتوصل بها إلى النُّطق بالساكن ؛ إن كان قبلها متحرك.

ويكون ذلك فى :

أ ـ ماضى الأفعال الخُماسيَّة والسداسيَّة المبدوءة بالهمزة ؛ وفى أمرها ومصدرها. نحو : انْطَلَق ؛ استغْفَر ؛ انطلِق ؛ استغفِر ؛ انطلاق ؛ استغفار.

فألف الوصل فى هذه الكلمات وأمثالها تُحذف إن كان قبلها متحرك عند الكتابة العروضية.

بـ الأسماء العشرة المسموعة ؛ وهى : اسم ؛ ابن ؛ ابنة ؛ امرؤ ؛ امرأة ؛ اثنان ؛ اثنتان ؛ أيمن المختصة بالقسم ؛ است.

فمثلاً : باسمك ؛ وهذا أبٌ وابنٌ ؛ والعام اثنا عشر شهراً.

تُكتب عروضيًّاً هكذا : بسمك ؛ وهاذا أبن وبنن ؛ والعام ثنا عشر شهرن.

جـ ـ أمر الفعل الثلاثىّ الساكن ثانى مضارعه.

نحو : فاسمع واكتب واقرأ ؛ فإنها تُكتب عروضيًّاً هكذا : فسمعْ ؛ وكتبْ ؛ وقرأْ.

د ـ ألف الوصل من أل المعرفة.

فإذا كانت أل قمرية ؛ كما فى : القمر ؛ والورد : اكتُفى بحذف الألف فقط.

فجمل مثل : طلع القمر ؛ وتفتح الورد : تكتب عروضيًّا هكذا : طلع لقمر ؛ وتفتّتَح لورد.

أما إذا كانت أل شمسية ؛ كما فى : الشمس والنهر ؛ فإن ألفها تُحذف أيضاً وتقلب اللام حرفاً من جنس الحرف الأول فى الاسم الداخلة عليه أل.

فجمل مثل : تشرق الشمس ؛ ويفيض النهر : تكتب عروضيًّا هكذا : تشرق ششمس ؛ ويفيض ننهر.

٢ـ تحُذف واو عمرو رفعاً وجرًّا.

٣ـ تحُذف الياء والألف من أواخر حروف الجرِّ المعتلة.

وهى : فى ؛ إلى ؛ على : عندما يليها ساكن.

فتراكيب مثل : فى البيت ؛ إلى الجامعة ؛ على الجبل : تكتب عروضيًّا هكذا : فلبيت ؛ إللجامعة ؛ عللجبل.

ولا تحُذف الياء أو الألف من هذه الحروف إذا وليها متحرك.

نحو : فى بيت ؛ وإلى جامعة ؛ وعلى جبل.

٤ـ تحُذف ياء المنقوص وألف المقصور غير المنونين عندما يليهما ساكن.

نحو : المحامى القدير ؛ والنادى الكبير ؛ والفتى الغريب ؛ والندى الرطب.

فهذه تكتب عروضيًّا هكذا : المحاملقدير ؛ ونادلكبير ؛ ولفتلغريب ؛

وننددرطب.

...

ـ أمثلة للكتابة العروضيَّة:

ـ المثال الأول:

من بحر الوافر ـ وهو من قصيدة لشوقى فى دمشق ـ:

دخلتك والأصيل له ائتلاقٌ

ووجهك ضاحك البسمات طلقُ.

ووزنه هو:

مفاعلتن مفاعلتن فعولن

مفاعلتن مفاعلتن فعولن.

يُكتب عروضيًّا مع تقطيعه إلى تفاعيل هكذا:

دخلتك ول أصيل لهؤ تلاقن

مفاعلتن مفاعلتن فعولن

ووجهك ضا حك لبسما تطلقو

مفاعلتن مفاعلتن فعولن.

ـ المثال الثانى:

من بحر الطويل ـ وهو من قصيدةٍ لزهير بن أبى سُلمى ـ:

obeikandl.com

ومن هاب أسباب المنايا ينلنهُ

وإن يرق أسباب السماء بسُلَّمِ.

ووزنه :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن.

ويكتب عروضيًّاً مع تقطيعه إلى تفاعيل هكذا :

ومن ها بأسبابل منايا ينلنهو

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

وإن ير قأسبابس سماء بسللمى

فعولن مفاعيلن فعول (١) مفاعلن

ـ المثال الثالث :

من بحر الرمل ـ وهو من قصيدة لشاعر معاصر ـ :

كل ما في الأرض من فلسفةٍ

لا يُعزِّى فاقداً عمن فقدْ.

ووزنه :

(١) ـ أصل هذه هذه التفعيلة ((فعولن)) ويجوز فيها حذف الخامس الساكن فتصير ((فعول)).

obeikandl.com

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن.

ويكتب عروضيًّاً مع تقطيعه إلى تفاعيل هكذا :

كلل ما فل أرض من فل سفتن

فاعلاتن فاعلاتن فعلن (١).

لا يعززى فاقدن عم من فقد

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

...

ـ المقاطع العروضيَّة :

يتألف المقطع العروضىُّ من حرفين على الأقل ؛ وقد يزيد إلى خمسة أحرف. والعروضيون يقسمون التفاعيل التى تتكون منها أوزان الشعر إلى مقاطع تختلف فى عدد حروفها وحركاتها وسكناتها.

وفيما يلى تفصيل هذه المقاطع :

١ـ السبب الخفيف : وهو يتألف من حرفين ؛ أولهما متحرك ؛ وثانيهما ساكن.

نحو : لم ـ عن ـ قد ـ بل ـ كم ـ إن ـ هل.

٢ـ السبب الثقيل : وهو ما يتألف من حرفين متحركين.

نحو : لك ؛ بك ؛ يَعِ ؛ يَفِـ ـ من : لم يَعِ ؛ ولم يَفِـ ..

---

(١) ـ أصل هذه التفعلية ((فاعلن)) ويجوز فيها حذف الثانى الساكن فتصير ((فعلن)).

obeikandl.com

٣ـ الوتد المجموع : وهو ما يتألف من ثلاثة أحرف ؛ أولها وثانيها متحركان ؛ والثالث ساكن.

نحو : إلى ؛ على ؛ نعم ؛ مضى.

٤ـ الوتد المفروق : وهو ما يتألف من ثلاثة أحرف ؛ أولها متحرك وثانيها ساكن وثالثها متحرك.

نحو : أين ؛ قام ؛ ليس ؛ سوف ؛ حيث ؛ بين.

٥ ـ الفاصلة الصغرى : وهى تتألف من أربعة أحرف ؛ الثلاثة الأولى منها متحركة والرابع ساكن.

نحو : لعبت ؛ وفرحت ؛ وضحكت ـ بسكون التاء فى الأفعال الثلاثة ..

ونحو : ذهبا ؛ ورجعا ؛ وذهبوا ؛ ورجعوا.

٦ـ الفاصلة الكبرى : وهى ما تتألف من خمسة أحرف ؛ الأربعة الأولى منها متحركة والخامس ساكن.

نحو : غمرنا ـ من قولك : غمرنا فلان بعطفه ..

ونحو : شجرةٌ ؛ وثمرةٌ ؛ وحركةٌ ؛ وبركةٌ ـ بتنوين التاء فى كُلٍّ منها ..

وإذا تأملنا الفاصلة الصغرى والفاصلة الكبرى ؛ وجدنا أن كلتيهما تتألف من مقطعين ؛ فالفاصلة الصغرى تتألف من سبب ثقيل وآخر خفيف ؛ على حين تتألف الفاصلة الكبرى من سبب ثقيل ووتد مجموع.

...

ـ التفاعيل :

عرفنا أن تفاعيل العروض تتألف من مقاطع ؛ وهذه التفاعيل لا تقلُّ عادة عن مقطعين ولا تزيد عن ثلاثة مقاطع.

فمثلاً :

فعولن : تتكون من مقطعين ؛ أولهما وتد مجموع وثانيهما سبب خفيف.

ومفاعيلن : تتكون من ثلاثة مقاطع ؛ أولها وتد مجموع ؛ وكل من الثانى والثالث سبب خفيف.

وإذا رمزنا إلى الحرف المتحرك بألف صغيرة ؛ وإلى الحرف الساكن بدائرة صغيرة ؛ وشئنا أن ننقل كُلاً من : فعولن ومفاعيلن من لغة الألفاظ إلى لغة الرموز ؛ فإن فعولن بلغة الرموز تصبح : ا ا هـ اهـ.

كما تصبح مفاعيلن بلغة الرموز : ا ا هـ اهـ اهـ.

...

ـ عدد التفاعيل :

ويبلغ عدد التفاعيل العروضية التى اخترعها الخليل عشر تفاعيل ؛ كالآتى :

أ ـ اثنتان خماسيتان ؛ وهما :

فاعلن : اهـ ا ا هـ : وتتكون من سبب خفيف ووتد مجموع.

فعولن : ا ا هـ اهـ : وتتكون من وتد مجموع وسبب خفيف.

ب ـ وثمانية سباعية ؛ وهى :

مفاعيلن : ا ا هـ اهـ اهـ : وتتكون من وتد مجموع ؛ وسببين خفيفين.

مستفعلن : اهـ اهـ ا ا هـ : وتتكون من سببين خفيفين ؛ ووتد مجموع.

مفاعلتن : ا ا هـ ا ا اهـ : وتتكون من وتد مجموع ؛ وفاصلة صغرى.

متفاعلن : ا ا اهـ ا ا هـ : وتتكون من فاصلة صغرى ؛ ووتد مجموع.

مفعولات : اهـ اهـ اهـ ا : وتتكون من سببين خفيفين ؛ ووتد مفروق.

فاع لاتن : اهـ ا ا هـ اهـ : وتتكون من وتد مفروق ؛ وسببين خفيفين.

مستفع لن : اهـ اهـ ااه : وتتكون من سبب خفيف ؛ فوتد مفروق ؛ فسبب خفيف.

فاعلاتن : اهـ ا ا هـ اهـ : وتتكون من سبب خفيف ؛ فوتد مجموع ؛ فسبب خفيف.

ومع التشابه فى النطق بين مستفعلن المتصلة ؛ ومستفع لن المنفصلة ؛ وفاعلاتن المتصلة ؛ وفاع لاتن المنفصلة.

... ؛ وبإعادة النظر فى هذه التفعيلات العشرة من حيث مقاطعها وبغضِّ النظر عن صورها ؛ تتجلى لنا حقيقة مهمة ؛ هى :

١ـ أن فعولن عكسها فاعلن.

٢ـ وأن مفاعيلن عكسها مستفعلن

٣ـ وأن مفاعلتن عكسها متفاعلن

٤ـ وأن مفعولات عكسها فاع لاتن

ومعنى ذلك أن ثمانى تفعيلات من التفعيلات العشر هى فى حقيقة أمرها أربع تفعيلات فقط ؛ ثم صارت بتوليد عكسها ثمانية.

فإذا سلمنا بذلك ؛ صَحَّ القول بأن الخليل بن أحمد عند وضعه لعلم العروض قد اهتدى إلى ست تفعيلات فقط ؛ هى : فعولن ؛ مفاعيلن ؛ مفاعلتن ؛ مفعولات ؛ فاعلاتن ؛ مستفع لن.

ومن التفعيلات الأربعة الأولى وعكسها بالإضافة إلى الاثنتين الأخيرتين : فاعلاتن ؛ ومستفع لن : تمَّ له اختراع التفعيلات العشرة.

وهكذا استطاع الخليل بن أحمد باختراع ست تفعيلات وعكس أربع منها أن يخترع أوزانه الخمسة عشر للشعر.

ويجدر بنا ونحن فى مِعرض الحديث عن التفعيلات ؛ أن نذكر أن هذه التفعيلات لا تبقى على حالٍ أو صورةٍ واحدةٍ فى البحور التى تتألف منها ؛ وإنما يعتريها التغيير : بالحذف ؛ أو الزيادة ؛ أو تسكين المتحرك منها.

وهذا التغيير الذى يطرأ عليها ـ بالحذف أو الزيادة أو تسكين المتحرك ـ له اصطلاح خاص فى العروض يُعرف به ؛ وهذا الاصطلاح يُسمى : الزحاف.

...

ـ مقومات القصيدة العربية :

القصيدة العربية فى الشعر الملتزم تعتمد من جهة نظمها على أصلين ؛ هما : وحدة الوزن ؛ ووحدة القافية.

فأبيات القصيدة ـ أيّاً كان عددها ـ يجب أن تكون كلها واحدة فى وزنها ـ أى من جهة عدد المقاطع والتفاعيل ـ.

فإذا كانت تفاعيل البيت الأول ثلاثة أو أربعة ؛ التُزمت هذه التفاعيل بعددها فى جميع أبيات القصيدة.

وكذلك وحدة القافية :

فإذا كان آخر البيت الأول من القصيدة دالاً مثلاً ؛ التُزمت هذه الدال فى آخر كل بيت من القصيدة.

كما فى قصيدة المعرى التى مطلعها :

غير مُجدٍ فى ملتى واعتقادى

نوح باكٍ ولا ترنُّم شادِ.

واللغة العربية مشهورة عن غيرها من اللغات بسعة مفرداتها وكثرة مترادفاتها ومشتقاتها ؛ وهذه تساعد الشاعر على إطالة القصيدة على قافية واحدة ، ؛ وقلَّ أن تجد لذلك نظيراً فى الآداب الأخرى ؛ ولذلك ترى الشُّعراء غير العرب يستعينون على إطالة القصيدة إذا شاءوا بتوزيع القوافى.

وليست وحدة الوزن ووحدة القافية عيباً فى شعرنا العربىِّ أو تقييداً له ؛ فالتمسك بهاتين الوحدتين والتزامهما ؛ من شأنه أن يقوِّى بناء القصيدة ويرتفع بموسيقاها.

وأمرٌ آخرٌ قد يخفى إلا على من يعالجون الشعر وينظمونه ؛ ذلك الأمر هو أن

التزام القافية كثيراً ما يُلجئ الشاعر إلى التريُّث بحثاً عن القافية المناسبة. وكثيراً ما يُولِّد هذا التمهُّل الناشئ عن الجرى وراء القافية أفكاراً ما كانت لتتاح للشاعر أو تخطر على باله لو أتته القافية من أول الأمر بسهولة.

ودُعاة التجديد فى الشعر العربى كان أولى بهم أن يحاولوا التجديد فى الأوزان ـ إن استطاعوا ـ ؛ وبذلك يُضيفون إلى ألحان الخليل ألحاناً أُخرى يثرَى بها الشعر العربىَ.

...

ـ التقطيع :

يُراد بالتقطيع فى العروضِ : وزن كلمات البيت من الشعر بما يقابلها من تفعيلات. والتقطيع من شأنه أن يعين الدارس على معرفة البحر الذى ينتمى إليه البيت الذى يود معرفة وزنه.

ويمكن الاهتداء إلى وزن البيت باتباع الخطوات التالية :

ـ أولاً : كتابة البيت كتابة عروضيَّة

ـ ثانياً : وضع الحرف (ن) مثلاً تحت كل حرف متحرك لا يليه ساكن ؛ ووضع خط صغير هكذا (ـ) تحت كل حرف متحرك يليه ساكن.

ـ ثالثاً : بعد الانتهاء من نقل لغة الألفاظ إلى لغة الرموز ؛ يُقسَّم البيت إلى تفاعيل لفظيَّة ؛ وذلك بالرجوع إلى تفاعيل العروض التالية ورموزها المدونة أمامها.

ـ رابعاً: بعد ذلك يسهل على الدارس معرفة وزن البيت إذا كان متذكراً للتفاعيل التى يتألف منها وزن كُلّ بيت؛ وإلا أمكنه الاستعانة بأوزانها الواردة فى مفاتيح البحور ـ قَالَ أَبُو نِزَار: مَفاتيح البُحُورقدجعلناها بِآخِر هذا العَمل ..

...

ـ التفاعيل ورموزها:

١ـ فعولن: ن ـ ـ ؛ وقد تصير بالزحاف فعول: ن ـ ن

٢ـ مفاعيلن: ن ـ ـ ـ؛ وقد تصير بالزحاف مفاعلن: ن ـ ن ـ

٣ـ مفاعلتن: ن ـ ن ن ـ؛ وقد تصير بالزحاف مفاعلتن: ن ـ ـ ـ

٤ـ متفاعلن: ن ن ـ ن ـ؛ وقد تصير الزحاف متفاعلن: ـ ـ ن ـ

٥ ـ مستفعلن: ـ ـ ن ـ ؛ وقد تصير بالزحاف متفعلن: ن ـ ن ـ ؛ أو مستعلن:

ـ ن ن

٦ـ مستفع لن: ـ ـ ن ـ ؛ وقد تصير بالزحاف متفع لن: ن ـ ن ـ

٧ ـ فاعلاتن: ـ ن ـ ـ؛ وقد تصير بالزحاف فعلاتن: ن ن ـ ـ؛ أو فاعلن: ـ ن ـ؛ أو فالاتن: ـ ـ ـ

٨ ـ فاع لاتن: ـ ن ـ ـ

٩ ـ مفعولات: ـ ـ ـ ن؛ وقد تصير بالزحاف مفعلات: ـ ن ـ ن؛ أو

معولات: ن ـ ـ ن

١٠ ـ فاعلن: ـ ن ـ؛ وقد تصير بالزحاف فالن: ـ ـ

فإذا شئنا معرفة وزن البيت التالى:

على قدر أهل العزمِ تأتى العزائمُ

وتأتى على قدر الكرام المكارمُ.

فإننا نتبع الخطوات السابقة:

ـ بكتابته أولاً كتابة عروضية.

ـ ثم بوضع رموزه تحته.

ـ ثم بتقسيمه إلى تفاعيل لفظية؛ وذلك بالرجوع إلى التفاعيل ورموزها؛ وبذلك يمكن معرفة الوزن؛ هكذا:

على قدرأهللعز م تأتل عزائمو

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ن ـ ـ ن ـ ـ ـ ن ـ ـ ن ـ ن ـ

وتأتى على قدرل كرامل مكارمو

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ن ـ ـ ن ـ ـ ـ ن ـ ـ ن ـ ن ـ

وبذلك يتضح لنا أن هذا البيت من بحر الطويل.)). أهـ.

أُصُـولُ الشِّعْـرِ العَـرَبِىِّ

obeikandl.com

القِسْمُ الأَوَّل: عِلْمُ العَرُوض

obeikandl.com

القِسْمُ الأَوَّل: عِلْمُ العَرُوض

...

ـ البَحْرُ الأَوَّل: بَحْرُ الطَّويل

سُمِّىَ بذلك؛ لأنه أتمُّ البحور استعمالاً؛ أو لأنه أكثرها حروفاً ولا مشارك له فى هذا.

كما سُمِّىَ: الركوب؛ لكثرة ما كانت تستعمله العرب فى أشعارها.

قال أبو العلاء فى «جامع الأوزان»: «إن أكثر أشعار العرب من الطويل والبسيط والكامل؛ ومن تَصَفَّحَ أشعارهم؛ وقف على صحَّة ذلك.».

وقال: «...؛ والمديد والطويل البسيط تجمعهن دائرة واحدة؛ والبسيط والطويل ليس فى الشعر أشرف منهما وزناً؛ وعليهما جمهور شعر العرب؛ وإذا اعترضت الديوان من دواوين الفحول؛ كان أكثر ما فيها طويلاً وبسيطاً.».

ثُمَّ قال:

«والأوزان التى تتقدم فى الشعر كله؛ خمسة:

ثلاثة فى ضروب الطويل بأسرها؛ والضربان الأولان من البسيط».

يُريد: الصورتين الموسيقيتين الأوليين منه.

ثم قال: «ويلى هذه الخمسة فى القوة ثلاثة أوزان؛ وهى: الوافر الأول؛ والكامل الأول والثانى.».

يعنى : الصورة الأولى من الوافر ؛ والأولى والثانية من الكامل.

ويتألف بحرُ الطويل من تفعيلتين ؛ هُما : فعولن مفاعيلن.

تتكرران على هذا النحو أربع مرات فى البيت ؛ وإن شئنا قُلنا : من وتدٍ مجموع ((فعو)) ؛ وسبب خفيف ((لن)) ؛ ووتد مجموع ((مفا)) ؛ وسببين خفيفين ((عي/لن)).

وهو من البحور القليلة التشكيل الموسيقىّ ؛ فموسيقاه تأتى على ثلاث صور ؛ إذ أنَّ له عروضاً واحدةً مقبوضةً وجوباً ؛ ولها ثلاثة أضرُب تتغير من قصيدة إلى أخرى ؛ أما القصيدة الواحدة فعروضها واحدة وضربها واحد فى جميع أبيات القصيدة.

١ـ الصورة الأولى :

وهى تُسَمَّى بالضرب الأول الصحيح.

ومثالها قول أبى نُواس :

فكدنا جميعاً من حلاوة لفظه

نَجُنُّ ولم نسطع لمنطقه صبرا.

ويقطع هكذا :

فكدنا جميعنمن حلاو تلفظهى نجنن ولمنسطع لمنط قهيصبرا

فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن فعول مفاعيلن فعول مفاعيلن

//٥/٥ //٥/٥/٥ //٥/ //٥/٥ //٥/ //٥/٥/٥ //٥/

٥/٥/٥//

٢ـ الصورة الثانية من موسيقا هذا البحر يشكلها الضرب ؛ حيث يأتى مقبوضاً كالعروض ؛ فيصير على وزن ((مفاعلن)).

كقول المتنبى :

بذا قضت الأيَّام ما بين أهلها

مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ.

بذاق ضتلأييا ممابى نأهلها مصاء بقومنعن دقومن فوائدو

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن

//٥/ //٥/٥/٥// ٥/٥// ٥//٥// //٥/ //٥/٥/٥ //٥/٥

٥//٥//

٣ـ الصورة الثالثة من موسيقاه يشكلها الضرب أيضاً ؛ لأن عروض هذا البحر لا تختلف ؛ فهى دائماً على وزن مفاعلن ؛ أما هذا الضرب فمحذوف ؛ والحذف علَّةٌ تكون بحذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة ؛ ولذا يلزم فى كل أبيات القصيدة ؛ فيصير على وزن ((مفاعى)) بحذف ((لن)) من آخره ؛ ويصير عبارة عن وتد مجموع هو ((مفا)) ؛ وسبب خفيف هو ((عى)), وعندنا تفعيلة مستعملة فى هذا البحر هى ((فعولن)) ؛ وهى مساوية لها فى الأجزاء ؛ ولذا ينقلها العروضيون إليها,

ومثاله قول الشيخ محمد عبد المطلب :

رويدك جفنى كم تفيض غروباً
وحسبك أوسعت الزَّمان نحيبا.
ويا أيُّها الباقى وقد ظنَّ أنَّه ؛
. ؛ أسال عيوناً أو أذاب قلوبا.

رويد كجفنيكم تفيض غروبا وحسب كأوتسعتز زمان نحيبا
فعول مفاعيلن فعول فعولن فعول مفاعيلن فعول فعولن
/٥// /٥/٥/٥// /٥// /٥/٥// /٥// /٥/٥/٥// /٥// /٥/٥//

ويلاحظ أن العروض هنا على وزن ((فعولن)) ؛ وكان حقها أن تكون ((مفاعلن)) ؛ لكن الشاعر غيَّرَها من أجل التصريع فى مطلع القصيدة ؛ لتصير مثل الضرب وزناً ؛ ولذا بنى الشطر الأول على الباء التى هى رويُّ القصيدة ؛ فهي بائيَّة ؛ وتجده فى البيت الثانى مباشرة يرجع إلى العروض الأصلية ؛ فعروض البيت الثانى كلمة ((نائْنَهو)) ؛ ووزنها : ((مفاعلن)) ؛ فقد اشتمل البحر على موسيقا عامة دخل تحتها الصور الثلاث عن طريق التغييرات التى حدثت.

ومن هذا البحر معلقة امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ.

ومعلقة طَرَفَة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمدِ.

...

obeikandl.com

ـ البَحْرُ الثَّانِى : بَحْرُ المَدِيد

أجزاؤه هى : ((فاعلاتن فاعلن) أربع مرات فى البيت الواحد.

وهذا البحر تناوله أبو العلاء ؛ فقال : ((... ؛ المديد وزنٌ ضعيف ؛ لا يوجد فى أكثر دواوين الفحول.)).

ـ ويأتى وزن هذا البحر على ستة تشكيلات :

ـ أولها : تكون فيه العروض صحيحة ((فاعلاتن)) ؛ لأنه مجزوء ؛ وضربها مثلها.

نحو قول عمر بن أبى ربيعة :

قال لي ودِّع سُلَيْمَى ودعها

فأجاب القلبُ لا أستطيعُ.

قاللِيود دعسلى ماودعها

فأجابل قلبلا أستطيعو.

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

فعلاتن فاعلن فاعلاتن.

ويلاحظ أن التفعيلة الأولى من الشطر الثانى حُذِفَ الساكن الثانى منها.

ـ البَحْرُ الثَّالِث: بَحْرُ البَسِيط

سموه بذلك لانبساط الحركات فيه؛ أو لانبساط أسبابه وتواليها فى أجزائه السُّباعيَّة.

ويتركب من جزئين؛ هما: «مستفعلن فاعلن» أربع مرات.

ويتشكَّل من هذا سبع صور.

ومن أمثلة هذه الصُّور:

ـ الصورة الأولى:

مثل نهج البردة لشوقى:

ريمٌ على القاع بين البان والعلمِ

أحلَّ سفك دمى فى الأشهر الحرم.

ريمنعلل قاعبى نلبانول علمى

أحللسف كدمى فلأشهرل حرمى.

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن متفعلن فعلن مستفعلن فعلن

التفعلية الأولى من الشطر الثانى دخلها الخبن؛ وكذلك التفعيلة الثانية منه؛ فصارتا «متفعلن فعلن» فهما مخبونتان؛ أى: دخلهما زحاف الخبن؛ وزدنا الياء فى نهاية القافية إشباعاً.

وهذا البحر يكثر فيه زحاف الخبن؛ وكذلك زحاف الطىّ: وهو عبارة عن حذف الرابع الساكن؛ ويدخل «مستفعلن» بحذف الفاء فتصير «

مستعلن)) ؛ وتنقل إلى ((مفتعلن)) ؛ لمساواتها لها مع خفة نطقها ؛ وتسمى حينئذٍ مطوية.

ـ أما الصورة الثانية :

فهىَ التى تحملُ لقب ((مخلع البسيط)) : لكثرة التصرف والتغيير فى موسيقا البحر العامة.

وهو يتكون من مجزوء البسيط وعروضه ((مستفعلن)).

ثم تدخلها العلة اللازمة التى تُسمى ((التخليع)) : وهى عبارة عن خبن+ قطع. فـ :((مستفعلن)) ؛ إذا خُبنت أصبحت ((متفعلن)) ؛ وإذا قطعت حذفنا النون وسكنَّا اللام قبلها ؛ فأصبحت ((متفعل)) ـ أى : وتداً مجموعاً فسبباً خفيفاً ـ.

وهى تساوى فى الوزن ((فعولن)) ؛ فيكون وزنه ((مستفعلن فاعلن فعولن)) مرتين.

وقد نظم عليه ابْنُ الرُّومىّ قوله :

وجهك يا عمرو فيه طولُ

وفى وجوه الكلاب طُولُ.

وجهكيا عمرفي هطولو

وفيوجو هلكلا بطولو.

مستفعلن فاعلن فعولن

متفعلن فاعلن فعولن.

ويلاحظ أن التفعيلة الأولى دخلها « الطىُّ » ؛ فحذف رابعها الساكن.

والتفعيلة الأولى من الشطر الثانى دخلها « الخبن » ؛ حُذف ثانيها الساكن.

أما العروض والضرب فدخلهما « التخليع» ؛ وأصلها « مستفعلن» قبل دخول هذه العلة.

وزدنا واواً فى العروض والضرب ناتجةً عن إشباع الضمة ؛ لأنهما نهايات ؛ فصارت ضمة طويلة صوتيًّاً ؛ استغرق النُّطق بها زمن ضمتين.

كما نظم على هذا البارودىُّ قوله :

توازن الصيف والشتاء

واعتدل الصبح والمساء.

ـ البَحْرُ الرَّابِع : بَحْرُ الوَافِر

سُمِّيَ وافراً ؛ لوفور حركاته.

وأجزاؤه : ((مفاعلن)) ست مرَّات.

ولا يستعمل إلاَّ مجزوءاً أومقطوعاً ؛ ويكثر فيه زحاف العصب.

ويأتي تشكيله على ثلاث صور.

ـ أولاها : تكون العروض فيها على وزن ((فعولن)) ؛ وضربها مثلها.

وذلك كقول الفرزدق :

أمير المؤمنين وأنت برٌّ

كريمٌ ليست بالطبع الحريصِ.

أميرلموء منينوأن تبررن

كريمنلس تبططيعل حريصى.

مفاعلْتن مفاعلتن فعولن

مفاعلْتن مفاعلتن فعولن.

ويلاحظ أن العصب ـ وهو زحاف عبارة عن تسكين الخامس المتحرك ـ قد دخل التفعيلة الأولى من كل شطر ؛ فهى معصوبة.

أما العروض والضرب ؛ فهما مقطوفان ـ والقطف : علَّةٌ عبارة عن حذف +عصب ..

فمفاعلتن بالعصب تصير ((مفاعلْتن)) ـ بتسكين اللام ـ ؛ وبالحذف يحذف

السبب الأخير وهو ((تن)) ؛ فتصير((مفاعل)) ؛ وتساوى وزناً ((فعولن)) المستعملة فى البحر الطويل ؛ والتى هى تفعيلة ((المتقارب)) ؛ والطاء مُشدَّدة اعتُبرت حرفين ؛ ونشأ عن إشباع كسرة الرويّ ـ وهو الصاد ـ ياء.

وإذا دخل ((العصب)) جميع أجزاء هذا البحر ؛ إذا كان مجزوءاً اشتبه ببحر ((الهزج)).

obeikandl.com

ـ البَحْرُ الخَامِس: بَحْرُ الكَامِل

يتكون هذا البحر من ((متفاعلن)) ست مرات.

ويأتي تامَّاً أو مجزوءاً ؛ ويكثر فيه زحاف ((الإضمار)) ـ الذى هو عبارة عن تسكين الثانى المتحرك ـ.

وسُمِّىَ بذلك لكمال الحركات فيه.

أو سُمِّىَ بذلك لكثرة أضربه ؛ فهو يتشكَّل على تسع صور.

ـ أولاها :

كقول عنترة :

وإذا صحوت فما أُقصّر عن ندى

وكما علمت شمائلى وتكرُّمى.

وإذا صحو تفماأقص صرعنندى

وكما علم تشمائلى وتكررمى.

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

متفاعلن متفاعلن متفاعلن.

وإذا دخل الإضمار جميع تفعيلاته صارت ((متْفاعلن)) وتساوى ((مستفعلن)) ؛ ولهذا يشتبه حينئذ ببحر الرجز.

ـ البَحْرُ السَّادِس : بَحْرُ الهَزَج

سُمِّىَ بذلك لأنه ضربٌ من الأغانى وفيه تراكم ؛ والعرب كثيراً ما كانت تهزج ؛ أى تُغَنِّى.

فمن أعجب العجب أن يقل النظم عليه عندهم؟!.

ويتكون من ((مفاعيلن)) ست مرات.

وهذا من حيث التنظير.

أما من حيث الواقع الشعرىِّ فلا يأتى إلاَّ مجزوءاً وجوباً ؛ فيصير على أربع تفعيلات :

ـ أولاها :

نحو قول الفند الزمانىّ :

صفحنا عن بنى ذُهلٍ

وقلنا القوم إخوانُ.

صفحناعن بنيذهلن

وقلنلقو مئخوانو.

مفاعيلن مفاعيلن

مفعيلن مفاعيلن.

وقد شذَّ مجيئه تامَّاً على ستة أجزاء.

كقول الشاعر :

obeikandi.com

تـرفـق أيُّـها الحـادى بعـشاقِ

نشاوى قد تعاطوا كأس أشواقِ.

ومن هذا البحر قول القائل:

عجيبًا لم نكن حرباً

لى مصر ومن فيها.

obeikandl.com

ـ البَحْرُ السَّابِع : بَحْرُ الرَّجَز

سُمِّىَ بذلك تشبيهاً بالناقة الرجزاء ؛ وهى التى ترتعد فخذاها وترتعش ؛ لأنه مضطرب ؛ كثرت فيه العلل والزحافات ؛ ودخله الشطر والجزء والنهك ؛ فهو أكثر البحور تغيُّراً.

وهذا هُوَ مَا حمل بعضهم على أن يتصوره أصل البحور الأخرى ؛ واعتباره أصل الشعر.

وأجزاؤه ((مستفعلن)) ست مرات.

وزحافه الخبن والطىّ ؛ ويدخلانه كثيراً ؛ وقد يجتمعان معاً فى الجزء الواحد ؛ فيكون زحافاً مزدوجاً.

ويلاحظ أن هذا البحر والكامل والوافر ركبت من تفعيلة واحدة على سبيل التساوى ؛ أما الطويل والمديد والبسيط فركبت من تفعيلتين مختلفتين على سبيل التجاوب.

وتشكيل هذا البحر يأتى على خمس صور.

ـ أولاها :

كقول البهاء :

كأنها بعض الظباء السانحةْ.
باتت بها صفقة ودِّى رابحةْ.

...

كأننها بعضظظبا ءسسانحة.

باتتبـها صفقـتود ديرابحة.

...

متفعلن مستفعلن مستفـعلن.

مستفعلن مستعلن مستفعلن.

ويلاحظ أن التفعلية الأولى دخلها ((الخبن)) ؛ والثانية من الشطر الثانى دخلها ((الطىّ)).

ومن مشطوره قول الحطيئة :

الشِّعرُ صعبٌ وطـويلٌ سُلَّمُهْ.

إذا ارتقى فيـه الذى لا يعلمُهْ.

زلَّـت به إلى الحضيض قـدمُـهْ.

وقد استخدم الشعراء مشطوره مزدوجاً باتحاد القافية فى كل بيتين.

كقول أبى العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجِدَهْ.

مفسـدة للمـرء أىُّ مفسـدهْ.

حسبـك ممـا تبتغـيه الـقـوتُ.

مـا أكـثـر الـقـوتُ لمـن يموتُ.

وكذلك ركبه النظَّامون فى العلوم ؛ فعليه جاءت ألفية ابن مالك فى

النحو ؛ فكان جديراً باسم ((حمار الشُّعراء)) .

obeikandl.com

ـ البَحْرُ الثَّامِن : بَحْرُ الرَّمَل

سُمِّىَ بذلك لسرعة النُّطق به ؛ فالرمل لُغةً : هو الإسراع فى المشى.

ويتكون من((فاعلاتن)) ست مرات ؛ ويكثر فيه زحاف الخبن.

وتشكيله يأتى على على ست صور.

ـ الأولى : تكون فيها العروض محذوفة ؛ فتصير ((فاعلاً)) ؛ وتُنقل إلى ((فاعلن)) لأنها تساويها ؛ والضرب مثلها.

كقوله عمر بن أبى ربيعة :

وتمنَّى نظرةً يُشفى بها

غُلَّة الشوق فكانت مهكا.

وتمننى نظرتنيش فيبها

غللتششو قفكانت مهلكا.

فعلاتن فاعلاتن فاعلن

فاعلاتن فعلاتن فاعلن.

يلاحظ أن الخبن دخل التفعيلة الأولى ؛ والتفعيلة الثانية فى الشطر الثانى.

أما العروض والضرب فمحذوفان ؛ وأصلهما ((فاعلاتن)) ؛ حذفت السبب الخفيف ((تن)),

ومنه قول محمد عبد المطلب :

جدَّدت عهدى بأيَّام الربا

نفحة جاءت بها ريح الصبا.

obeikandl.com

ـ البَحْرُ التَّاسِع : بَحْرُ السَّرِيع

سُمِّىَ بذلك لسرعة النُّطق به لكثرة أسبابه.

وأجزاؤه : ((مستفعلن مستفعلن مفعولات)) مرتين.

ويكثر فيه زحاف الخبن وزحاف الطىّ ؛ ويستعمل مشطوراً وتامَّاً.

وتشكيله على ست صور.

ـ الأولى :

تكون فيه العروض مطوية مكشوفة ؛ فإذا طويت صارت ((مفعلات)) ـ والكشف : عبارة عن حذف السابع المتحرك ـ ؛ فإذا كشفت صارت ((مفعلا)) ؛ وتنقل إلى ((فاعلن)) لتساويهما عروضيَّاً ؛ وضربها يكون مثلها. كقول البارودىِّ :

هجوته لا بالغاً لؤمه

لكننى كفكفت من عربهِ.

هجوتهو لابالغن لؤمهو

لاكنننى كفكفتهن عريهى.

متفعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن مستفعلن فاعلن.

ويلاحظ أن التفعيلة الأولى دخلها الخبن,ويشتبه هذا البحر مشطوراً ببحر

الرجز ؛ لأنه يأتى مشطوراً مثله.

obeikandl.com

ـ البَحْرُ العَاشِر: بَحْرُ المُنْسَرِح

سُمِّىَ بهذ لانسراحه وسهولته على اللسان.

وأجزاؤه: ((مستفعلن مفعولات مستفعلن)) مرتين.

وهى الأجزاء ذاتها التى تكوَّنَ منها السريع؛ مع فارق؛ هو توسط ((مفعولات)) هنا؛ وتأخيرها هناك؛ وتأتى فى هذا البحر مطوية فى الكثير الغالب؛ فتصير ((مفعلات)) ؛ وهذه التاء المتحركة فى نهاية الوحدة الصوتيَّة العروضيَّة جعلت نغمته أشبه بالنثر؛ لأن العرب تستحب المقطع المغلق؛ وتنتهى بالحركات إلى السكون؛ ولا سيما فى النهايات؛ كما يظهر فى الوقف فى الكلام.

وتشكيله يأتى على ثلاث صور.

ـ أولاها: تكون العروض صحيحة مطوية؛ وضربها مثلها؛ فتصير هى والضرب على وزن ((مستعلن)) ؛ التى تساوى ((مفتعلن)).

كقول عمر بن أبى ربيعة:

اعتادنى بعد سلوة حزنى

طيف حبيب سرى فأرقنى.

اعتادنى بعدسلو تنحزنى

طيفحبى بنسراف أررقنى.

مستفعلن مفعلاتُ مستعلن

مستعلن مفعلات مستعلن.

obeikandl.com

ـ البَحْرُ الخَادِى عَشَر: بَحْرُ الخَفِيف

سُمِّىَ بذلك لتوالى الأسباب الخفيفة فيه.

وأجزاؤه: ((فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن)) مرتين.

ويدخله الخبن كثيراً؛ ولا سيما جزؤه الثانى منه.

وتشكيله يأتى على خمس صور.

ـ أولاها:

تكون العروض فيه صحيحة؛ وضربها مثلها.

كقول عمر بن أبى ربيعة:

من لقلبى أمسى حزيناً مُعنَّى
مستكيناً قد شفَّه ما أجنَّا.

منلقلبى أمساحزى ننمعننا
مستكينن قدشففهوا ما أجننا.

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن
فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن.

ومن الخفيف معلقة الحارث بن حلزة:

آذنتنا ببينها أسماءُ
رُبَّ ثاوٍ يملُّ منه الثواء.

وقول المتنبى:

obeikandl.com

من أطاق التماس شيءٍ غلابا
واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا.

obeikandl.com

ـ البَحْرُ الثَّانِى عَشَر: بَحْرُ المُضَارِع

أجزاؤه: « مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن » مرتين.

وهو مجزوء وجوباً.

وَسُمِّىَ بذلك لمضارعته الهزج فى الجزء؛ أو لمشابهته الخفيف.

ومنه قول أبى نواس:

أيا ليل لا انقضيت

ويا صبح لا أتيت.

obeikandl.com

ـ البَحْرُ الثَّالِث عَشَر: بَحْرُ المُقْتَضَب

المقتضب: لأنه اقتُضب من الشعر واقتُطع منه؛ أو من المنسرح.

وأجزاؤه: ((مفعولات مستفعلن مستفعلن)) مرتين؛ غير أنه مجزوء وجوباً؛ فأجزاؤه وأجزاء السريع والمنسرح واحدة؛ والتغيير فيها إنما هو فى ترتيبها ووضعها.

وصورته: تكون العروض مطوية؛ وضربها مثلها؛ فتصير على وزن ((مفعولات مستعلن)).

كقول الشاعر:

يا مليحة الدَّعجِ

هل لديك من فرجِ.

يا مليح تددعجى

هللديك منفرجى.

مفعلات مفتعلن

مفعلات مفتعلن.

ـ البَحْرُ الرَّابِعُ عَشَر: بَحْرُ المُجْتَث

المجتث: لاقتطاعه من الخفيف.

وأجزاؤه: ((مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن)) مرتين؛ فهى تفعيلات الخفيف؛ ولكن بتقديم ((مستفع لن)) ؛ وهو مجزوء وجوباً؛ فيصير وزنه ((مستفع لن فاعلاتن)) مرتين.

كقول ابن سهل:

تدنيك زور الأمانى
منى وتنأى طلابا.
تدنيكزو رلأمانى
مننيوتن أأطلابا.
مستفع لن فاعلاتن
مستفع لن فاعلاتن.

ـ فَائِدَةٌ:

الأوزان الثلاثة: المضارع والمقتضب والمجتث؛ قلما توجد فى أشعار المتقدمين؛ وكل ما أورده الخليل من شواهد عليها؛ قال عنها المعرى: إنها لم تُسمع فى شعر العرب.

ـ البَحْرُ الخَامِسُ عَشَر: بَحْرُ المُتَقَارِب

المتقارب: سُمِّىَ بذلك لقرب أسبابه من أوتاده.

وأجزاؤه: ((فعولن)) ثمانى مرَّات؛ ويكثر فيه القبض.

وله ست صور.

ـ الأولى منها صحيحة؛ وضربها مثلها.

كقوله الحطيئة:

تحنَّن علىَّ هداك المليكُ

فإنَّ لكُلِّ مقامٍ مقالا.

تحنن عليى هداكل مليكو

فإنن لكلل مقامن مقالا.

فعولن فعول فعولن فعولن

فعول فعول فعولن.

ـ البَحْرُ السَّادِسُ عَشَر: بَحْرُ المُتَدَارِك

المتدارك: لتداركه المتقارب والتحاقه به؛ أو لأنَّ الأخفش الأوسط «ت سنة ٢١٥هـ» تداركه على البحور التى عرفها الخليل؛ كما سُمِّىَ من أجل ذلك المخترع والمتسق.

وسُمِّىَ ضرب الناقوس؛ لأنه قد يأتى على «فعلن».

وأجزاؤه: «فاعلن» ثمانى مرات.

وصوره أربع.

أولاها: تامة صحيحة؛ وضربها مثلها.

كقول الشاعر:

لم يدع من مضى للذى قد غبر
فضل علم سوى أخذه بالأثر.
لم يدع منمضى للذى قدغبر
فضلعل منسى أخذهى بالأثر.
فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن
فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن.

ـ فَائِدَةٌ

ونورد فيما يلى أبياتاً نُظمت كمفاتيح للبحور ؛ يستطيع الدارس بها أن يتذكر دائماً أوزان البحور.

ويلاحظ هنا أن الشطر الأول من كل بيت يشتمل على اسم البحر ؛ وأن الشطر الثانى منه يشتمل على تفعيلات البحر.

١ـ الطويل

طويلٌ له دون البحور فضائل

فعولن مفاعيلن فعولن فاعلن.

٢ـ المديد :

لمديد الشعر عندى صفات

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن.

٣ـ البسيط :

إن البسيط لديه يُبسط الأمل

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن.

٤ـ الوافر :

بحور الشعر وافرها جميل

مفاعلتن مفاعلتن فعولن.

٥ ـ الكامل :

obeikandl.com

كمل الجمال من البحور الكامل

متفاعلن متفاعلن متفاعلن.

٦- الهزج :

على الأهزاج تسهيل

مفاعيلن مفاعيلن.

٧- الرجز :

فى أبحر الأرجاز بحر يسهل

مستفعلن مستفعلن مستفعلن.

٨ - الرمل :

رمل الأبحر يرويه الثقات

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن.

٩- السريع :

بحر سريع ما له ساحل

مستفعلن مستفعلن فاعلن.

١٠- المنسرح :

منسرح فيه يضرب المثل

مستفعلن مفعلاتُ مفتعلن.

١١- الخفيف :

obeikandl.com

يا خفيفاً خفَّت به الحركات

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن.

١٢ـ المضارع :

تعد المضاراعات

مفاعيل فاع لاتن.

١٣ـ المقتضب :

اقتضب كما سألوا

مفعلاتُ مفتعلن.

١٤ ـ المجتث :

إن جثت الحركات

مستفع لن فاعلاتن.

١٥ـ المتقارب :

عن المتقارب قال الخليل

فعولن فعولن فعولن فعولن.

١٦ـ المتدارَك ـ ويقال له أيضاً الخبب والمحدث ـ :

obeikandl.com

حركات المحدث تنتقل

فعلن فعلن فعلن فعلن.

obeikandl.com

ـ الأَوْزَانُ السِّتَّةُ المُسْتَحْدَثَةُ مِن عَكْسِ البُحُور

إنَّ المُولَّدين لم يُطيقوا أن يلتزموا تلك الأوزان الموروثة من العرب ؛ فأحدثوا أوزاناً أخرى ؛ منها ستة استنبطوها من عكس دوائر البحور ؛ وهى :

...

١ ـ المستطيل : وهو مقلوب الطويل.

وأجزاؤه : ((مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن)) مرتين.

كقول القائل :

لقد هاج اشتياقى غرير الطرف أحور

أُديرَ الصدغُ منه على مسك وعنبر.

...

٢ ـ الممتد : وهو مقلوب المديد :

وأجزاؤه : ((فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن)) مرتين.

كقول القائل :

صاد قلبى غزال أحور ذو دلال

كلَّما زدت حُبَّاً زاد منى نفورا.

...

٣ ـ المتوافر : وهو محرَّف الرمل.

وأجزاؤه : ((فاعلاتن فاعلاتن فاعلن)) مرتين.

ومثاله :

ما وقوفك بالكرائب فى الطَّلل ؟!

ما سؤالك عن حبيبك قد رحل ؟!.

ما أصابك يا فؤادى بعدهم ؟!

أين صبرك يا فؤادى ما فَعَل ؟!.

...

٤ ـ الْمُتَّئد : وهو مقلوب المجتث.

وأجزاؤه : ((فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن)) مرتين.

وقد نظم منه بعض المُولَّدين :

كن لأخلاق التصابى مستمريا

ولأحوال الشباب مستحليا.

...

٥ ـ المنسرد : مقلوب المضارع.

وأجزاؤه : ((مفاعيلن مفاعيلن فاع لاتن)) مرتين.

وقد نظم منه بعضهم :

على العقل فعوِّل فى كل شانِ

ودان كلّ من شئت أن تدانى.

...

٦ ـ الْمطَّرد : صورة أخرى من مقلوب المضارع.

وأجزاؤه : ((فاع لاتن مفاعيلن مفاعيلن)) مرتين.

obeikandl.com

كقول بعضهم:

ما على مستهام رِيعَ بالصَّدِّ

فاشتكى ثم أبكانى مِنَ الوجدِ.

ومن الأوزان التى استحدثوها؛ ما فعله أبو العتاهية؛ قد ذُكِرَ أنه نظم على أوزان لا توافق ما استنبطه الخليل؛ إذ جلس يوماً عند قصَّار؛ فسمع صوت المدق؛ فحكى وزنه فى شعر؛ وهو:

للمنون دائرا

ت يدرن صرفها.

ثُمَّ ينتقيننا

واحداً فواحدا.

فلمَّا انتُقد فى هذا؛ قال: أنا أكبر من العروض.

ـ تَذْيِيل

ومن أشهر ما استُحدث غير ما تقدم ؛ الفنون السبعة ؛ وهى :

١ـ السلسلة.

٢ـ الدوبيت.

٣ـ القوما.

٤ـ الموشح.

٥ ـ الزجل.

٦ ـ كان وكان.

٧ ـ المواليا.

والموشحات والأزجال من اختراع الأندلسيين ؛ وتبعهم فيها المشارقة.

...

١ـ السلسلة :

أجزاؤه : ((فعلن فعلاتن مفتعلن فعلاتان)).

ومنه :

السحر بعينيك ما تحرك أو جال

إلاَّ ورمانى من الغرام بأوجال.

يا قامة غصن نشا بروضة إحسان

أيَّان هفت نسمة الدلال به مال.

obeikandl.com

...

٢ ـ الدوبيت : وهو وزنٌ فارسىٌّ نسج على منواله العرب.

و ((دو)) بالفارسية معناها : اثنان ؛ أى أنه مُركَّبٌ من بيتين ؛ ويسميه الفُرس : الرباعى ؛ فلعله لاشتماله على أربعة أشطر.

وأوزانه كثيرة.

وأشهرها : ((فعلن متفاعلن فعولن فعلن)) مرتين .

ومنه قول ابن الفارض :

روحى لك يا مواصل الليل فدا

يا مؤنس وحدتى إذا الليل هدا.

.. إن كـان فـراقـنـا الصبـح بـدا

... ؛ لا أسفَرَ بعد ذاك صبحٌ أبدا.

وهو كما ترى متحد القوافى فى جميع مصاريعه.

فإن اختلفت الثالثة منها سُمِّىَ : أعرج.

مثل قول شرف الدِّين بن الفارض :

أهـوى رَشاً لى الأسى قـد بعثا

مـذ عـاينـه تَصَبُّرى مـا لبـثا.

ناديت وقد فكرت فى خلقته :

سبحانك ما خلقت هذا عبثا.

...

٣ ـ القوما : اخترع هذا الفنَّ البغداديون القائمون بالسحور فى رمضان ؛ واسمه مأخوذ من قول بعضهم لبعض : ((قوما نسَّحَّر قوما)) .
وقد شاع هذا الفن ؛ ونظموا فيه سائر الأنواع ؛ ولغته عامية ملحونة ، .
ووزنه : ((مستفعلن فعلان)) مرتين.
وأول من اخترعه أبو نقطة للخليفة الناصر ؛ وكان يطرب له ؛ فجعل له عليه وظيفة كل سنة ؛ ولَمَّا توفى كان ابنه ماهراً فى نظم القوما ؛ فأراد أن يُعرِّفه الخليفة ليجرى على مفروضه ؛ فتعذَّر عليه ذلك إلى رمضان ؛ ثم جمع أتباع والده ووقف أول ليلة من تحت شرفة القصر وغنى القوما بصوت رقيق ؛ فأصغى الخليفة له وطرب ؛ فلما أراد الانصراف ؛ قال :

يا سيِّد السَّاداتْ
لك بالكَرَم عاداتْ.
أنا ابن أبو نقطه
تَعِش أبُويا ماتْ.

فخلع عليه الخليفة ؛ وجعل له ضعف ما كان لوالده.
...
٤ ـ الموشحات : اخترعها الأندلسيون ؛ وأول من نظمها منهم مُقَدَّمُ بن معافر ـ من شُعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانىِّ فى أواخر القرن الثالث ..
وقد كسدت هذه الصناعة فى أول الأمر ؛ حتى نشأ عبادة القزاز المتوفى سنة

٤٢٣هـ ؛ فأجاد فيه.

وانتقل هذا الفن إلى المشرق ؛ فنسج المشارقة على منواله.

وأوزانه كثيرة .

منها : ((مستفعلن فاعل فعيل)) مرتين .

مثال :

يا جيرة الأبرق اليمان

هل لى إلى وصلكم سبيل؟!.

ومنها : ((فاعلاتن فاعلن مستفعلن فاعلن)) مرتين.

مثل موشحة ابن سناء المُلك المصرىِّ المتوفى سنة ٦٠٨هـ :

كلِّلى ... يا سُحُبُ تيجانَ الرُّبَا بالْحُلى.

واجعلى... سـوارك مُنْعطَفَ الجـدولِ.

...

٥ ـ الزجل : وقد اختُرع هـذا الفـن بالأنـدلس بعـد أن نـضجت الموشـحات وتداولها الناس بكثرة وحركت نفوس العامة ؛ فنسجوا على منوال الموشح بلغتهم الحضرية.

وقد كثرت أوزانه حتى قيل : ((صاحب ألف وزن ليس بزجَّال)).

وأول من اخترعه رَجُلٌ يُقال له : راشد ؛ ولكنه لم يظهر فيه رشاقته كما أبدع فيه بعده ابن قزمان المتوفى سنة ٥٥٥هـ ؛ وهو إمام الزجَّالين على الإطلاق.

ومن قوله فيه :

وعريش قام على دكان ... بحال رواق.

وأسد ابتلع ثعبان ..... فى غُلظِ ساق.

وفتح فَمُّو بحال إنسان ..... فيه الفواق.

وانطلق يجرى على الصُّفَّاح ... ولقى الصَّباح.

...

٦ ـ كان وكان : اخترعه البغداديون.

وسُمِّىَ بذلك لأنهم لم ينظموا فيه سوى الحكايات والخرافات.

فكان قائله يحكى ما كان ؛ حتى ظهر الإمام الجوزى والواعظ شمس الدين فنظما منه الحكم والمواعظ.

ويصاغ معرب بعض الألفاظ على وزن واحد وقافية واحدة ؛ ولا تكون قافيته إلاَّ مردوفة ساكنة الآخر وقبله حرف لين ساكن.

ووزنه :

مستفعلن فاعلاتن ... مستفعلن مستفعلان.

ومثاله :

قُم يا مُصلى تضرَّع ... قبل أن يقولوا كانَ وكانْ.

مستفعلن فاعلاتن ... مستفعلن فَعْلان.

لِلبَرِّ تَجْرِى الْجَوَارِى ... فى السِّحر كالأعلام

...

٧ ـ المواليا : وهو من الفنون التى لا يلزم فيها مراعاة قوانين العربيَّة ؛ وهو من البسيط ؛ لولا أن له أضرباً تخرجه عنه.

وقد ذكروا فى سبب نشأته أن الرشيد لما نكب البرامكة أمر ألا يُرْثوا بشعر ؛ فرثتهم جارية بهذا الوزن ؛ جعلت تنشد وتقول : يا مواليا ؛ ليكون ذلك منجاة لها من الرشيد ؛ لأنها لا ترثيهم بالشِّعر المنهىّ عنه.

وهو فى الاصطلاح ثلاثة أنواع :

١ـ رُباعىٌّ : وهو ما كان أشطر بيتيه مصرعة.

مثل قول جارية البرامكة :

..... يا دار أين الملوك أين الفُرس

.. ؛ أين الذين رعوها بالقنا والترس.

قالت تراهم زمم تحت الأراضى الدُّرس

سُكوتٌ بعد الفصاحة ألسنتهم خُرس.

٢ ـ وأعرج : وهو ما اختلف مصرع منه عن الثلاثة الباقية.

مثل قول بعضهم فى الوعظ :

يا عبد ابكى على فعل المعاصى ونوح

هم فين جدودك أبوك آدم وبعده نوحْ.

دنيا غرورة تجى لك فى صفة مركب

ترمى حمولها على شط البحور وتْروحْ.

٣ ـ نعمانى :

مثل قول بعضهم :

الأهيف اللى بسيف اللحظ جارحنا.

.... ؛ بيده سقانا الطَّلا وجارحنا.

رمش رمى سهم قَطَّع به جوارحنا.

أهين على لوعتى فى الحُبِّ يا وعدى.

هجره كوانى وحيَّرنى على وعدى.

يا خِلِّ واصل ووافى بالمُنى وعدى.

من حر هجرك ومن نار الجوى رحنا.

ـ فَـائِـدَةٌ

قَالَ مُحَمَّـد عَلَى السَّـرَّاج فِى « اللُّبَـاب » ؛ (ص : ١٨٩ ـ ١٩٩) :

« ـ فُـنُـونُ الشِّـعْر :

عندما استفاضت حضارة العرب فى المشرق والمغرب ؛ وتمازجت ثقافاتهم بثقافات غيرهم ؛ ابتـدع شـعراؤهم بحـوراً جديـدة للـشعر ؛ كـ : السلـسلة ؛ والوسيط ؛ والوسيم.

وأحدثوا فنوناً منه تُعبـرُّ عن طراز حياتهم وألوان مجمتعهم ؛ كـ : المواليـا ؛ والدوبيت ؛ والموشح ؛ والزجل ؛ والإجازة ؛ والتضمين ؛ والتشطير ؛ والتخميس. وهذه أمثلة من بعضها :

...

ـ بحر السلسلة :

ـ وزنه :

فعْلن فعِلاتن متفعلن فَعِلاتن

فعلن فعلاتن متفعلن فعلاتانْ.

ومثاله :

يا مالك روحى إلى حُبِّك يوحى

آيات صبوحى بها المتيم نشوان.

...

- الموشح :

هو من اختراع شعراء الأندلس.

وضابطهُ : أنه ينظم بيتان عروضهما على قافية وضربهما على قافية أخرى ؛ ثم ينظم بعدها خمسة أبيات : الثلاثة الأولى متفقة الأعاريض والأضرب ؛ والبيتان الأخيران عروضهما وضربهما كالبيتين الأولين.

ويبدو ذلك فى موشح لسان الدِّين بن الخطيب فى مطلعه ودوره :

جادك الغيثُ إذا الغيثُ همى
يَا زمان الوصل بالأندلسِ.
لم يكن وصلُك إلا حُلُما
فى الكرى أو خلسة المختلسِ.

دَوْر :

إذ يقودُ الدهر أسباب المُنى
ينقل الخطوَ على ما نرسمُ.
زُمَراً بين فُرادى وثنى ... ؛
مثلما يدعو الوفودَ الموسمُ.
والحيا جدَّد للروض سنى ..
..... ؛ كسنا الأزهار فيه تبسمُ.
وروى النُّعمانُ عن ماء السما

كيف يروى مالكٌ عن أنس.

.... ؛ فكساه الحسنُ ثوباً معلما

..... ؛ تزدهى منه بأبهى ملبسِ.

...

ـ التَّضمين :

هو أن يضمن الشاعر أبياتاً أو أشطاراً من نظم غيره ـ تزويقاً وتحسيناً ـ كتضمين ابن حجة أبياته فى وصف مغانى حماة ؛ فقال :

تفوق عيون الزهر بين شطوطها .....

..... ؛ (عيون المها بين الرُّصافة والجسرِ).

وإن جرتُ فى الرمضاء بين غصونها ... ؛

(جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى).

...

ـ الإجازة :

هي أن ينظم شاعرٌ شطراً أول ؛ ويُجيزه آخر بالشطر الثانى.

كقول أحدهم يصف ماء نهر جعَّدهُ مر النسيم ؛ وكان بالقرب منه فتاة أعرابيَّة ؛

فقال :

عقد الريحُ على الماء زردْ

فقالت :

يا له درعاً منيعاً لو جمدْ !.

وقال أبو نواس :

عذب الماء وطابا

فقال أبو العتاهية :

حبذا الماء شرابا.

...

ـ التشطير:

هوان تختار بيتاً فتجعله بيتين اثنين ؛ بأن تضم إلى الشطر الأول منه شطراً آخر بعده ؛ وللشطر الثانى شطراً آخر قبله.

كما ترى فى تشطير:

كسرَ الجرَّةَ عمداً .....

؛ وسقى الأرض شرابا.

صحتُ والإسلام دينى

.....: ليتنى كنت ترابا.

تشطيرهما :

كسر الجرَّة عمداً .....

.... ؛ أهيفٌ يحلو رُضابا.

obeikandl.com

وسقانى خمر فيهِ .....

؛ وسقى الأرض شرابا.

صحت والإسلام دينى

؛ حلَّ ذا السُّكر وطابا.

وغدا الكوب ينادى

..... ؛ ليتنى كنت ترابا.

وكتشطير هذين البيتين :

لقد زارنى من بعد حَوْلٍ مودعاً

وطرف الدجى قد صارفي راحة الفجرِ.

فاخجلته بالعتب حتى رأيته .....

..... ؛ يزيل الثريَّا بالهلال عن البدرِ.

وتشطيرهما : ...

لقد زارنى من بعد حول مودِّعاً...

.... ؛ ليودع قلبى حرقة البُعد والهجرِ.

فقلت أتأتينى كطالب جمرةٍ ..... ؛

وطرف الدجى قد صار فى راحة الفجرِ.

فأخجلته بالعتب حتى رأيته .....

قد احمرَّ وجهاً..... ؛ ثُمَّ كُلِّلَ بالدرِّ.

وقوَّس قُضبان اللجين وقد غدا.....

..... ؛ يزيل الثريَّا بالهلال عن البدرِ.

...

ـ التَّخْمِيس :

هو أن تعمد إلى بيت ؛ فتُقدم عليه ثلاثة أشطر على قافية الشطر الأول.

كتخميس :

تمتع من شميم عرار نجدٍ

فما بعد العشية من عرارِ.

وتخميسه :

ومذ أزف الرحيل بركب هندِ

جرى دمعى دماً من فوق خدِّ

فقالت..... ؛ ثم ضمتنى لنهدِ

.... : تمتع من شميم عرار نجدِ

... ؛ فما بعد العشية من عرارِ

العرارُ : نبتٌ طيِّبُ الرَّائحة ؛ الواحدة : عرارة.)). أهـ.

القِسْمُ الثَّانِى : عِلْمُ القَافِيَة

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

ـ تَمِهِـيد :

قَالَ أبو الحسن سَعيدُ بنُ مسعدة ؛ المجاشعىُّ ـ ولاءً ـ ؛ البَلخىُّ ؛ ثُمَّ البصرىُّ ؛ المعروف بالأخفش الأوسط «ت سنة ٢١٥هـ» فِى مُقدِّمَة كِتَابِهِ « القَوَافِى » : « اعلم أن القافية آخر كلمة فى البيت.

وإنما قيل لها قافيةٌ ؛ لأنها تقفو الكلام.

وفى قولهم قافية ؛ دليل على أنَّها ليست بالحرف ؛ لأن القافية مؤنثةٌ ؛ والحرف مذكر ؛ وإن كانوا قد يؤنثون المذكَّر.

ولكن هذا قد سُمع من العرب.

وليست تؤخذ الأسماء بالقياس.

ألا ترى أنَّ رجلاً وحائطاً وأشباه ذلك لا تؤخذ بالقياس ؛ وإنما ننظر ما سمَّته العرب فنتَّبعه.

والعرب لا تعرف الحروف.

أخبرنى من أثق به أنَّهم قالوا لعربىٍّ فصيح : أنشدنا قصيدةً على الدال وغيرها من الحروف ؟ ؛ فإذا هم لا يعرفون الحروف.

وأنشد أحدهم :

لا يشتكين ألماً ما أنقين

ما دام مخٌّ فى سلامى أوعينْ.

فقلت : أين القافية ؟ ؛ فقال : أنقين.

وقالوا لأبى حيَّة : ابنِ لنا قصيدة على القاف ؟.

فقال :

كفى بالنأى من أسماء كافِ

وليس لحُبِّها إذ طال شافِ.

ولم يعرف القاف.

وقد يجعل بعضهم القافية كلمتين.

سألت أعرابياً ؛ وأنشد :

بناتُ وطّاءِ على خدِّ اللَّيلْ

لأمِّ من لم يتَّخذهنَّ الويلْ.

فقلت : أين القافية ؟.

فقال : خدِّ الليل.

لأنَّه إنما يريد الكلام الذى هو آخر البيت ؛ لا يُبالى قلَّ أو كَثُرَ ؛ بعد أن يكون آخر الكلام.

وقد جعل بعض العرب البيت قافية.

قال حسَّان :

فنحكم بالقوافى من هجانا

ونضربُ حينَ تختلط الدِّماءُ.

obeikandl.com

وبعض العرب يجعل القوافى القصائد.

وسمعت عربيًّاً يقول: عنده قوافٍ كثيرةٌ؛ فقلت: وما القوافى ؟؛ فقال: القصائد. وسألت آخر فصيحاً؛ فقال: القافية القصيدة؛ ثم أنشد:

وقافية مثلِ حدِّ السِّنا

نِ تبقى ويهلكُ من قالَها.

يعنى القصيدة.

وأخبرنى من أثق به أنه سمع هذا البيت:

نُبِّئتُ قافيةً قيلت تناشدها

قومٌ سأتركُ فى أعراضهم نُدَبا.

ومن زعم أنَّ حرفَ الرَّوىِّ هو القافيةُ؛ لأنه لازمٌ له ؟؛ قلتَ له: إنَّ الأسماء لا تؤخذ بالقياس؛ إنما ننظرُ ما تُسمِّى العرب فنُسمِّى به.

ونقول له: صحَّة البيت لازمة؛ فهلاَّ تجعلها قافية ؟!.

وتأليفه لازم له وبناؤه؛ فهلاَّ تجعل كلَّ واحدٍ من ذا قافية ؟! .

ومن زعم أنَّ النصف الآخر كلَّه قافيةٌ ؟؛ قلت له: فما باله إذا بُنىَ البيت كلُّه إلا الكلمة التى هى آخره ؟؛ قيل: بقيت القافية.

ولو قال لك شاعرٌ: اجمع لى قوافى ؟؛ لم تجمع له أنصافاً؛ وإنما تجمع له كلمات؛ نحو: غلام؛ وسلام.

ولو كانت القوافى هى الحروف؛ كان قولُ الشاعر:

يا دارَ سلمَى ! يا اسلَمى ثم اسلمى

مع قوله :

فخندفُ هامةُ هذا العالمِ.

غيرَ معيب ؛ لأن القافيتين متفقتان ؛ إذ كانتا ميمين ؛ ولجاز قال مع قيل ؛ لأنك تقول : إذا اتفقت القوافى صَحَّ البناء ؛ وإذا لم تتَّفق فسد.

فإن كانت الحروف هى القوافى ؛ فقد اتفقت فى قال وقيل ؛ لأنهما لامان.

وإذا سمعت العرب مثل هذا ؛ قالوا : اختلفت القوافى.

فقولهم : اختلفت القوافى ؛ يدلُّ على أنهم لا يعنون الحروف.

وجميع من ينظر فى الشِّعر إذا سمع مثل هذا ؛ قال : اختلفت القوافى.

فقولهم : اختلفت القوافى ؛ يدلُّ على أنهم لا يعنون الحروف.

والقافية عند الخليل ما بين آخر حرف من البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرِّك الذي قبلَ الساكن.

وقد جاء بيتٌ من قول العرب :

وقافية بين الثنيَّة والضِّرْسِ.

زعموا أنَّه يعنى به الضاد.

ولا أُراه عناها ؛ ولكنه أراد شدَّة البيت .

وقال بعضهم : أراد السين.

وأكثر الحروف تكون بين الثَّنيَّة والضِّرس.

وإنما يجاوز الثنيَّة من الحروف أقلُّها.

وقد يجوز أن تجُعل السين هى القافية فى مجاز الكلام ؛ لأنه آخر الحروف.

ويجـوز فـى هـذا القيـاس أن تكـونَ اليـاءُ التـى للوصـل ؛ وجميع حـروف الوصل ؛ إذا لم يكن بعدهنَّ شىءٌ قافيةً.

وجميع حروف الخروج ؛ كلُّ واحدٍ منها قافية على المجاز ؛ لأنه آخر الحروف.

إلى ذا رأيت العربَ يقصدون.

وعلى ذا فسَّر الخليل من غير أن يكون سمَّى.

ولكن ذكر اختلاف القوافى ؛ فقال : يكون فى القـوافى التأسيس والـرّدف وأشباه ذلك.

فلو كانت عنده الحروف لم يكن يقول هذا ؛ لأنَّ الحرفَ الواحد لا يكون فيه أشياء من نحو التأسيس والرّدف.

وقد وضع الخليل أسماء من الأفعال للقوافى.

منها : فيعل ؛ وفاعل ؛ وفال ؛ وفيل.

فجعل كلَّ واحدٍ من ذا قافية.)).أهـ كَلام الأخفش.

...

قُلْتُ : هذا هُو ما ذكرهُ الأخفش ؛ ولكن قد اصطلح النَّاسُ على غَيْرِ ذلك.

قَال الدكتور محمود مصطفى ((ت سنة ١٣٦٠هـ)) فى كتابهِ ((أهدى سبيل إلى علمى الخليل)) ؛ (ص : ٩٠) :

«ـ علم القافية :

فى الشعر العربىِّ جزءٌ مهمٌ فى البيت ؛ وهو آخره.

ويُسمَّى هذا الجزء قافية ـ على ما سنحدها به بعدُ ـ.

ويتعلق البحث فى هذا العلم : بحروف هذه القافية ؛ وحركاتها ؛ وما يجب لها من لوازم ؛ وما يعرض من عيوب.

فبحثُ القافية مهمٌ كبحث أجزاء البيت الشعرىِّ ووزنه ؛ لأن من جهل شروطها وقع فى المخالفة للنهج العربىِّ ؛ وجاوز النسق الذى رُسِمَ للشعر كما هدى إليه الذوق السليم.

ـ تعريف القافية :

القافية : هى الحروف التى تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين فى آخر البيت الشعرىِّ ؛ وتكون القافية كلمة واحدة.

مثل :

فلو نبش المقابر عن كُليب

فيعلم بالذنائب أىّ زيرِ.

فكلمة : زير ؛ وساكناها هما الياء التى قبل الراء والأخرى التى بعدها الناتجة من إشباع الكسرة.

وقد تكون بعض كلمة.

مثل قوله أيضاً :

فإن يَكُ بالذنائب طال ليلى

فقد أبكى من الليل القصيرِ.

فالقافية هى حروف : صير.

وقد تكون كلمتين.

مثل :

مكرٍّ مفرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً

كجلمود صخر حطه السيل مِن عَلِ.

فالقافية كلمتا : مِنْ عَلِ.)).أهـ.

وَقَال الأُستاذ عبد العزيز عتيق ((ت سنة ١٣٩٦هـ)) فى ((علـم العـروض والقافية)) ؛ (ص : ١٣٤ ـ ١٣٥) :

((ـ القافية :

يُعرف علماء العروض القافية ؛ بأنها : هى المقاطع الصوتيَّة التى تكـون فـى أواخر أبيات القصيدة ؛ أى المقاطع التى يلزم تكرار نوعها فى كُلِّ بيت.

فأول بيتٍ فى قصيدة الشعر الملتزم يـتحكم فـى بقيـة القـصيدة ؛ من حيـث الوزن العروضىِّ ؛ ومن حيث نوع القافية.

فإذا فرضنا أن الشاعر أنهى مطلع قصيدته ـ أى البيت الأول منها ـ بكلمـة مثل الوطنْ ـ بسكون النون ـ ؛ فإنه يتحتَّم عليه أن يختم بقية أبيات القصيدة

بنون ساكنة ؛ مثل : الزمنْ ؛ والشجنْ ؛ والوسنْ ؛ والفننْ ؛ ... ؛ إلخ.

أما إذا أورد النون فى (الوطن) مُحرَّكة بالكسر فى البيت الأول ؛ فإن عليه أن يلتزم كسر النونات فيما يلى من الأبيات.

وفى هذه الحالة يكون الشاعر قد أوجب على نفسه حيال القافية شيئين :

أ ـ النون.

ب ـ وكونها محركة بالكسر.

وكذلك الحال إذا أورد النون مضمومة أو مفتوحة ؛ فإن نوع الحركة يتحتَّم فى بقيَّة القصيدة.

ويحدث ألا يكتفى الشاعر بذلك ؛ بل قد يورد بعد النون المحركة هاء ساكنة أو محركة ؛ مثل : وطنه ؛ زمنه ؛ شجنه ؛ فننه ؛ ... ؛ إلخ.

وأحياناً يلتزم الشاعر قبل النون حرف مد كالألف مثلاً ؛ فيذكر كلمة أوطان ؛ ويكون هذا المد بدون الهاء بعد النون أو مع الهاء التى بعد النون ؛ مثل : أوطانه.

وقد يلجأ الشاعر إلى تنسيق نغم القافية باتباع طريقة أخرى ؛ وذلك بأن يجعل بين المدِّ الذى قبل النون حرفاً صحيحاً ؛ كما فى كلمة : الباطن ؛ والخازن ؛ والقاطن ؛ والساكن ؛ ... ؛ إلخ.

وكل ما تقدم مبنىٌّ على أساس أنه اختار حرف النون لتكون مركزاً للقافية. فالقافية إذن تشتمل على حرف بوضع معين ؛ وعلى حركات بوضع معين

كذلك.

ولها فى كلتا الحالين صفات خاصة ينبغى مراعاتها.

فإذا تخلفت بعض خصائص القافية ؛ نتج عن ذلك عيبٌ من عيوب القافية.

ومن هذا تتحدَّد مباحث القافية كعلمٍ قائمٍ بنفسه ؛ وهى :

حروف القافية ؛ وحركات القافية ؛ وعيوب القافية.)).أهـ.

obeikandl.com

ـ حُرُوفُ القَافِيَة

إذا علمت أن القافية تكون من حروف متحركة وساكنة ؛ فاعلم الآن أسماء هذه الحروف :

...

١ــ الرَّوِىُّ : وهو الحرف الذى بُنيت عليه القصيدة وتُنسب إليه ؛ فيُقال : سينيَّة ؛ ودالِيَّة ؛ وهكذا.

ولا يكون هذا الحرف حرفَ مَدٍّ ولاهاءً.

مثال ذلك :

ألا لله دَرُّكَ من

فَتَى قَوْمٍ إِذَا وَهَبُوا.

فلا يُقال : إن القصيدة واوية ؛ وإنما يُقال : إنها بائية.

وكذلك قول ابن ميَّادة :

لقد سبقتك اليوم عيناك سبقةٌ

وأبكاكَ من عهد الشباب مَلاعِبُهْ.

فليست الهاء حرف رويٍّ ؛ وإنما هى الباء.

ـ والرويُّ :

يُسمَّى مُطلقاً : إن كان متحركاً ـ كما مرَّ ـ.

وَيُسمَّى مُقيَّداً : إن كان ساكناً.

كقول الموصلىِّ:

ألا ليلك لا يذهبْ

ونيط الطرفُ بالكوكبْ.

...

٢ـ الوَصل: هو ما جاء بعد الرويّ من حرف مَدٍّ أُشبعت به حركة الرويَ؛ أو هاء وَلِيَت الرَّويّ.

وحرف المد يكون ألفاً أو ياءً أو واواً؛ ومن أمثلة المدِّ بالألف والمدِّ بالياء:

ـ مثال الألف:

قول المجنون:

ما بالُ قلبكَ يا مجنونُ قد خُلعَا

فى حُبِّ مَنْ لا تَرَى فى نَيلِهِ طَمعا ؟!.

ـ ومثال الياء:

قول عدى بن زيد:

ألا من مُبْلِغ النُّعمان عنِّى

وقد تُهْدَى النصيحة بالمغيبِ.

فالياء فى المغيب المتولِّدة من إشباع كسرتها هى: الوصل.

والهاء تكون ساكنة ـ كما مرَّ فى مثال الرَّويِّ من قول ابن ميَّادة ـ.

وتكون متحركة بالفتح والكسر والضم.

مثال المفتوحة :

تَمُرُّ الصَّبا صفحاً بساكِنِ ذى الغَضَى

ويَصدَعُ قَلْبِى أن يهُبَّ هُبُوبهَا.

ومثال المكسورة :

كُلُّ امرئٍ مصبحٌ فى أَهْلِهِ

والموتُ أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ.

ومثال المضمومة :

خليل لى سأهجُرُهُ

لذنبٍ لستُ أذكرُهُ.

...

٣ـ الخروج : هو حرف المدِّ الذى ينشأ من إشباع حركة الوصل ؛ إن كان الوصل غير حرف مد .

ـ ومثاله :

ـ الألف فى : ((هبوبها)).

ـ والواو فى : ((أذكره)).

ـ والياء فى : ((نعله)). ـ فى الأبيات السابقة ـ.

...

٤ـ الرِّدف : هو حرف المدِّ الذى يكون قبل الرَّوىِّ ولا فاصل بينهما.

مثل قول ابن قيس الرّقيَّات :

قد أتانا من آل سُعدى رسولُ

حَبَّذا ما يقول لى وأقولُ.

وليس بلازمٍ اتحاد حرف الرِّدف فى القصيدة ؛ بل يكون واواً مرَّةً ؛ وياءً أُخرى.

كما فى قول علقمة :

طحا بك قلبٌ فى الحسان طَرُوبُ

بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ.

...

٥ ـ التأسيس : هو الألف التى يكون بينها وبين الروىِّ حرف.

مثل قول ابن حمديس :

الطُّلولُ الدَّوارس

فارقتها الأوانس.

...

٦ـ الدخيل : هو الحرف المُتحرِّك الذى يقع بين التأسيس والروىِّ.

مثل النُّون فى كلمة : « أوانس » فى البيت السابق.

ثُمَّ:

أشرنا من قبل إلى أن أحرف المد والهاء لا تصلح للروىِّ؛ ولكن هذا الكلام ليس على إطلاقه؛ ذلك أنه يمكن أحياناً اعتبار هذه الحروف وصلاً وما قبلها فى هذه الحالة يكون رويَّاً؛ وفى حالات قليلة يمكن اعتبارها رويَّاً بقيود؛ كما يمكن اعتبار أحرف أخرى رويَّاً بقيود كذلك.

وهذه الأحرف؛ هى: الهاء؛ والكاف؛ والتاء.

ومن ذلك نرى أن الأحرف التى تصلح رويَّاً ووصلاً بقيود؛ هى: الألف، ؛ والواو؛ والياء؛ والهاء؛ وتاء التأنيث؛ وكاف الخطاب.

والمراد بصلاحيتها للروىِّ والوصل: أن الشاعر إن التزم ما قبلها كان ما قبلها هذا رويَّاً وكانت هى وصلاً؛ وإن لم يلتزم ما قبلها كانت هى رويَّاً.

وفيما يلى تفصيل ذلك:

...

١ـ الألف:

تصلح الألف للروىِّ والوصل إذا كانت أصلية ـ أى من بنية الكلمة ـ؛ وكان ما قبلها مفتوحاً.

ومن أمثلة ذلك: الهدى؛ المنى؛ الهوى؛ الضنى؛ الأسى؛ جرى؛ مضى؛ دعا؛ عفا؛ استوى.

فإذا أورد الشاعر فى قافيته هذه الكلمات ومثيلاتها من الكلمات التى تنتهى

بألف أصلية ـ أى من بنية الكلمة ـ ؛ ولم يلتزم الحرف الذى قبلها ؛ فإنه يكون قد اعتبر الألف رويًّا ؛ وتسمى القصيدة حينئذٍ : مقصورة.

أما إذا التزم الشاعر الحرف الذى قبل الألف ـ سواء أكانت الألف أصلية أم للإطلاق ـ ؛ فإن الألف فى هذه الحالة تُعتبر ألف وصل ؛ والحرف الملتزم قبلها هو الروى.

...

٢ـ الياء :

أ ـ إذا كانت الياء أصلية ممدودة وكان ما قبلها مكسوراً ؛ فإنها تكون صالحة للروىِّ وللوصل ؛ فتكون رويًّاً إذا لم يُلتزم الحرف الذى قبلها.

مثل : يكفى ؛ يرمى ؛ يهدى ؛ يطوى ؛ مبدى ؛ مجدى.

وتكون وصلاً إذا التُزم الحرف الذى قبلها.

مثل : يحمى ؛ ينمى ؛ يرمى ؛ يدمى ؛ يصمى.

ب ـ فإذا لم تكن الياء أصلية ؛ تعيَّن كونها وصلاً ؛ وتعيَّن أن يكون الحرف الذى قبلها حينئذٍ رويًّاً.

مثال ذلك : انعمى ؛ اسلمى ؛ مرغمى ؛ مقدمى ؛ لم تعلمى ؛ لا تكتمى ؛ بالدمِ ؛ أخو المسلمِ.

جـ ـ وإذا التُزم الحرف الذى قبلها ـ سواء أكانت أصلية أم غير أصلية ـ ؛ تعيَّن أن تكون وصلاً كذلك ؛ وتعيَّن أن يكون الحرف الملتزم قبلها رويًّاً.

د ـ أما إذا كانت الياء متحركة مع تحرك الحرف الذى قبلها أو سكونه ؛ فيتعين أن تكون رويًّا.

...

٣ـ الواو :

وذلك إذا كانت أصلية ممدودة وكان الحرف الذى قبلها مضموماً.

مثل : يرجو ؛ يعفو ؛ يسلو ؛ يدعو ؛ يحبو.

وهى في جميع أحوالها شبيهة بأحوال الياء السابقة.

...

٤ـ الَهَاء :

والهاء تصلح أن تكون رويًّا إذا كانت أصلية ـ أى من بنية الكلمة ـ ؛ وكان ما قبلها محركاً.

أما إذا كانت الهاء للسكت ؛ أو هاء الضمير ؛ أو تاء التأنيث : عندما تُنطق هاء ؛ فإنها فى هذه الأحوال تكون وصلاً لا رويًّا.

...

٥ ـ التاء :

والمراد بالتاء هنا : تاء التأنيث المتحرك ما قبلها ـ أى التى ليس قبلها مدَّة ـ .

وذلك مثل : استحلت ؛ زلت ؛ تخلت ؛ تحلت ؛ ذلت.

سواء أظلت التاء ساكنة أم حُرِّكت بالكسر للإطلاق أم لإتباعها بياء المتكلم.

ففى مثل هذه الأمثلة التى يُلتزم فيها الحرف المتحرك الذى قبل التاء ؛ تُعتبر

obeikandl.com

التاء وصلاً ويعتبر الحرف المُلتزم قبلها رويًّا.

أما إذا اختلف الحرف الذى قبل التاء ـ أى لم يُلتزم ـ ؛ فإنه يتعيَّن أن تكون التاء رويًّا لا وصلاً.

ولا فرق فى تاء التأنيث هذه بين أن تكون مفتوحة أو مربوطة ؛ ما دام آخرها يُنطق بالتاء لا بالهاء.

...

٦ـ الكاف :

والمراد بالكاف هو كاف الخطاب إذا لم يكن قبلها مد.

فإذا اتحد نوع الحرف الصحيح الذى قبلها ـ أى المُلتزم ـ ؛ فإنه يصح اعتبار الحرف رويًّا والكاف وصلاً.

ومن ناحية أخرى يصح اعتبار الكاف نفسها رويًّا.

وإذا لم يتحد نوع الحرف الذى قبل كاف الخطاب ؛ فإنه يتعيَّن أن تكون الكاف هى الرويّ.

أما إذا كانت كاف الخطاب مسبوقة بحرف من أحرف المد الثلاثة ؛ فإنه يتعين أن تكون الكاف رويًّا.

ـ حَرَكَاتُ القَافِيَة

حركات القافية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحروفها فى الغالب.

وهذه الحركات هى :

١ـ المجرى : وهو حركة الروىِّ المطلق.

وذلك كفتحة الميم من : صامَا .

وكسرة اللام من : على الجبلِ.

...

٢ـ النفاذ : وهو حركة هاء الوصل.

وذلك كفتحة الهاء فى : شعارهَا .

وضمتها فى : شعارهُ.

وكسرتها فى : شعارهِ.

...

٣ـ الحذو : وهو حركة الحرف الذى قبل الرِّدف.

وذلك كفتحة القاف من : القَاضى.

وضمَّة السين من : رسُول .

وكسرة الميم من : جمِيل.

...

٤ـ الإشباع : وهو حركة الدخيل.

وذلك ككسرة للقاف من : يعاقِبُه.

obeikandl.com

...

٥ ـ الدس : وهو حركة ما قبل التأسيس.

وذلك كفتحة عين : المعَابد.

...

٦ـ التوجيه : وهو حركة ما قبل الرويِّ المُقيَّد.

وذلك كفتحة الراء من : العرَبْ ـ بتسكين الباء ـ.

obeikandl.com

ـ عُيُوبُ القَافِيَة

ـ وعيوب القافية سبعة :

١ـ الإيطاء : وهو إعادة كلمة الروىِّ بلفظها ومعناها بدون أن يفصل بين اللفظين سبعة أبيات على الأقل.

يتحقق الإيطاء بتكرار الكلمة ولو بلفظها فقط.

ومثال الإيطاء قول الشاعر :

وواضع البيت فى خرساء مظلمةٍ

تقيِّد العير لا يسرى بها السارى.

لا يخفض الزِّرّ عن أرض ألمَّ بها

ولا يضل على مصباحه السارى.

وقد استثنوا من الإيطاء تكرار ما يستلذُّ ذكره ؛ كاسم الله تعالى ؛ واسم محمد رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ واسم محبوبة الشاعر التى يُتيَّم بها.

...

٢ـ التضمين : وهو تعليق قافية البيت بصدر البيت الذى بعده.

وهو نوعان : قبيحٌ ؛ وجائزٌ.

فالأول : ما لا يتم الكلام إلا به : كجواب الشرط ؛ والقسم ؛ وكالخبر ؛ والفاعل ؛ والصلة.

والثانى : ما يتم الكلام بدونه : كالجار والمجرور ؛ والنعت ؛ والاستثناء ؛ وغيره.

ومن القبيح قول النابغة :

وهـم وردوا الجفار على تميمٍ

وهم أصحاب يوم عكاظ إنى.

شهدتُ لهم مواطن صادقات

شهـدن لهم بصدق الـودِّ مِنِّى.

فخبر إنى فى البيت الأول هو جملة : شهدت : فى أول الثانى.

...

٣ـ الإقواء : وهو اختلاف المجرى ـ حركة الروى المطلق ـ بالضم والكسر.

مثل قول النابغة الذبيانى :

أمـن آل ميَّـة رائـحٌ أو مغتـدى

. ؛ عجـلان ذا زاد وغيـر مُـزَوَّدِ.

زعـم البـوارح أنَّ رحلتنا غـدًا

وبـذاك خَبَّرنا الـغُرابُ الأسـودُ.

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه

..... ؛ فتناولته واتقتنا باليدِ.

بمخضَّب رَخْصٍ كأن بَنَانَه .....

.... ؛ عَنَمٌ يكاد من اللطافة يُعقدُ.

وكان النابغة كثيراً ما يُقوِى فى شعره ؛ وقد أراد أهل يثرب أن يدُلُّوه من

طرف خفىٌّ على خطئه ؛ فأوحوا إلى جارية تغنيه بالأبيات السابقة ؛ وأن تتعمد إظهار الحركات المختلفة بالضم والكسر ؛ ففعلت ؛ ففطن النابغة لشعره ؛ فأصلح خطأه ؛ فجعل عجز البيت الثانى :

وبذاك تنعابُ الغُرابِ الأسودِ.

وجعل عجز الرابع :

عنم على أغصانه لم يعقدِ.

ومن الإقواء قول حسَّان :

لا بأس بالقوم من طُولٍ ومن قِصَرٍ

... ؛ جسمُ البغال وأحلامُ العصافيرِ.

كأنهم قَصَبٌ جَفَّت أسافِلُهُ .....

..... ؛ مُثَقَّبٌ نفخت فيه الأعاصيرُ.

...

٤ ـ الإصراف : وهو اختلاف المجرى بالفتح وغيره ـ الكسر ؛ الضم ـ.

فمع الضم مثل قول الشاعر :

أريتك إن منعت كلام يحيى

أتمنعُنى على يحيى البكاءَ.

ففى طرفى على يحيى سهادٌ

وفى قلبى على يحيى البلاءُ.

ومع الكسر:

ألم ترنى رددت على ابن ليلى

..... ؛ منيحتَهُ فَعَجَّلْتُ الأداءَ.

وقلتُ لشاتهِ لَمَّا أتتنا .....

..... ؛ رماك الله من شاةٍ بداءِ.

...

٥ ـ الإكفاء: وهو اختلاف الروىِّ بحروف متقاربة المخارج.

كاللام والنون فى قول القائل من مشطور السريع:

بنات وطَّاءٍ على خدِّ الليل

لا يشكين عملاً ما أنقين.

...

٦ـ الإجازة ـ بالزاى ـ ؛ وبعضهم يسميها الإجارة من الجور: وهى اختلاف الروىِّ بحروف متباعدة المخارج.

كاللام والميم فى قوله:

ألا هل ترى إن لم تكن أم مالكٍ

... ؛ بِمِلْكِ يدَى أن الكفاءَ قليلُ.

رأى من خليليه جَفَاءً وغلظةً ...

.. ؛ إذا قام يبتاع القَلُوصَ ذميمُ.

...

٧ ـ السِّناد: وهو اختلاف ما يُراعى قبل الرويِّ من الحروف والحركات.

ـ أنواع السِّناد:

هي خمسة: اثنان منها متعلقان بالحروف؛ وثلاثة متعلقة بالحركات:

١ـ سناد الرِّدْف: وهو ردف أحد البيتين دون الآخر.

كقول القائل:

إذا كنت فى حاجةٍ مرسلاً

فأرسل حكيماً ولا تُوصِهِ.

وإن باب أمرٍ عليك التوى

...؛ فشاوِر لبيبًا ولا تَعْصِهِ.

فالبيت الأول مردوف بالواو؛ والثاني لم يُردف؛ وجاءت العين فى موضع الواو فى الذي قبله.

٢ ـ سناد التأسيس: وهو تأسيس أحد البيتين دون الآخر.

مثل قول العجَّاج من مشطور الرجز:

يا دارَ ميَّة اسلمى ثم اسلمى

فخندفٌ هامة هذا العالَمِ.

فالبيت الثانى مؤسسٌ بالألف فى لفظ العالم؛ والأول لا تأسيس فيه.

٣ـ سناد الإشباع: وهو اختلاف حركة الدخيل بحركتين متقاربتين فى الثقل كالضم والكسر.

مثل :

وهم طردوا منها بليَّاً فأصبحت

..... ؛ بَلِىٌّ بوادٍ من تهامة غائِرِ.

وهم منعوها من قضاعة كلِّها

ومن مضر الحمراء عند التَّغاوُرِ.

فالهمزة فى القافية مكسورة ؛ والواو فى الثانية مضمومة.

ويكون هذا السناد أيضاً بحركتين متباعدتين فى الثقل ؛ كالفتح مع الضم ؛ أو الكسر.

مثل قول الشاعر من مشطور الرجز :

يا نخل ذات السِّدر والجداوِلِ

تطاولى ما شئت أن تطاوَلى.

فالواو فى الجداول مكسورة ؛ وفى تطاولى مفتوحة.

وقد فرَّقوا بين النوعين ؛ فجعلوا الأول - وهو الاختلاف بالضم والكسر - أقل قُبْحَاً من الثانى - وهو الاختلاف بالفتح مع الكسر أو الضم - ؛ بل إن بعضهم لا يرى فى الأول عيباً.

٤ - سناد الحذو : وهو اختلاف حركة ما قبل الردف بحركتين متباعدتين فى النقل - الفتح والكسر ؛ أو الفتح والضم ..

ومثاله :

لقد ألجَ الخباء على جَوَارٍ
كأنَّ عُيونَهُنَّ عيُونُ عِين.
كأنى بين خافِيَتَىْ غُرَابٍ
يُريدُ حمامةً فى يومِ غَيْن.

فـ :

عِين : مكسورة العين.

و :

غين : مفتوحة الغين.

٥ ـ سناد التوجيه : وهو اختلاف حركة ما قبل الروىِّ المُقيَّد.

كقول رؤبة من مشطور الرجز :

وقائم الأعماقِ خاوى الْمُخْتَرَقْ.
أَلَّفَ شتَّى ليس بالرَّاعى الحمِق.
شذَّابة عنها شَذى الرَّبع السُّحُق.

فالراء فى مخترق : مفتوحة.

والميم فى الحمق : مكسورة.

والحاء فى السحق : مضمومة.

...

وقيل: إن الإيطاء والتضمين والسِّناد بجميع أنواعه مُباحات للمولدين.
والصَّـواب: أن بعضها هَيِّن؛ والآخر غير مقبول.

ـ فالإيطاء: لا شك محمول على العِىِّ وقلة المادة اللغويَّة التى هى ضروريَّة للشاعر؛ فلا ينبغى أن يدلَّ الشاعر على قلة بضاعته بتكرار لفظ واحد بمعنى واحد فى غير فاصل بينهما بسبعة أبيات على الأقل.

ـ وأما التضمين: فقد علمت أن منه الثقيل والخفيف؛ فإذا أُبيح فلا ينبغى أن يُقبل منه إلا النوع الخفيف الذى لا يشتد فيه الربط بين البيتين.

ـ وأما السناد: فإذا قُبِلَ فلا يُقبل منه سناد الحذو؛ لأن فيه ثقلاً ظاهراً.

أما ما عداه فلا نرى فيه ذلك الثقل؛ ولا بأس بوقوعه فى الشِّعر؛ وإن كان الأولى خلافه.

ـ الضَّرُورَاتُ الشِّعْرِيَّة

اعتاد المؤلفون فى علمى العروض والقوافى أن يختموا بحوثهم فى العلمين بالكلام على الضرورات الشعريَّة.

وقد عرَّفوا الضرورة ؛ بأنها : ما وقع فى الشعر مما لا يجوز وقوعه فى النثر.

وفصَّلوها على ثلاثة أنواع :

١ـ ما كان بالزيادة.

مثل :

أ ـ تنوين ما لا ينصرف.

كقول امرئ القيس :

ويوم دخلتُ الخدر خدر عنيزةٍ

فقلت : لك الويلاتُ إنَّك مُرْجِلى.

ب ـ تنوين المنادى المبنى.

مثل :

ليتَ التَّحيَّة لى فأشكرها

مكان يا جملٌ حُيِّيتَ يا رجُلُ.

وقول الآخر :

ضرَبت صدْرَهَا إلَىَّ وقالت

يا عَدِيًّا لقد وقتك الأواقى.

obeikandl.com

جـ ـ مدُّ المقصور.

كقوله :

سيغنينى الذى أغناك عنِّى

فلا فقرٌ يدوم ولا غَنَاءُ.

د ـ زيادة حرف الإشباع.

كالألف فى قوله :

أعوذ بالله من العقراب.

أراد : من العقرب ؛ فأشبع مدة الراء.

وقول الآخر وقد أشبع بالياء :

تنفى يداها الحصى فى كُلِّ هاجرة

نفى الدراهيم تنقاد الصيارِيفِ.

فالياء فى الدراهيم والصياريف إشباع لحركتى الهاء والراء.

...

٢ ـ ما كان بالحذف.

مثل :

أ ـ قصر الممدود :

فى قوله :

obeikandl.com

لابُـدَّ منْ صَنْعَا وإن طالَ السَّفر

وإن تَحَنَّى كلُّ عُودٍ ودَبَر.

فكلمة : صنعا ؛ أصلها : صنعاء ؛ فقصرت.

ومثل قول الشاعر :

القارح العَدَّا وكل طمرَّةٍ

ما إن تنال يد الطويل قذالَهَا.

فكلمة : العدا ؛ أصلها : العداء ؛ فقصرت.

ب ـ ترخيم غير المنادى مما يصلح للنداء.

كقول الشاعر :

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء نارِهِ

طريف بن مال ليلة الجوع والخطر.

أراد : ابن مالك ؛ فحذف الكاف.

جـ ـ ترك تنوين المنصرف.

كقول عبَّاس بن مرداس :

وما كانَ حصنٌ ولا فارسٌ

يفوقان مِرْدَاسَ فى مَجمعِ.

فكلمة مرداس ممنوعة من الصرف ؛ وكان الصرف من حقها.

وقول الآخر :

طلب الأرازق بالكتائب إذ هوت

بشبيبَ غائلة النفوس غُرور.

فكلمة شبيب ممنوعة من الصرف ؛ وكان الصرف من حقها.

...

٣ ـ ما كان بالتغيير:

أ ـ قطع همزة الوصل.

مثل :

إذا جاوز الإثنين سرٌّ فإنه

بِنَثٍ وتكثير الحديث قمين.

ب ـ وصل همزة القطع.

مثل قول حاتم :

أبوه أبى والأمهات امَّهاتنا

فأنعم فذاك اليوم أهلى ومعشرى.

فكلمة : أُمهاتنا ؛ حُذفت همزتها مع أنها همزة قطع.

ومثل :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله

يلاقى الذى لاقى مجير امّ عامِرِ.

فهمزة أم ؛ وُصلت مع أنها همزة قطع.

obeikandl.com

جـ ـ فكُّ المدغم.

كقول أبى النجم:

الحمد لله العلىِّ الأجللِ

أنت مليك الناس ربًّا فأقبل.

د ـ إدغام المفكوك.

مثل:

وكأنها بين النساء سبيكة

تمشى بسدة بيتها فَتُعىّ.

الأصل: فتعيى؛ فأدغم على خلاف الأصل.

هـ ـ تقديم المعطوف.

مثل:

ألا يا نخلة من ذات عرقٍ

عليك ورحمة الله السلامُ.

و ـ تحريك المضارع المجزوم أو الأمر المبنىّ على السكون بالكسر؛ لأجل الروىّ.

مثل:

ومثلك من كان التوسيط فؤادهُ

.....؛ فكلِّمه عنِّى ولم أتكلَّمِ.

obeikandl.com

لو كنت أدرى كم حياتى قسمتها

وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلمِ.

...

الضرورة الشعرية تنقسم أيضاً انقساماً آخر من حيث القبح والقبول:

ـ فالقبيحة: ما كانت غير مألوفة الوقوع؛ كـ:

مد المقصور؛ ومنع المصروف؛ وقطع همزة الوصل؛ وفك الإدغام؛ وعكسه؛ وتقديم المعطوف؛ وغيره ذلك.

ـ والمقبولة: ما كانت مألوفة الوقوع؛ كـ:

قصر الممدود؛ وتخفيف المشدد؛ وإشباع الحركة حتى يتولَّد منه مَدٌّ؛ وتحريك المضارع المجزوم أو الأمر المبنىّ على السكون بالكسر؛ ووصل همزة القطع بشرط أن يليها ساكن.

وقد ذكروا أن الضرورة بأقسامها كلها جائزة للعربىِّ والمولَّد.

قال ابن جنى فى «الخصائص»:

«سألت أبا علىّ: هل يجوز لنا فى الشعر ضرورة ما جاز للعرب؟.

فقال: كما جاز لنا أن نقيس منثورنا على منثورهم؛ فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم؛ فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا؛ وما حظرته عليهم حظرته علينا؛ وإذا كان كذلك؛ فما كان من أحسن ضروراتهم يكون من أحسن ضروراتنا؛ وما كان من أقبحها عندهم يكون من أقبحها

عندنا ؛ ومن بين ذلك يكون بين ذلك.)).أهـ.

obeikandl.com

﴿ نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ المُهْمُوس ﴾

الدُّكْتُور مُحَمَّد مَنْدُور

[١٩٠٧ ـ ١٩٦٥م]

رُؤْيةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ تَجْدِيدِيَّةٌ ... لِنَظَرِيَّةٍ إِبْدَاعِيَّةٍ قَدِيمَة

قَصِيدَة ﴿ المُومِسُ العَمْيَاء ﴾

لِلشَّاعِرِ العِرَاقِىِّ بَدْر شَاكِر السَّيَّاب

أُنْمُوذَجَاً

لِلنَّاقِدِ الشَّاب

محمد محمود دحروج

الشَّهِير بِـ:

﴿ نِزَار شَاهِين المِصْرِى ﴾

۞ ـ تَصْدِير:

﴿ أَعْتَقِدُ اعْتِقَادًا رَاسِخَ الجُذُورِ وَالأُصُول... ؛ أَنَّ حَيَاتِى تَتَّجِهُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا نَحْوَ النِّهَايَة... ؛ وَلِذَا فَإِنَّنِى أُحَاوِلُ جَاهِدًا أَن أُعَبِّرَ عَن ذَاتِى... ؛ وَأَن أَتْرُكَ شَيْئًا لَهُ قِيمَةٌ وَأَثَرٌ فِى تَارِيخِ الكَلِمَةِ العَرَبِيَّة. ﴾.

كُولِيرِدْج العَرَب

نِزَار شَاهِين

۞ ـ مَدْخَل :

﴿ والذى أعتقده : أَنَّ الشِّعْرَ العربىَّ يقف اليوم على حافة تطورٍ جارفٍ عاصفٍ ؛ لن يُبقى من الأساليب القديمة شيئاً ؛ فالأوزان والقوافى والأساليب والمذاهب ستتزعزع قواعدها جميعاً ؛ والألفاظ ستتسع حتى تشمل آفاقاً جديدةً واسعةً من قُوَّة التعبير ؛ والتجارب الشِّعريَّة ستتجه اتِّجاهاً سريعاً إلى داخل النَّفس بعد أن بقيت تحوم حولها من بعيد. ﴾ . (١) .

الشَّاعِرَةُ العِرَاقِيَّة
نَازِك المَلائِكَة

(٢) ـ انْظُر : ((اتجاهات الشِّعر العربىِّ المُعاصر)) ؛ (ص : ١٦ ـ ١٧) .

- مُفْتَتَح :

بسم الله الرحمن الرحيم

فِى تَارِيخِ الأَدَبِ العَرَبِىِّ ؛ قَامَت انْقِلابَاتٌ أَدَبِيَّةٌ ؛ وَتَمَخَّضَ الحِرَاكُ وَالعِرَاكُ عَن ثَوَرَاتٍ شِعْرِيَّةٍ ... ؛ ثُمَّ !!... ؛ أَحْدَثَ بَعْضُهَا صَدَىً ضَعِيفاً خَافِتاً فِى إِبَّانِ مِيلادِهِ ؛ ثُمَّ كَانَ المَآلُ إِلَى زَوَالٍ وَمَوْتٍ وَفَنَاء ... ؛ وَعِلَّةُ ذَلِكَ عِنْدِى تَكْمُنُ فِى أَمْرٍ وَاحِدٍ لا تَابِعَ لَهُ وَلا آخَرَ سِوَاه ... ؛ وَهُوَ أَنَّ قَادَةَ هَذِهِ الثَّوَارَات ؛ كَانُوا أَصْحَابَ مَرْجِعِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ وَمَعْرِفِيَّةٍ ضَعِيفَةٍ مُتَهَالِكَةٍ وَاهِيةٍ ... ؛ وَمِن جِهَةٍ أُخْرَى ؛ فَإِنَّ عُقُولَهُم مَا كَانَت مِن تِلْكَ العُقُولِ الَّتِى تُهَيىءُ أَصْحَابَهَا وَتُسَوِّغُ لَهُمُ القِيَامَ بِهَذَا الدَّوْر ؛ فَهِىَ عُقُولٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عُقُولِ العَبَاقِرَةِ بَوْنٌ شَاسِعٌ وَأَمَدٌ بَعِيد ... ؛ وَمِن جِهَةٍ ثَالِثَةٍ ؛ فَإِنَّ فِطَرَهُم وَطِبَاعَهُم وَنُفُوسَهُم ؛ مَا كَانَت مِن ذَلِكَ النَّوْعِ الذَّكِىِّ النَّقِىِّ النَّابِهِ ذِى الحَسِّ وَالذَّوْقِ وَالرُّوحِ القَادِرَةِ عَلَى التَّحْلِيقِ فِى سَمَاوَاتِ الإِبْدَاعِ وَالإِتْيَانِ بِغَرَائِبِ المَكْنُونَاتِ وَعَجَائِبِ الخَبَايَا وَالدَّفَائِنِ الثَّمِينَةِ الرَّائِعَةِ.

ثُمَّ ... ؛ وَمَا نَجَحَت وَرَاجَت وَانْتَشَرَت تِلْكَ الدَّعَوَاتُ وَالاتِّجَاهَاتُ الأَدَبِيَّةُ الإِبْدَاعِيَّة ... ؛ إِلاَّ لِكَوْنِ أَصْحَابِهَا مَا خَرَجُوا إِلَى المَيْدَان ؛ إِلاَّ بَعْدَ أَن صَارُوا فِى حَالَةٍ جَلِيَّةٍ مِنَ النُّضْجِ العِلْمِىِّ وَالوَعْى المَعْرِفِىِّ ... ؛ وَإِذَا اجْتَمَعَت المَعْرِفَةُ التَّكَامُلِيَّة ؛ وَالعَقْلُ العَبْقَرِىُّ ؛ وَالنَّفْسُ الشَّاعِرَة ؛ وَالرُّوحُ المُبْدِعَةُ المُتَوَثِّبَة ... ؛ فَلا مُسْتَوْجِبَ حِينَئِذٍ للاسْتِغْرَابِ وَالتَّعَجُّبِ مِن قِيَامِ مَن حَازَ كُلَّ هَذِهِ

الإِمْكَانَاتِ بِهَدْمِ الحُصُونِ الشَّامِخَةِ المَنِيعَةِ ؛ أَو بِنَاءِ الصُّرُوحِ العَظِيمَةِ وَالقِلاعِ السَّامِقَةِ وَالمَنَارَاتِ الزَّاهِيَةِ البَدِيعَة.

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِك ؛ فَإِنَّا مَا أَقْدَمْنَا عَلَى عَرْضِ بَنَاتِ أَفْكَارِنَا وَإِظْهَارِهَا وَمُوَاجَهَةِ العُقُولِ بِهَا ؛ إِلاَّ بَعْدَ سَنَوَاتٍ وَأَعْوَامٍ قَضَيْنَاهَا فِى مُطَالَعَةِ ثِمَارِ القَرَائِحِ وَنِتَاجَاتِ ذَوِى التَّمَيُّزِ وَالإِجَادَةِ ... ؛ بَدْءاً مِنَ المَقُولاتِ العَرَبِيَّةِ التُّرَاثِيَّةِ ؛ ثُمَّ الأَفْكَارِ المُعَاصِرَةِ وَالحَدَاثِيَّة ؛ وَانْتِهَاءً بِالرُّؤى الغَرْبِيَّةِ عِنْدَ أَقْطَابِ الجِيلِ الثَّانِى مِن الرُّومَانْسِيينَ الإِنْجِليز ؛ مِن أَمْثَال بيرون [١٧٨٨ ـ ١٨٢٤] ؛ وكيتس [١٧٩٥ ـ ١٨٢١] ؛ وبيرسى شلى [١٧٩٢ ـ ١٨٢٢].

هَذَا مِن جِهَةِ المُمَارَسَاتِ النَّقْدِيَّةِ ... ؛ وَأَمَّا مِن جِهَةِ التَّطْبِيق ؛ فَمَازِلْتُ مُنْذُ انْتِسَابِى إِلَى مِحْرَابِ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاء ؛ أُجَاهِدُ مِن أَجْلِ الوُصُولِ إِلَى دَرَجَةِ التَّمَيُّزِ وَالسُّمُوِّ الإِبْدَاعِىِّ ... ؛ إِذ كَانَت البِدَايَةُ مَعَ الشِّعْرِ العَمُودِىِّ ذِى المَعَالِمِ وَالمَلامِحِ التُّرَاثِيَّةِ ؛ وَوُصُولاً إِلَى الشِّعْرِ الحُرِّ وَقَصِيدَةِ التَّفْعِيلَة ؛ ثُمَّ مُغَامَرَةِ الإِقْدَامِ عَلَى اللَّهْجَةِ العَامِيَّةِ وَنَسْجِ عَدَدٍ مِنَ القَصَائِدِ بِهَا ... ؛ وَكُلُّ هَذِهِ الأَشْكَالِ الَّتِى تَعَاطَيْتُهَا وَخُضتُ فِى غِمَارِ بِحَارِهَا ؛ قَد ظَفِرَت بِاسْتِحْسَانِ مَن يُتْقِنُونَ كُلَّ لَوْنٍ مِن هَذِهِ الأَلْوَان ... ؛ ثُمَّ تَجْرِبَتِى الخَاصَّة مَعَ الشِّعْرِ الصَّوْتِىِّ ـ هَكَذَا أَسْمَيْتُهُ ـ ... ؛ وَلَمَّا اكْتَمَلَت مَعَالِمُ النَّظَرِيَّةِ عِنْدِى وَاخْتَمَرَت رُؤيَتِى لَهَا بَعْدَ إِنْتَاجِ عَدَدٍ وَفِيرٍ عَلَى الجَانِبِ التَّطْبِيقِىِّ ... ؛ زَالَت المَوَانِعُ الَّتِى كَانَت تَحُولُ بَيْنِى وَبَيْنَ الحَدِيثِ عَنْهَا.

وَبَعْدُ ... ؛ قَد أُعْجَبُ أَنَا بِصَنِيعِى هَذَا بِنَاءً عَلَى مَعْرِفَتِى الأَدَبِيَّةِ وَطَبِيعَتِى النَّقْدِيَّة ؛ وَاعْتِمَادَاً عَلَى أُسْلُوبِى فِى الإِبْدَاعِ وَالتَّذَوُّق ... ؛ وَلَكِن سَتَبْقَى كَلِمَةُ الأُدَبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ وَالنُّقَّادِ إِزَاءَ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ وَتِلْكَ التَّجَارِب ... ؛ وَأَعْلَمُ يَقِينَاً أَنَّ الجَمَّ الغَفِيرَ سَيَرْفُضُهَا وَيَطْرَحُهَا وَيَنْبُذُهَا ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ لِكَوْنِ هَؤلاءِ لا يَعْتَرِفُونَ إِلاَّ بِالقَدِيمِ وَمَا دَارَ فِى فَلَكِهِ وَنَسَجَ عَلَى غِرَارِهِ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِتَقَالِيدِهِ وَأَعْرَافِهِ ... ؛ فَمِثْلُ هَذِهِ النَّظْرَةِ مِن تِلْكَ الفِئَةِ أَنَا لا أَعْتَدُّ بِهَا وَلا أَعْبَأُ بِأَحْكَامِهَا ... ؛ إِنَّمَا أَنْتَظِرُ آرَاءَ أَمْثَالِى ؛ مِمَّن قَضَوا أَكْثَرَ أَعْوَامِ رَحْلَتِهِم بَيْنَ أَسْفَارِ التُّرَاث ؛ ثُمَّ انْطَلَقُوا مِن خَلالِهِ ؛ فَهُم لا يَجْهَلُونَ طَبِيعَةَ الرُّؤى الأَدَبِيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ التُّرَاثِيَّة ؛ وَلَكِنَّهُم كَذَلِكَ لا يَتَنَكَّرُونَ للأَعْمَالِ الإِبْدَاعِيَّةِ بِتِلْكَ الدَّعْوَى السَّاذِجَةِ المَأْفُونَةِ !! ؛ دَعْوَى صُدُورِ هَذَا الإِبْدَاعِ فِى ظِلِّ أَشْكَالٍ وَأَنْمَاطٍ حَدَاثِيَّةٍ !!.

وَإِنَّ غَدَاً لِنَاظِرِهِ قَرِيب.

كوليردج العرب

محمد محمود دحروج

بَعِيْدَ فَجْرِ الخَمِيس :

[٣ / ٥ / ٢٠١٢ م]

مَدِينَة الرِّيَاض ؛ بِشَمَالِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّة

تَمْهِيد :

بسم الله الرحمن الرحيم

هَل مَاتَ زَمَنُ الشِّعْر ؟!!

فِى عَام ١٨٢١م ؛ نَشَرَ النَّاقِدُ الإِنْجِلِيزِىُّ توماس لف بيكوك رَسَالَةً بِعُنْوَان : « عُصُورُ الشِّعْرِ الأَرْبَعَة » ؛ رَامَ مِن خِلالِهَا أَن يُثْبِتَ أَنَّ الفَنَّ الشِّعْرِىَّ سَيَتَلاشَى رُوَيْدَاً رُوَيْدَاً مَعَ تَقَدُّمِ الحَضَارَةِ المَادِيَّةِ ؛ وَأَنَّ الشِّعْرَ فِى القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَر ـ أَى فِى عَصْرِ المَادَّةِ وَالعَقْل ـ لا يُعَدُّ أَكْثَرَ مِن ظَاهِرَةٍ قَبِيحَةٍ سَخِيفَةٍ ؛ لا تَشِى إِلاَّ بِالعَبَثِيَّةِ وَاللامُبَالاة ؛ وَلا تَدْعُو لِسِوَى النُّفُورِ وَالضِّيقِ وَالاحْتِقَار ؛ إِذ لِكُلِّ عَصْرٍ مَظَاهِرُهُ وَأَفْكَارُهُ ؛ فَالشِّعْرُ مِن سِمَاتِ عُصُورٍ قَد خَلَت ؛ وَأَمَّا فِى هَذَا العَصْرِ فَلا مَكَانَ لِلشِّعْرِ وَلا لِلشُّعَرَاء .

.....

كَانَت هَذِهِ هِىَ دَعْوَةُ ذَلِكَ النَّاقِد ؛ وَقَبْلَ أَن يَكُونَ نَاقِدَاً أَدَبِيَّاً ؛ فَهُوَ رِوَائِىٌّ ؛ وَفِى ذَلِكَ مَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَن نَادَى بِفِكْرَة « زَمَنُ الرِّوَايَة » ؛ تِلْكَ الدَّعْوَةُ الَّتِى بَدَأَت فِى أَيَّامِهِ ؛ وَمَازَالَت تَجِدُ لَهَا أَنْصَارَاً إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فِى الشَّرْقِ وَالغَرْبِ عَلَى السَّوَاء.

وَقَد تَصَدَّى الشَّاعِرُ الرُّومَانْسِىُّ الإِنْجِلِيزِىُّ الكَبِير بيرسى بيشى شيلى

[١٧٩٢ ـ ١٨٢٢] لِلرَّدِّ عَلَى توماس بيكوك فِى رِسَالَةٍ لَهُ بِعُنْوَان « دِفَاعٌ عَنِ الشِّعْر » .

ثُمَّ جَاءَ الشَّاعِرُ وَالنَّاقِدُ الأَدَبِىُّ الفِيكْتُورِىُّ ماثيو أرنولد [١٨٢٢ ـ ١٨٨٨] ؛ فَنَاقَشَ هَذِهِ القَضِيَّةَ ؛ ثُمَّ انْتَهَى إِلَى أَنَّ الشِّعْرَ سَيَحُلُّ مَحَلَّ المُعْتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ القَدِيمَة ؛ وَمِمَّا قَالَهُ :

« إِنَّ لِلشِّعْرِ مُسْتَقْبَلاً هَائِلاً ؛ لأَنَّ الإِنْسَانِيَّةَ سَتَجِدُ فِى الشِّعْرِ الجَدِيرِ بِهَذَا المُسْتَقْبَلِ مُسْتَقَرًّا لَهَا ؛ يَتَجَدَّدُ الاطْمِئْنَانُ إِلَيْهِ عَلَى مَرِّ الأَيَّام.

لَقَد بَدَأَت المُعْتَقَدَاتُ كُلُّهَا تَتَزَعْزَعُ ؛ وَأَخَذَ الشَّكُّ يَتَطَرَّقُ إِلَى المَذَاهِبِ الَّتِى كَانَ النَّاسُ يُجْمِعُونَ عَلَى صِحَّتِهَا كُلِّهَا ؛ كَمَا أَخَذَت التَّقَالِيدُ تُؤذِنُ بِالتَّدَاعِى وَالانْهِيَار ؛ حَتَّى الدِّين الَّذِى كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى الوَقَائِعِ المُفْتَرَضَةِ وَيَرْبِطُ بَيْنَ كُلِّ انْفِعَالاتِهِ ؛ خَانَتْهُ هَذِهِ الوَقَائِعُ ذَاتُهَا وَأَخَذَت تَتَخَلَّى عَنْهُ.

أَمَّا الشِّعْرُ ؛ فَإِنَّهُ يَقُومُ عَلَى المَعْنَى ؛ وَالمَعْنَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ هُوَ كُلُّ شَىْءٍ. » .

.....

كَانَ لِلنَّهْضَةِ الحَضَارِيَّةِ المَادِيَّةِ الرَّهِيبَة ؛ وَالَّتِى بَدَأَت مَعَ أَوَاخِرِ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَر ؛ وَسَيْطَرَةِ مَظَاهِرِهَا عَلَى التَّفْكِيرِ الإِنْسَانِىِّ ؛ كَانَ لِهَذَا الأَمْرِ أَثَرُهُ الخَطِيرُ عَلَى القِيمِ الثَّقَافِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ.

وَقَد كَانَ مِن نَتَائِجِ هَذَا التَّأْثِير ؛ أَن أَصْبَحَ الكَثِيرُونَ مِنَ المُثَقَّفِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الفَنِّ الشِّعْرِىِّ نَظْرَةَ سُخْرِيَةٍ وَامْتِعَاض ؛ فَاضْطَرَبَت نُفُوسُ الشُّعَرَاءِ اضْطِرَابًا

شَدِيداً ؛ وَخَاصَّةً فِى بِلادِ الإِنْجِلِيز ؛ لِكَوْنِهَا كَانَت أَكْثَرَ البِلادِ تَأَثُّراً بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ ؛ إِذ كَانَت مَعْقِلَ الثَّوْرَةِ الصِّنَاعِيَّةِ آنَئِذٍ ؛ فَوَاجَهُوا هَذِهِ المِحْنَةَ الثَّقَافِيَّةِ بِكَثِيرٍ مِنَ الحُجَجِ المَنْطِقِيَّةِ السَّدِيدَةِ المُفْحِمَة ؛ وَالَّتِى كَانَ مِن أَبْرَزِهَا وَأَقْوَاهَا : القَوْلُ بِأَنَّ القِيمَ المَادِيَّةَ الَّتِى تَسَلَّطَت عَلَى عُقُولِ أَبْنَاءِ هَذِا العَصْر ؛ تَفْرِضُ عَلَى اتْبَاعِهَا التَّخَلِّى - إِرَادِيّاً أَو لا شُعُورِيّاً - عَن المَشَاعِرِ الإِنْسَانِيَّةِ النَّبِيلَة ؛ كَالحُبِّ وَالحُزْنِ وَالأَلَم ؛ وَأَصْبَحَ عَلَى المَرْءِ الَّذِى يُسْلِمُ قِيَادَهُ لِهَذِهِ القِيَمِ الشَّوْهَاء ؛ وَالَّتِى مِن شَأْنِهَا أَن يَذُوبَ الإِنْسَانُ فِى تَيَّارِ السَّعْى اللاهِثِ خَلْفَ المَالِ وَالثَّرْوَةِ وَأَسْبَابِ امْتِلاكِ مَظَاهِرِ المَادَّةِ وَالسُّلْطَة ؛ وَأَن يَفْقِدَ الكَثِيرَ مِن سِمَاتِ ذَاتِهِ الاسْتِقْلالِيَّةِ وَشَخْصِيَّتِهِ الفَرْدِيَّة ؛ وَأَن يُعْرِضَ عَن حَاجَاتِهِ الرُّوحِيَّةِ ؛ وَالَّتِى هِىَ فِى حَقِيقَتِهَا عِلَّةُ الوُجُودِ الإِنْسَانِىِّ فِى هَذَا العَالَم.

الدُّكْتُور مُحَمَّد مَنْدُور

[١٩٠٧ ـ ١٩٦٥م]

﴿ نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ المَهْمُوس ﴾

.....

مُحَمَّد مَنْدُور... السِّيرَةُ ... وَالقِيمَة

ـ أَوَّلاً : حَيَاتُهُ وَسِيرَتُه

وُلِدَ الدُّكْتُور محمد عبد الحميد موسى مندُور فى اليومِ الخامس من شهر يوليو عام ١٩٠٧م ؛ بكفر مندُور ؛ بمُحافظة الشَّرقيَّة ؛ بالدِّيَّارِ المصريَّة.

حَصُلَ على الشهادة الابتدائية من مدرسة الألفى عام ١٩٢١م ؛ ثُمَّ على شهادة البكالوريا ـ (الثانويَّة العامة) ـ من مدرسة طنطا الثانويَّة عام ١٩٢٥م.

التحقَ بكُلِيَّة الحُقُوق جامعة القاهرة ؛ ولَّما اكتشفَ الدُّكتُور طه حُسيْن أَنَّ محمد مندور يتميَّزُ بملكةٍ أدبيَّةٍ جديرة بالتَّوجيه والإرشاد من أجلِ النُّهُوضِ بها ؛ شجَّعهُ على الالتحاق بكُلِيَّةِ الآداب أيضاً.

وفى عام ١٩٢٩م كانَ ترتيبهُ الأوَّل على خرِّيجى كُلِيَّة الآداب ؛ وفى السَّنةِ التى تليها تخرَّجض بتفوُّقٍ من كُلِيَّةِ الحُقُوق ؛ والتى كانت مُدَّة الدِّراسة بها خمس سنوات.

رُشِّحَ وكيلاً للنِّيابة ؛ ولكنَّهُ آثَرَ السَّفَر فى بعثةٍ دراسيَّةٍ إلى السُّوربون مِن قِبَلِ كُلِيَّة الآداب ؛ وذلكَ فى سنة ١٩٣٠م ؛ وَهُناكَ ـ فى فرنسا ـ تمكَّنَ من الحُصُولِ

على ليسانس فى اللُّغة اليُونانيَّة وآدابها ؛ واللُّغة الفرنسيَّة وآدابها وفقهها ؛ كما حَصُلَ على دُبلُوم الدِّراسات العُليا للدُّكتُوراه فى الاقتصادِ السِّياسىِّ والتشريع المالى من كُليَّة الحُقُوق بجامعة باريس بعد دراسةٍ لمذاهبِ الاقتصادِ وفلسفة النُّظُم الضريبيَّة والتشريع المالى .

وعادَ إلى مصر عندَ قيامِ الحربِ العالميَّة الثَّانية سنة ١٩٣٩م ؛ فعملَ مُدرِّسَاً بكُليتى الآداب بجامعتى القاهرة والإسكندريَّة.

وفى عام ١٩٤١م تزوَّجَ من إحدى طالباته النَّجِيبَات ؛ وهىَ رفيقةُ عُمُرِهِ وكفاحهِ الشَّاعرة المعرُوفة السَّيِّدة ملك عبد العزيز .

وفى عام ١٩٤٣م حَصُلَ على درجة الدُّكتوراه مع مرتبة الشَّرَف المُمتازة .

وفى عام ١٩٤٤م استقالَ منَ الجامعة ليرأس تحرير جريدة « المصرى » ؛ ثُمَّ جريدة « الوفد المصرى » ؛ وجريدة « صوت الأُمَّة » .

وفى سنة ١٩٤٦م اعتقلتهُ حُكُومةُ صدقى وأغلقت جريدة « الوفد المصرى » معَ ما أغلقت من صُحُفٍ ومجلاَّت كانت تُعارض مُعاهدة (صدقى ـ بيفن) .

وابتداءً من سنة ١٩٤٨م زاولَ مهنة المُحاماة ؛ وترافعَ فى كثيرٍ من القضايا السِّيَاسيَّة الكُبْرَى ؛ واستمرَّ بالمُحاماة إلى سنة ١٩٥٢م.

وفى عام ١٩٥٠م أصبحَ عُضواً فى مجلسِ النُّوَّاب ؛ ورئيساً للجنة التربية والتعليم بالمجلس .

وَمُنْذُ استقالَ منَ الجامعة سنة ١٩٤٤م لم ينقطع عن التدريس بمعهد

الصحافة وكُليَّتها فيما بعد ؛ كما انْتُدِبَ أُستاذاً غير مُتفرِّغٍ بالمعهدِ العالى للفُنُونِ المسرحيَّة مُنْذُ إنشائهِ عام ١٩٤٤م ؛ حتَّى تَمَّ تعيينُهُ بهِ عـام ١٩٥٩م أُستاذاً دائماً ورئيساً لقسمِ الأدبِ المسرحىِّ والنَّقْد ؛ وبَعْضُ كُتُبِهِ مثل «الأدب والنقد» كانت عبارة عن مُحاضرات ألقاها على طلبةِ هذا القسم.

وقد تولَّى رئاسة تحرير مجلَّة «الشَّرْق» ؛ كما عَمِلَ بجريدتى «الشَّعْب» و «الجُمهوريَّة» ؛ وكانَ ينشُرُ مقالاتهُ الثقافيَّة فى كثيرٍ من الصُّحُفِ والمجلاَّت المصريَّةِ والعربيَّة .

ومن مُؤلَّفات الدُّكتور مُحَمَّد مندُور:

- النقد المنهجىُّ عند العرب .
- النقد والنُّقَّاد المُعاصرُون .
- الأدب ومذاهبه .
- الأدب وفُنُونُهُ .
- فى الأدب والنقد .
- فَنُّ الشِّعْر .
- الشِّعْرُ المصرىُّ بعد شوقى [٣ أجزاء] .
- فى الميزان الجديد .

تُوفِّى الدُّكتور مُحَمَّد منـدُور فـى اليـومِ التَّاسـع عـشر مـن شـهر مـايو سـنة ١٩٦٥م .

ـ ثَانِيَاً : مُحَمَّد مَنْدُور ... ؛ الدَّوْر ؛ وَالقِيمَة

مُنْذُ بدأ محمد مندور الكتابة النقديَّة فى عام ١٩٣٩م ؛ وهو يكشفُ عن اتِّجاهٍ تجديدىٍّ ؛ وعن رُؤيةٍ نقديَّةٍ مُغايرةٍ لما كان مُتعارفاً عليهِ فى الكتابات النقديَّة السَّابقة والآنيَّة ؛ ثُمَّ أخذت رؤيتهُ تزدادُ عُمقاً كُلَّما ازداد مُمارسةً ... ؛ فقد عملَ على تنمية منهجه النقدىِّ النظرىِّ من جهةٍ أُخرى ؛ ومن جهةٍ أُخرى مُحاولته على الدَّوامِ لإخضاعِ منهجه ورؤيته للتجربة والتطبيق ... ؛ وبذا اكتملت لطريقته عوامل النُّضج والكمال ... ؛ حتَّى أصبح ـ فى ظنِّى ـ أعظم ناقدٍ أدبىٍّ جاء بعد مرحلة الأُدباء الليبراليين ـ العقَّاد ؛ والمازنى ؛ وطه حُسين ؛ وزكى مُبارك ؛ وأحمد أمين ؛ وعبد الوهَّاب عزَّام ؛ وغيرهم ـ ؛ ممَّا هيأ لهُ أن يوثِّرَ تاثيراً جليَّاً فى الكثرة الكاثرة من مُثقَّفى عصره .

وتتمثَّلُ قيمة منهجه النقدى فى عِدَّةِ أُمُورٍ ؛ منها :

١ ـ دعوتهُ إلى الرَّبطِ بين التُّراثِ العربىِّ القديم ؛ والثقافة الأُوربيَّة المُعاصرة .

٢ ـ قُوَّةُ الوعى بماهيَّةِ هاتين الثقافتين .

٣ ـ أنَّ يكُونَ للأدبِ دورٌ اجتماعىٌّ فَعَّالٌ وإيجابىٌّ ؛ وحتميَّة أن يكونَ الأدب من الوسائلِ المؤثِّرة والرَّاقية فى آنٍ ؛ من وسائل تغيير المُجتمع وتطويره وتقدُّمه.

اعتنق مُحَمَّد مندُور ما أطلقَ عليه « المنهج الأيديواوجىّ فى النقد » ؛ حتَّى نُسِبَ إليهِ هذا المُصطلح ؛ وَوُصِفَ نقدهُ به ؛ إذ كانَ من المُسلَّمِ بهِ أنَّهُ

ينحازُ انحيازاً مُطلقاً للفنِّ الواقعىِّ الصَّادقِ المُعبِّرِ ذى الأبعادِ الإنسانيَّة.

قبلَ أن يظهرَ مُحَمَّد مندور ؛ لم تكُن هُناكَ كُتُبٌ عربيَّةٌ تُعالجُ المذاهبَ الأدبيَّةَ الحديثة ؛ وتسعى إلى تفسيرِ أسبابِ تَقدُّمها ورُقيِّها... ؛ وقد تصدَّى مُحَمَّد مندُور لهذا الأمر ـ وهو صاحبُ الكبير بِكُنْهِ الثقافةِ العربيَّة التُّراثيَّة والمُعاصرة ؛ وهو المُتقِنُ للغةِ اليونانيَّة والفرنسيَّة والإنجليزيَّة المُطَّلِع اطِّلاعاً رشيداً على ثقافاتها ؛ ثُمَّ هو صاحب الوعى بالدَّوْرِ الذى يجب أن يقومَ بهِ النَّاقد المُثقَّف ـ ؛ وأرادَ أن يُدخِلَ الأدب المُعاصر فى تيَّارِ الآدابِ العالميَّة ؛ من حيثُ موضوعاته ووسائله ومنهج دراسته... ؛ لقد أرادَ أن تكون دراسة الأدب من خلالِ منهجٍ نقدىٍّ مُستقلٍ عن المناهج الأوربيَّة ؛ وَنَبَذَ فكرة تطبيق مذاهب التفكير الأوربىِّ على النُّصُوصِ الأدبيَّةِ العربيَّة.

وقد انتقدَ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور فى مقالٍ لهُ عن « دراسة اللُّغة العربيَّة وآدابها » ؛ نُشِرَ فى أوَّلِ يناير سنة ١٩٤٥م : طريقة تدريس الأدب العربىِّ فى قسمِ اللُّغة العربيَّة ؛ فكانَ ذلكَ سبباً لوقُوعِ الصِّدامِ بينهُ وبين الدكتور عبد الوهَّاب عزَّام وأساتذة اللُّغة العربيَّة بكُليَّة الآداب ؛ وأدَّى ذلكَ فى النِّهاية إلى خُرُوج مُحَمَّد مندُور من الجامعة.

والذى يَعْنِينَا هُنا ـ أى بصدد بحثنا هذا ـ : أنَّهُ فى سنة ١٩٥٦م ؛ خاضَ مُحَمَّد مندُور معركةً أدبيَّةً قويَّةً حولَ الشِّعْرِ الجديد ـ شعر التفعيلة ـ ؛ ففى الوقت الذى كان العقَّاد يُنكِرُ وجُودَ أىِّ موسيقى فى الشِّعرِ الجديد ؛ ورفض إدخالهُ

فى دائرة الفنِّ الشِّعْرِىِّ ؛ احتجَّ مُحَمَّد مندور بأنَّهُ شعرٌ لهُ موسيقاه الخاصَّة ؛ وهو نوعٌ جديدٌ لا يقُوم على إيقاع الطُّبُول والنَّبرة الخطابيَّة كما هو حال الشِّعر العمُودىِّ ؛ وأنَّ لهُ أُسلُوبهُ الخاص فى التعبير الشِّعرىِّ ؛ والذى يجمع بين الواقعيَّة والرَّمزيَّة ؛ دُونَ أن تسلُباه طابعهُ الغنائىّ ؛ وأنَّهُ نمطٌ إبداعىٌّ جديد ؛ لا محالة ستألفهُ الآذان ؛ فكما أنَّنا ألفنا المُوسيقى الغربيَّة المُتعدِّدة الأنغام والألحان ؛ وآثرناها على موسيقانا الشرقيَّة الَّتى تتصفُ بالإيقاعِ الصوتىِّ الجسدىِّ الصَّاخب ؛ فكذلكَ لابُدَّ بعد الإمعانِ فى التأمُّلِ والنَّظر ؛ أن نُسلِّم بجماليَّاتِ هذا الشَّكْلِ الشِّعْرِىِّ وأساليبهِ وأدواته.

ـ مُقَدِّمَة مُحَمَّد مَنْدُور لِكِتَاب « فى الميزان الجديد » ..... أُنْمُوذَجَاً

﴿ مُنْذُ عودتى من أُوربا ؛ أخذت أُفكِّر فى الطريقة التى نستطيع بها أن نُدخل الأدب العربىَّ المُعاصر فى تيَّار الآداب العالميَّة ؛ وذلك من حيث موضوعاته ووسائله ومنهج دراسته على السواء.

ولقد كُنْتُ أُومن بأن المنهج الفرنسىَّ فى مُعالجة الأدب هو أدق المناهج وأفعلها فى النفس ؛ وأساس ذلك المنهج هو ما يُسمُّونه « تفسير النُّصوص » فالتعليم فى فرنسا يقوم فى جميع درجاته على قراءة النُّصوص المُختارة من كبار الكُتَّاب وتفسيرها والتعليق عليها ؛ وفى أثناء ذلك يتناول الأساتذة

النظريَّات العامة والمبادئ الأدبيَّة واللُّغويَّة بالعرض ؛ عرضاً تطبيقيَّاً تُؤيِّده النصوص التى يشرحونها.

والجامعات الفرنسيَّة لا تُلقى بها مُحاضرات ولا دُرُوس عن العُلُوم النظريَّة التى تتصل بالأدب ؛ فلا نحو ولا بلاغة ولا نقد ؛ بل ولا تاريخ أدبٍ فرنسىٍّ ؛ وإنما يُعالج كل ذلك أثناء شرح النصوص ؛ ومن هنا قلَّما نجد فى اللغة الفرنسيَّة كتاباً فى النقد الأدبىِّ النظرىِّ على نحو ما نجد فى اللغة الإنجليزيَّة مثلاً.

هذا المنهج التطبيقىُّ هو الذى استقر عليه رأيى ؛ وإن كُنتُ قد نظرت إلى ظُرُوفنا الخاصة وحاجتنا إلى التوجيهات العامة ؛ فحرصت على بسط النظريَّات العامة خلال التطبيق ؛ كما اعتمدت على المُوازنات لإيضاح الفُرُوق التى لا تزال قائمة بين أدبنا وأدب الغرب ؛ وهذا ما أرجو أن يجده القارئ فى الجزء الخاص بالأدب المصرىِّ المُعاصر من هذا الكتاب ؛ حيث لم أكتفِ بنقد روايات أو دواوين الحكيم وبشر فارس وعلى محمود طه ومحمود تيمور وطه حسين ؛ بل عالجت فى كُلِّ حديثٍ مسألةً عامَّةً ؛ كالأساطير واتخاذها مادة للشعر أو القصص ؛ وفن الأُسلُوب ؛ والأدب الواقعىِّ ؛ ومُشاكلة الواقع فى القصة ؛ وما إلى ذلك ؛ وفى كُلِّ حديثٍ قدَّرت ما نفعله وما يفعله الأُوربيون فى غير مُجاملةٍ ولا تحامُلٍ ؛ على ما أحُسُّ من مواضع الجمال والقُبح ؛ ووقع اختيارى على بعضٍ من قصائد وكتابات لأُدباء

المهجر ؛ وأحسست فى أدبهم من الصدق والأُلفة ما وقع فى نفسى موقع الأسرار التى يتهامس بها الناس ؛ وأكبر الظنِّ أن الكذب فى التهامُسِ أقل بكثيرٍ منه فى الجهر ؛ ولربما كانت هذه الحقيقة النفسيَّة هى السبب الأول فى تسميتى لهذا الأدب بالمهموس.

ولقد تساءل نفرٌ من الأُدباء عن سِرِّ إعجابي بهذا الأدب ؛ وافترضوا الفروض التى قد يقبل الذوق الأخلاقىُّ السليم بعضها ؛ بينما يأبى البعض الآخر ؛ ولقد سجَّلت بعضاً من أصداء هذه المُناقشات فى ذلك الجزء من الكتاب ؛ وذلك لما نفثت فيها من حرارة الإيمان ؛ ثُمَّ لأنها تُتمِّم آرائى وتُوضِّحها بما تُعالج من مسائل عامة.

وفى أثناء دراستى لتلك النصوص التى تحدَّثت عنها وعن غيرها مما تناولت ـ بحُكم عملى فى الجامعة كمُدرِّسٍ للآداب ـ ؛ أخذ يتكون فى نفسى منهجٌ عامٌّ للنقد ؛ ولقد ركزت هذا المنهج فى جزأين من هذا الكتاب ؛ يجدهما القارئ فى الفهرست تحت عنوانى :

ـ مناهج النقد : تطبيقها على أبى العلاء

ـ المعرفة والنقد ... المنهج الفقهىُّ

وباستطاعة القارئ أن يُلاحظ أنه منهجٌ ذوقىٌّ تأثُّرىٌّ ؛ وذلك على تحديد لمعانى تلك الألفاظ ؛ فالذوق ليس معناه النَّزوات التحكُّميَّة ؛ وجانبٌ كبيرٌ منه ـ كما وضَّحتُ فى مقالى عن الأدب ومناهج النقد ـ ما هو إلاَّ رواسب

عقليَّة وشعوريَّة نستطيع إبرازها إلى الضوء وتعليلها ؛ وبذلك يُصبح الذوق وسيلةً مشروعةً من وسائل المعرفة التى تصح لدى الغير ؛ وإن كُنْتُ لا أُنكر أنه سبقنى إلى تقرير ذلك كبار نُقَّاد العرب أنفسهم ؛ كالآمدىِّ والجرجانىِّ على نحو ما يرى القارئ فى مقالاتى عن المعرفة والنقد.

ثُمَّ إننى وإن كُنْتُ أُومن بأنه ليست هناك معرفةٌ تُغنى عن الذوق التأثُّرىِّ ؛ إلا أننى مع ذلك أحرص على أن يكون الذوق مُستنيراً ؛ وفى هذا المجال ـ مجال الاستنارة ـ أُميِّزُ بين نوعين من المعرفة.

فهناك المعرفة الأدبيَّة اللُّغوية ؛ وهذه هى الأساس ؛ فقراءة مُؤلَّفات كبار الشُّعراء والكُتَّاب هى السبيل إلى تكوين مَلَكَةِ الأدب فى النُّفُوس ؛ وليست هناك سبيل غيرها ؛ وذلك على أن تكون قراءة درسٍ وفهمٍ وتذوُّقٍ.

وأما ما دُون ذلك من أنواع المعرفة ؛ كالدراسات النفسيَّة والاجتماعيَّة والأخلاقيَّة والتاريخيَّة وما إليها ؛ فهى وإن كانت عظيمة الفائدة فى تثقيف الأديب ثقافةً عامةً وتوسيع آفاقه ؛ إلا أننى لا أُريد أن تطغى على دراستنا للأدب كفنٍّ لُغوىٍّ ؛ وأنا مُؤمنٌ بأنه من الواجب أن يستقل الأدب بمنهجه عن غيره من العلوم ؛ وأنه من الخطر أن يُطبَّق عليه منهج أىِّ علمٍ آخر ؛ أو أن يأخذ بالنظريَّات الشكليَّة التى يقول بها العُلماء فى الميادين الأُخرى.

ولقد حرصت على أن أُورد فى الجزأين الآخرين من الكتاب أمثلة لنوعين دقيقين من المعرفة التى تسبق النقد ؛ وهُما :

ـ أُصُول النشر .

ـ وأوزان الشعر .

فمن واجب المُشتغل بالآداب أن يحُيطَ علماً بأمثال هذه المسائل ؛ وذلك لأنه إذا كانت دراسة الأدب فى نهاية الأمر هى تذوُّق النُّصوص ؛ فإنه لا غنى لمن يُريد ذلك التذوق من أن يتأكَّد أولاً من صِحَّة النَّصِّ الذى أمامه ؛ ومن استقامة وزنه ؛ وكيفيَّة تلك الاستقامة إن كان شعراً.

ولقد نظرتُ فى هذا الكتاب عندما انتهيت منه ؛ فأحسست أن فيه ما يكفى القارئ الذى يُمعن النظر ليخرج منه بالأُصُول العامة للأدب ودراسته ؛ ولقد كان فى هذا ما شجَّعنى على أن أعود إلى هذه المقالات ؛ أُعيد قراءتها وتنقيحها والإضافة إليها ؛ وفقاً لما تمخَّضت عنه تجاربى أثناء السنوات الخمس التى قضيتها بمصر ؛ ولقد كانت تلك التغيُّرات أكثر ما تكون فى أقدم المقالات.

ثم إنَّ هُناك مسألةٌ نفسيَّةٌ دفعتنى أيضاً إلى نشر هذا الكتاب ؛ وهى أن قارئ المجلَّة غير قارئ الكتاب ؛ ولقد كُنْتُ مُضطرَّاً عندما نشرت معظم هذه الأحاديث بـ « الثقافة » و « الرسالة » إلى أن أُركِّز ما أُريد قوله حتى أفرغ منه فى حدود المقال.

ولهذا ؛ سيرى القارئ مشاكل كثيرة عرضتُ لها جامعاً أطرافها فى جُملةٍ

أو بعض جُمل ؛ ولى كبير الأمل فى أن يقف عندها.

محمد مندور .﴾ .(١) .

.....

ـ تَوْطِئَة

قَالَ الدُّكتور مُحَمَّد مندُور فى كتابهِ « فى الميزان الجديد »(٢) :

﴿ ـ أَوْزَانُ الشِّعْر

١ ـ الشِّعْرُ الأُورُبِىُّ :

يُخَيَّل إِلَىَّ أننا قد وصلنا الآن إلى مرحلةٍ من نمو ثقافتنا يجب عندها أن نأخذ أنفسنا بالصرامة فيما نكتب ؛ فلا نتحدث إلا عن بَيِّنَةٍ تامَّةٍ وتحقيقٍ لما نقول ؛ بعد أن نكون قد عمَّقنا الفهم ؛ وإلا فسنظل نوهم ونتوهَّم أنا نعرف شيئاً نافعاً ؛ ونحن فى الواقع نضرب شرقاً بغرب !! .

وهُنا مسائل لا يكفى للحديث عنها أن نقرأها فى كتابٍ إنجليزىٍّ أو فرنسىٍّ ثم ننقلها إلى قُرَّائنا حسبما نظن أننا قد فهمناها ؛ هذا لا ينبغى .

ونأخذ اليوم لتلك المسائل مثلاً من « أوزان الشِّعر » كما تحدَّث عنها الأُستاذ درينى خشبة فيما يحشُد فى « الرِّسالة » من أحاديث.

---

(١) ـ (ص : ٥ ـ ٧) ؛ دار نهضة مصر / ط : يناير ٢٠٠٤م.

(٢) ـ (ص : ١٨٣ ـ ١٩٤) .

يُريد الأُستاذ أن يُمَيِّز بين العروض الإنجليزىِّ وغيره من الأعاريض الأوربيَّة ؛ وبين العروض العربىِّ ؛ فيقول : « وبحسبنا هُنا أن نذكر أن العروض الإنجليزىَّ ؛ بل كل أنواع العروض فى اللغات الأوربيَّة ؛ إنما أساسها التفعيلة the foot ؛ وليس أساسها الأبحر كما فى العروض العربىِّ. ».

وهذا قولٌ لا معنى له إطلاقاً !! ؛ لأن جميع أنواع الشعر ـ الشَّرقىُّ والغربىُّ على السَّواء ـ تتكون من تفاعيل يجتمع بعضها إلى بعض فتُكوِّن الأبحر ؛ والشعر العربىُّ فى هذا كغيره من الأشعار ؛ وإنما التبس الأمر على الأُستاذ ؛ لأنه رأى الأبحر فى الإنجليزيَّة تُسمَّى باسم التفعيلة المكونة لها فيقولون lambic meter ؛ إلخ.

وأما فى العربيَّة ؛ فقد وضعوا لها أسماء أُخرى ؛ كالطويل والبسيط وغيرهما ؛ وإذا كانت فى الشعر العربىِّ أبحُر متجاوبة التفاعيل كالطويل والبسيط مثلاً ؛ حيث نجد التفعيل الأول يساوى الرَّابع ؛ فإن هُناك أيضاً أبحُراً متساوية التفاعيل كالمُتدارك والرجز والهزج والكامل وغيرها ؛ وهذه كان من المُمكن أن تُسمَّى بأسماء تفاعيلها ؛ فالمسألة مسألة مُواضعة ؛ وإذا كانت فى الشعر العربىِّ زحافات وعلل ؛ فإن الشعر الأوربىَّ أيضاً فيه ما يُسمُّونه بالإحلال Substitution ؛ فتراهم يضعون مقطعاً اسبوندياً محَلَّ مقطع داكتيلى أو مقطع إيامبى ؛ وفى الشعر الأوربىِّ والعربىِّ معاً لا يُغيِّر هذا الإحلال من اسم التفعيل الأصلىِّ ؛ وإذن فَكُلُّ الأشعار من هذه الناحية لا

تختلف فى شىءٍ.

وإنما تتميَّز الأشعار ببنية التفاعيل ؛ وهُنا نُلاحظ أن الأُستاذ خشبة لم يُدرك بأُذُنه حقيقة الشعر الإنجليزىِّ ؛ وكان السبب فى ذلك اعتماده فى الأرجح على قواميس اللُّغة الإنجليزيَّة ؛ فقد قرأ فى أحد كُتُبِ العروض الإنجليزىِّ أن هُناك شعراً تتكون تفاعيله من الإيامب ؛ وشعراً تتكون تفاعيله من الداكتيل ؛ إلخ ؛ ممَّا يجده القارئ فى هامش مقاله .

وبحث فى القاموس ؛ فوجد أن الإيامب عبارة عن وِحْدَةٍ من مقطعين ؛ أولهما قصير والثانى طويل ؛ وهكذا.

وفاته أن هذه التعاريف لا تنطبق على الشعر الإنجليزىِّ بسهولة ؛ وإنما هى خاصة بالأشعار اليونانيَّة واللاتينيَّة ؛ ففى هاتين اللُّغتين تتميَّز المقاطع بعضها عن بعضٍ بالطُّول والقصر ؛ وأما اللُّغة الإنجليزيـَّة واللُّغـة الألمانيَّـة ؛ فتتميَّز مقاطعهما قبل كُلِّ شىءٍ بالارتكاز الصوتىِّ stress ؛ فهُنـاك مقـاطع تُنطـق بضغطٍ وأُخرى بغير ضغط ؛ وعلى هذا يكون الإيامب وِحْدَة من مقطع لا يحمل ارتكازاً وآخر يحمله ؛ ومن ثَمَّ لا يكون الشِّعْرُ الإنجليزىُّ شعراً كَمِيًّا ؛ بل شعر ارتكاز stressed.

وهذا هو الرأى المُعتمد .

وفى موضعٍ آخرٍ يقُول الأُستاذ : « ويُفضِّل بعض الشُّعراء البحر الإسكندرىَّ ـ نسبة إلى الإسكندر الأكبر ـ ؛ والقصائد التى نُظِمَت فيه من هذا البحر.

وَيُؤْثِر شُعراء المأساة الفرنسيُّون النَّظم من هذا البحر إطلاقاً ؛ وهو يتكوَّن من اثنى عشر مقطعاً : ست تفعيلات إيامبيَّة ؛ كُلُّ تفعيلٍ من مقطعين. » .

وهذا القول أيضاً يَدُلُّ على أنواعٍ من عدم الدِّقَّة ؛ بل ومن الخطأ البَيِّن!! ؛ فعدم الدِّقَّة نجدها فى شرح سبب تسمية هـذا البحر ؛ فهـو ليس نسبة إلى الإسكندر الأكبر ؛ بل نسبة إلى رواية بالذات كُتِبَت فى القرن الثانى عشر بفرنسا عن الإسكندر الأكبر « le Roman d'alexandre » ؛ استُعْمِلَ فيها لأوَّلِ مرَّةٍ هذا البحر بدلاً من الأبحُر الأقصر منه التى كانت مُستعملة فى القُرُون الوسطى .

أمَّا الخطأ ؛ ففى ظنِّ الأُستاذ أن البحر الإسكندرىَّ فى الشِّعر الفرنسىِّ يتكوَّن من سِتِّ تفعيلات إيامبيَّة كُلُّ تفعيلٍ من مقطعين ؛ فهذا لا وجُودُ له فى الشِّعْرِ الفرنسىِّ ؛ ومن المعلوم أن اللُّغة الفرنسيَّة قد فقدت مُنْذُ قُرُونٍ الكم ؛ فلم تعد هُناك مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة إلاَّ فى حالاتٍ نادرةٍ فى أواخر الكلمات مثل age .

ومن المُسَلَّمِ به عند الفرنسيين ؛ وعند جميع من كتبوا عن الشعر الفرنسىِّ : أن هذا الشعر لا علاقة له بِكَمِّ المقاطع .

٢ ـ الارتكاز : فألفاظ اللُّغة الفرنسيَّة لم تَعُد تحمل ارتكازاً stress ؛ وإنما يُوجد ارتكاز فى أواخر الجُمل ؛ فَكُلُّ جُملةٍ فرنسيَّةٍ أو شبه جُملة تنتهى

بارتكازٍ نَحَسُّ أنه ارتكاز شِدَّةٍ وارتفاعٍ معاً ؛ إلاَّ فى حالة الوقف ؛ فإنه يُعتبر ارتكاز شِدَّةٍ فحسب .

فمثلاً : جُملة Cette maison est tres belle ؛ لا نجد فيها غير ارتكازين اثنين ؛ أولهما على on والآخر bel ؛ والارتكاز الأول ارتكاز شِدَّةٍ وارتفاعٍ فى الصوت ؛ أما الثانى فَشِدَّةٌ فقط ؛ لأن الارتفاع يسقط للوقف .

وإذن ؛ فَالشِّعْرُ الفرنسىُّ ليس شعراً كَمِيَّاً ولا شعراً ارتكازيَّاً ؛ لسببٍ واضحٍ : هو أن مقاطع تلك اللُّغة لا تتميز بِكَمٍ ولا ارتكاز ؛ الشعر الفرنسىُّ يُسمونه ـ بِكُلِّ بساطةٍ ـ : « شعراً مقطعيَّاً syllabique » .

من هذه المُلاحظات : يتبيَّنُ لنا أن هُناك ثلاثة أنواع من الشِّعْرِ كُنَّا نحُب من الأستاذ خشبة ـ ما دام قد أراد أن يُبصِّرنا بحقائق الأوزان ـ أن يُمَيِّز بينها لنحاول بعد ذلك أن نرى أين يقع منها الشعر العربىُّ ؛ وبذلك قد نستطيع أن نُساعد على ظُهُور أنواعٍ جديدةٍ من الشعر العربىِّ تُمكِّن شُعراءنا الكِبَار الذين يُعجب بهم الأستاذ من إجادة منهم حقَّاً ؛ وعندئذٍ سنرى المسرحيات تُكتب شعراً كما كانت تُكتب مُنْذُ ثلاثة قُرُون ؛ ونكون بعملنا هذا قد أثبتنا للعالم المُتحضِّر أنهم مخُطئون فى عدم استمرارهم على استخدام الشِّعر فى

المسرحيات.(١).

هذه الأنواع الثلاثة ؛ هى :

١ـ الشِّعْرُ الكَمِىُّ .

٢ـ الشِّعْرُ الارتكازىُّ .

٣ـ الشِّعْرُ المقطعىُّ .

أما النوع الأول : فهو الشعر اليونانىُّ واللاتينىُّ القديم .

أما النوع الثانى : فهو الشعر الإنجليزىُّ والألمانىُّ .

وأما الثالث : فهو الشعر الفرنسىُّ .

١ـ الشِّعْرُ الكَمِىُّ

لنأخذ لذلك مثلاً بيت فرجيليوس فى الإنيادة .(٢) :

---

(١) ـ قَالَ الدُّكتُور مندُور فى حاشيتهِ مُعَلِّقَاً :

كتابة المسرحيات شعراً : رأىٌ نادَى به الأستاذ خشبة فى عِدَّة مقالات بالرِّسالة ؛ هو رأىٌ لا نُقِرُّه .

(٢) ـ قَالَ الدُّكتُور مندُور فى حاشيتهِ مُعَلِّقَاً :

هذا البيت فى مطلع الأُغنية الثامنة من الإلياذة ؛ وترجمته : ((أيتها الملكة !! ؛ إنك تأمرين بتجديد ألمٍ لا تمكن العبارة عنه .)). =.....

Infandum regina jubes renovare deolorem

نجده مُكوَّناً من ستة تفاعيل ؛ وكل تفعيل مكون من مقطعين طويلين « إسبونديه »، ؛ أو مقطع طويل أو مقطعين قصيرين « داكتل » ؛ ما عدا التفعيل الأخير ؛ فمقطعه الأخير قد يكون قصيراً ويكتفى به ؛ لأن الوقف يُعوِّض النقص .

... ؛ وأما الأساس الذى يُعتبر به المقطع طويلاً أو قصيراً ؛ فيرجع إلى الحرف الصائت **voyelle** ؛ فإذا كان طويلاً بطبيعته ـ كما هو الحال فى بعض الحُرُوف اليونانيَّة ـ ؛ أو كان حرفاً مزدوجاً **dephtongue** ؛ أو كان ناتجاً عن إدغام حرفين صائتين ؛ أو كان متلوَّاً فى نفس المقطع بحرفٍ صامتٍ **consonne** : اعْتُبِرَ المقطع طويلاً ؛ وإلا فهو قصير .

وفى القواميس الجيِّدة نجد دائماً كَمَّ الحُرُوف المُلتبسة .

ونحن لا نُريد أن نُطيل فى تحليل مُوسيقى هذا النوع من الشعر ؛ فهى لا شك لا تقف عند التفاعيل والمقاطع ؛ بل لابُدَّ لها من إيقاع **rythme** ينتج عن وجُود ارتكازٍ شعرىٍّ يُسَمَّى **Ictus** ؛ وهو يقع على مقطعٍ طويلٍ فى كُلِّ تفعيل ؛ كما أن هُناك وقفاً مُهِمَّاً فى كُلِّ بيتٍ يُشبه الوقف على الشَّطر فى البيت العربىِّ ... ؛ والواقع أن أوزان الأشعار اليونانيَّة واللاتينيَّة مُعقَّدةٌ صعبةٌ

قاله إينوس بطل الملحمة عندما طلبت إليه ديدون ملكة قرطاجنة أن يقص عليها نبأ ما كان من تدمير الإغريق لمدينة طروادة وطن البطل الأصلى.

حتى بالنسبة لمن يُتقنون تلك اللُّغات ؛ وذلك لأن نُطقها غير معروفٍ على وجهٍ دقيقٍ ؛ ومن بابٍ أولى عناصرها الموسيقيَّة ؛ ولهذا نكتفى بما ذكرنا .

٢ ـ الشِّعْرُ الارتكازىُّ

نأخذ لهذا النوع بيتاً من الشعر الإنجليزىِّ ؛ وليكُن مطلع« مرثيةٌ فى مقبرةٍ بالرِّيف » لتوماس جراى(١) :

the jcurfew tolls the knell of pattin day

نجده مُكوَّناً من ستة تفاعيل إيامبيَّة ؛ وكل تفعيل مُكوَّن من مقطعٍ غير مرتكزٍ عليه ومقطع آخر مرتكزٌ عليه... ؛ ومن البيِّن أن ما يُميِّز هذه المقاطع بعضها عن بعضٍ ليس كَمُّهَا كما قال الأُستاذ خشبة ؛ بل الضغط الواقع على بعضها .

وأمَّا أن هذا الضغط يزيد من كَمِّ المقاطع التى يقع عليها ؛ فهذه مسألةٌ تابعةٌ لا يُمكن أن تُغيِّر من طبيعة هذا الشِّعر الذى يُعتبر إيقاعيَّاً قبل كُلِّ شىءٍ .

ومن المُلاحظ أن اللُّغة الإنجليزيَّة بوجهٍ عامٍ لُغَةُ إيقاعٍ ؛ إذا قِيسَت بلُغةٍ سَيَّالَةٍ كاللُّغة الفرنسيَّة .

٣ ـ الشِّعْرُ المقطعىُّ

هذا النوع من الشِّعر خاصٌّ باللُّغة الفرنسيَّة ؛ وسببُ وجُوده هو ما أشرنا إليه

---

(١) ـ ترجمته : دقَّ ناقوس المساء ينعى النهار المُدْبِر .

من قبل ؛ فاللُّغة الفرنسيَّة كما هو معلومٌ تطوُّرٌ للُّغة اللاتينيَّة على نحو ما تطوَّرت لُغتنا العاميَّة عن اللُّغة الفُصحى مع المحافظة على النَّسَب .

ولقد كانت اللُّغة اللاتينيَّة كما رأينا لُغَةٌ كميَّةٌ تتميَّز مقاطعها بعضها عن بعضٍ بالطُّول والقصر ؛ ولكن اللُّغة الفرنسيَّة فقدت هذه الخاصية ؛ كما فقدت الارتكاز أيضاً ؛ فَكُلُّ لفظةٍ لاتينيَّةٍ كانت فى العادة تحمل ارتكازاً على المقطع السابق الأخير ؛ وذلك ما لم يكن هذا المقطع قصيراً ؛ فإن الارتكاز يسمو فى هذه الحالة إلى المقطع الثالث من الآخر ؛ ولكن هذا الارتكاز سقط من الفرنسيَّة بسقوط الكثير من أواخر الكلمات اللاتينيَّة الأصل.

فقدت اللُّغة الفرنسيَّة - إذن - الكم والارتكاز ؛ فعلى أىِّ أساسٍ يقوم - إذن - الشِّعر فيها ؟!.

الواقع أن مُوسيقى الشِّعر الفرنسىِّ ليست فى جوهرها موسيقى إيقاع ؛ ولكنها موسيقى سَيَّالَة دقيقة ؛ ومع ذلك فالأمر فيها ليس أمر مقاطعٍ مُتشابهةٍ ؛ كُلُّ عشرة أو اثنى عشر أو غيرها تُكَوِّن بيتاً من الشِّعر ؛ بل لابُدَّ أن يكون هُناك تقسيم لهذه المقاطع فى وحدات مُوسيقيَّة إيقاعيَّة إلى حَدٍّ ما.

فالوزن الإسكندرىُّ مثلاً ينقسم عند مُعظم الشُّعراء الكلاسيكيين إلى أربع وحدات ؛ كبيت راسين :

Oue je viens dans son temple adorer l'Eternel.(١).

فيه نرى تفعيلة مُكوَّنة من ثلاثة مقاطع : «حرف e فى آخر كلمة Temple يحُذف فى القراءة.» .

ولكن هذه المقاطع لا يتميز بعضها عن بعضٍ بِكَمٍّ ولا ارتكاز ؛ وإنما يأتى الإيقاع من وجُود ارتكازٍ شعرىٍّ على آخر مقطع من كُلِّ تفعيلة ؛ وقد رمزنا له بالعلامة « ً » ؛ وهذا الارتكاز ـ كما قُلنا ـ ارتكاز ضغطٍ وارتفاعٍ معاً فى التفاعيل الثلاثة الأُولى ؛ وارتكاز ضغطٍ فقط فى التفعيل الأخيرِ لسُقُوطِ الصوت عند الوقف .

هذا هو التقسيم الشائع عند الكلاسيكيين ؛ وأمَّا الرُّومانتيكيون فقد اعتزوا بالتقسيم الثُّلاثىِّ ؛ ففكتور نفسه قد افتخر بتمزيق أوصال الوزن الكلاسيكىِّ لهذا البحر فى بيتٍ ثُلاثىٍّ شهير ؛ هو :

j' ai desloque ce grand niais d'alexandrin

وهو مُقسَّم كما ترى إلى ثلاثة تفاعيل ؛ كُلُّ تفعيل أربعة مقاطع ؛ وأما عن الإيقاع ؛ فيأتى من الارتكاز على أواخر الجُمل كما ذكرنا بالنسبة للبيت

---

(١) ـ قَالَ الدُّكتور مندُور :

وترجمته : نعم !! لقد أتيت أعبد الرَّبَّ الخالد فى معبده .

السابق.

هذا ؛ والتفاعيل الفرنسيَّة ليست دائماً مُتساوية فى عدد مقاطعها ؛ ولقد كتب الأُستاذ الكبير جرامو Grammont كتاباً مُهِمَّاً جِدًّا بعُنوان :

Le vers francais, ses moyens d'expression, son harmonie.

وفيه يظهر أن التفاعيل الفرنسيَّة وإن لم تكن مُتساوية فى الكتابة ؛ إلاَّ أنه من الواجب أن نقرأها كأنها مُتساوية ؛ فعدم التَّساوى هذا قد ساقت إليه غريزة الشِّعر عند الموهوبين من الشُّعراء عندما أحسُّوا أنه لابُدَّ من أن تُسرع القراءة أو تُبطئ ؛ لتُترجم ترجمةً صحيحةً عن مشاعرهم المُتباينة.

وإذن ؛ فمن واجب القارئ أن يُسَوِّى بين التفاعيل فى كَمِّهَا الزمنىِّ ؛ ثم يبحث بعد ذلك عن العِلَّة فيما اضطر إليه من إسراعٍ أو تباطُؤٍ .

هذه هى أنواع الشِّعر الأوربىِّ الثلاثة : كَمِىٌّ ؛ وَارْتِكَازِىٌّ ؛ وَمَقْطَعِىٌّ.

ومن المُمكن أن نستخلص منها عُنصرين عامين يقوم عليهما كُلُّ شعرٍ ؛ وهُما :

١ ـ الكَم.

٢ ـ الإيقاع .

أما الكَم : فَقُصِدَ به هُنا كَمُّ التفاعيل التى يستغرق نُطقها زمناً ما ؛ وَكُلُّ أنواع الشِّعر لابُدَّ أن يكون البيت فيها مُقَسَّمَاً إلى تلك الوحدات .

وهى بَعْدُ قد تكون مُتساوية ؛ كالرَّجَز عندنا مثلاً.
وقد تكون مُتجاوبة ؛ كالطويل ؛ حيث يُساوى التفعيل الأوَّل التفعيل الثالث ؛ والتفعيل الثانى التفعيل الرَّابع ؛ وهكذا .
ولكن هذا الكَم الذى يُسَمَّى فى المُوسيقى **mesure** ؛ لا يكفى لكى نحس بمفاصل الشِّعر ؛ فلابُدَّ من أن يُضاف إليه الإيقاع المُسَمَّى **rythme**.
ولكى نضمن تحديد الفهم ؛ نُعَرِّف الإيقاع : فهو عبارة عن رُجُوع ظاهرةٍ صوتيَّةٍ ما على مسافات زمنيَّة مُتساوية أو مُتجاوبة ؛ فأنت إذا نقرت ثلاث نقرات ؛ ثم نقرت رابعة أقوى من الثلاث السابقة ؛ وكررت عملك هذا ؛ تولَّد الإيقاع من رُجُوع النَّقرة القويَّة بعد كُلِّ ثلاث نقرات ؛ وقد يتولَّد الإيقاع من مُجرَّد الصَّمت بعد كُلِّ ثلاث نقرات.
لابُدَّ إذن أن تكون هُناك ظاهرةٌ صوتيَّةٌ مُتميِّزةٌ تحدث فى أثناء نُطق كُلِّ تفعيل ؛ وتعود إلى الحُدُوث فى التفعيل الذى يليه.
والأمر فى الشعر الارتكازىِّ واضحٌ .
فالارتكاز نفسه كما يُميِّز بين المقاطع ؛ يُولِّد كذلك الإيقاع ؛ وأمَّا الشِّعْرُ الكَمِىُّ ؛ فقد أحسَّ القُدماء بأن مُجرَّد عودة مقطعٍ طويلٍ بعد مقطعين قصيرين مثلاً لا يكفى لإيضاح الإيقاع ؛ فدلُّونا على أن هُناك ارتكازاً شعريَّاً يقع على مقطعٍ طويلٍ فى كُلِّ تفعيلٍ ؛ ويعود فى نفس الموضع تقريباً من التفاعيل الأُخرى ؛ كذلك الأمر فى الشِّعْرِ الفرنسىِّ ؛ فهم لم يكتفوا بتقسيم البحر

الإسكندرىِّ مثلاً إلى تفاعيلٍ مُتساويةٍ فى الكتابة والقراءة معاً ؛ أو القراءة فحسب ؛ بل أضافوا إليه وجُود ارتكاز ضغطٍ وَشِدَّةٍ ؛ أو ضغطٍ فقط فى آخر كُلِّ تفعيل ؛ وعودة هذا الارتكاز إلى مسافاتٍ زمنيَّةٍ مُحدَّدةٍ هو الذى يُولِّد الإيقاع ؛ ولكنه لمَّا كان إيقاعاً قليل العدد خفيف الوقع ؛ فإن الشعر الفرنسىَّ لا يُعتبر بالنسبة للشعر الإنجليزىِّ مثلاً شعراً إيقاعيًّاً ؛ بل شعراً سَيَّالاً كما قُلنا.

والآن ؛ أين يقع الشعر العربىُّ من كُلِّ هذا ؟.

للجواب عن هذا السؤال يجب أوَّلاً أن نُناقش مذهب الخليل :

الشِّعْرُ العَرَبِىُّ

ليس من شَكٍّ فى أن الخليل بن أحمد كان رَجُلاً عبقريًّاً ؛ نفخر به مع من نفخر بهم من أجداد.

ولكن؟! ؛ العلم لا يعرف الوقوف ؛ ولقد تقدَّمت الدِّراسات اللُّغويَّة تقدُّماً يحملنا على أن نطمح إلى معرفةٍ أدق من معرفة الخليل بالعناصر الموسيقيَّة فى شعرنا العربىِّ.

والذى لا شَكَّ فيه : أن الخليل قد وضَّح حقيقةً أساسيَّةً فى الشعر العربىِّ لا نستطيع أن نغفلها ؛ وهى انقسام كُلُّ بيتٍ إلى تفاعيلٍ مُتساويةٍ ؛ كما هو الحال فى الرَّجَز وَالهَزَج وغيرهما ؛ أو مُتجاوبة « التفعيل الأول يُساوى الثالث ؛

والثانى يُساوى الرَّابع » ؛ كما هو الحال فى الطويل والبسيط وغيرهما.

وهذا التقسيم من أُسُس الموسيقى والشعر عند الأُوربيين اليوم ؛ فهُنالك وحدات موسيقيَّة مُتساوية **isometriques** ؛ وأُخرى مُتجاوبة **symetriques** ـ كما وضَّح الخليل ـ .

ولكنَّنا لا نكاد نترُك وجُود التفاعيل إلى بِـنْيَةِ تلك التفاعيل حتى نختلف مع الخليل ؛ وذلك لأنه لم يدلنا على وحدة الكلام ـ وهى المقطع ـ ؛ وأكبر ظنِّى أن الخليل لم يعرف العروض اليونانىَّ ؛ وإلا لَفَطِنَ إلى المقطع ؛ وإن يكن قد علم ـ فيما نُرَجِّح ـ بالموسيقى اليونانيَّة بفرعيها :

علم الإيقاع **rythmique** .

وعلم الانسجام **Les harmoniques**.

... ؛ ونخلص من هذا إلى وجُود مقاطع فى اللُّغة العربيَّة ؛ وهذه المقاطع تختلف فى كَمِّهَا ؛ فهل نستنتج من ذلك أن الشعر العربىَّ كَمِىٌّ ؛ بمعنى أن كُلَّ تفعيلٍ فيه يتكوَّن من مقاطعٍ مُختلفة الكَمِّ بنسبةٍ محدودةٍ ؟

ذلك ما رآه المستشرق أولد **Ewald** ؛ فقد وضع للشعر العربىِّ عروضاً على غِـرَارِ العروض اليونانىِّ ؛ وهو عروضٌ مُستقيمٌ ؛ سهل الفهم ؛ مُبَسَّطٌ عن عروضنا تبسيطاً كبيراً ؛ ولقد درَّسناه للطلبة بالجامعة فأجادوا فهمه ؛ ويستطيع القارئ أن يجده فى الجزء الثانى من « قواعد اللُّغة العربيَّة » **Arabic Gramar** للمُستشرق المشهور ريت **Right** ؛ ولكنَّنا مع

ذلك لا نُقِرُّ أولد ومن نحا نحوه من عامة المستشرقين فى اكتفائهم بِرَدِّ العروض العربىِّ إلى المقاطع الكميَّة كما هو الحال فى العروض اليونانىِّ واللاتينىِّ ؛ وذلك لأنهم لم يُبَصِّرُونَا بالإيقاع **Rythme** ؛ فالكم - كما قُلنا - لا يكفى لإدراك مُوسيقى الشعر ؛ بل لابُدَّ من الارتكاز الشعرىِّ الذى يقع على كُلِّ تفعيلٍ ويعود فى نفس الموضع على التفعيل التالى ؛ وهكذا.

ولقد كان على نِسَبٍ محدُودةٍ يوضح ذلك الإيقاع ؛ وكذلك تتابع المقاطع المُختلفة الكم.

والواقع أن الارتكاز فى اللُّغة العربيَّة موضوعٌ شاقٌّ لا يزال فى حاجةٍ إلى البحث ؛ نحن لا نَظُنَّ أن المُستشرقين يستطيعون بحثه ؛ لأن معرفتهم باللُّغة مهما اتسعت لا يُمكن أن تصل إلى الإحساس بمسائلٍ موسيقيَّةٍ لُغويَّةٍ دقيقةٍ كهذه ؛ فهل مُستطيعون نحن ذلك ؟.

ليسمح لى القارئ بأن أقُول : إننى قد حاولت حَلَّ هذا الإشكال فى بحثٍ طويلٍ كتبته باللُّغة الفرنسيَّة بعد دراسةٍ وتحليلٍ لثلاثة أبحُرٍ من الشعر العربىِّ بمعمل الأصوات بباريس ؛ هى : الطويل ؛ والبسيط ؛ والوافر.

ولنأخذ مثلاً من هذه الدِّراسة بيت امرئ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ

عَلَىَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِى

ولكن هذا الوزن لا يُبَصِّرُنَا بالحقيقتين الكبيرتين اللّتين يقوم عليهما الشعر فى جميع اللغات ؛ وهما : الكم ؛ والإيقاع .

الكم **mesure** :

نقصد بالكم : لا كم كل مقطع مُنفرداً ؛ فذلك ما سبق أن أوضحناه ؛ بل كم التفاعيل ؛ فنحن هُنا أمام تفاعيلٍ مُتجاوبةٍ « التفعيل الأوَّل يُساوى الثالث ؛ والثانى يُساوى الرابع » ؛ ولكنَّنا مع ذلك نُسَلِّم بجواز دُخُول زَحَافَات وَعِلَل ؛ فكيف يستقيم الكم برغم هذه الزَّحافات والعلل التى تُنقص من التفعيل فى الغالب ؟ .

هذه المُشكلة قد حيَّرت المُستشرقين !! ؛ ولقد حاول العالم الفرنسىُّ جويار **Guyard** أن يحلها فى كتابٍ له بعنوان **Novelle theorie de ja metrique arabe** ؛ وفيه يُطَبِّق مُواضعات الموسيقى وأُصُولها على الشعر العربىِّ ؛ ولكنَّه لا يُدْخِل فى حسابه غير الحُرُوف الصائتة كما يفعلون فى الموسيقى ؛ فيُغطِّى تلك الحُرُوف المُختلفة بقيمٍ مُتفاوتةٍ من نُقطةٍ بيضاءٍ إلى نُقطةٍ سوداءٍ إلى كروش مزدوج ؛ إلخ .

ومن البَيِّن ؛ أنه قد أخطأ لسُوء الحظِّ بإهماله كم الحُرُوف الصامتة العظيمة الأهميَّة فى اللُّغة العربيَّة واللُّغات السَّاميَّة عامة كما أشرنا .

والذى اهتدينا إليه بحساب الآلات الدقيقة هو ما يأتى ـ مُقدِّرين كم كُلِّ تفعيلٍ بأجزاءٍ من مائةٍ من الثانية ـ :

وهذه نتائج غريبة ؛ نُلاحظ عليها :

١ ـ أن التفاعيل المُزَحَّفَة ـ كالتفعيل الخامس والسَّابع ـ قد ساوى كَمُّهَا فى النُّطق مع كم التفاعيل الصحيحة ؛ بل زَاد .

٢ ـ أن هُناك فُرُوقاً بين التفاعيل المُتساوية ؛ كالتفعيل الثانى والرَّابع والسَّادس والثَّامن .

وتفسير ذلك ؛ هو :

ـ أولا : أن الفُرُوق التى ظهرت فى حساب الآلات لا تُدركها الأُذُن ؛ لأنه من الثابت أن الفرق الذى لا يزيد على ١٦ / ١٠٠ من الثانية لا تكاد تُدركه الأُذُن .

وإذن فهذه نستطيع إسقاطها .

ـ ثانياً : وأما عن مُساواة التفاعيل المُزَحَّفَة للتفاعيل الصحيحة ؛ فهذا يُفَسَّرُ بحقيقةٍ مُهِمَّةٍ تحدث عند إنشاد الشعر ؛ وهى عبارة عن عمليَّات تعويض نقوم بها آليَّاً ؛ وهذا التعويض يحدث بطريقةٍ مُختلفةٍ ؛ منها :

أ ـ تطويل حرفٍ صائتٍ بشرط أَلاَّ ينتج عن ذلك لَبْسٌ يأتى من قلب الحرف القصير بطبيعته اللُّغويَّة إلى حرفٍ طويلٍ .

ب ـ ومنها : مَدُّ النُّطق فى حرفٍ صامتٍ مُتمادٍّ ؛ كالسين أو اللام أو غيرهما .

جـ ـ ومنها الصمت بعد لفظٍ أو عند حرفٍ آنىٍّ ؛ كَحُرُوف الانفجار ؛ مثل الباء والفاء والدال وغيرها .

إذن ؛ فالزَّحافات والعلل لا تُغيِّر شيئاً فى كَمِّ التفاعيل عند النُّطق ؛ وهى لذلك لا تكسر الوزن .

الارْتِكَازُ الشِّعْرِىُّ

الارتكازُ عُنصرٌ أساسىٌّ فى الشعر العربىِّ ؛ بل عُنصرٌ غالبٌ ؛ ومن تردُّده يتولَّد الإيقاع ؛ ولهذا بحثنا عنه فى عناية .

والذى يبدو لنا : هو أن هُناك ارتكازاً على المقطع الثانى من التفعيل القصير ((فعولن)) .

وأما التفعيل الكبير ؛ فيقع عليه ارتكازان :

أحدهما أساسىٌّ على المقطع الثانى .

والآخر ثانوىٌّ على المقطع الآخير فى ((مفاعيلن)) .

وقد رمزنا للارتكاز الأساسىِّ بالعلامة ـ ؛ وللارتكاز الثانوىِّ بالعلامة // .

ومن المعلوم أن الارتكاز لا يقع إلاَّ على مقطعٍ طويلٍ ؛ ومن ثَـمَّ نُلاحظ أن هذا الوزن لابُـدَّ أن يسلم منه دائماً مقطعٌ طويلٌ بعد المقطع الأول القصير ؛ فإذا لم يحدث ذلك انكسر البيت ؛ فالمجموعة ب // الموجودة فى أوَّلِ كُـلِّ تفعيلٍ من البحر الطويل هى النَّواة الموسيقيَّة للبيت ؛ وهى عبارة عن وَتَـدٍ مجموعٍ فى لُغة الخليل .

ومن عودة الارتكاز على هذا المقطع من كُلِّ تفعيل يتكوَّن الإيقاع ؛ لأنه ـ كما قُلنا ـ عبارة عن عودة ظاهرةٍ صوتيَّةٍ ما على مسافاتٍ زمنيَّةٍ مُحدَّدةٍ .

وإذن ؛ فاستقامة الوزن أو عدم استقامته لا تعود إلى الكم الذى تُؤثِّر فيه الزَّحافات والعلل تأثيراً ظاهريًّاً فقط ؛ إلاَّ إذا نتج عن هذه الزَّحافات والعلل فُقدان للنَّواة الموسيقيَّة التى تحمل الارتكاز .

ولكن؟! ؛ هل ينتُج عن ذلك أن الشِّعر العربىَّ شعرٌ ارتكازىٌّ ؛ بمعنى أن مقاطعه تتميَّز بأنها تحمل ارتكاز ضغطٍ أو لا تحمله ؟ .

الجواب أيضاً بالنَّفى ؛ فالمقاطع العربيَّة كما تحمل الارتكاز تتميَّز بالكم كذلك .

وإذن ؛ فَالشِّعْرُ العَرَبِىُّ يجمع بين الكم والارتكاز ؛ ورُبما كان هذا سبب تعقُّد أوزانه .

وَنُلَخِّص طبيعة الأوزان العربيَّة : بأنها تتكوَّن من وحداتٍ زمنيَّةٍ مُتساويةٍ أو مُتجاوبةٍ هى التفاعيل ؛ وأن هذه التفاعيل تتساوى أو تتجاوب فى الواقع عند النُّطق بها ؛ بفضل عمليَّات التعويض ؛ سواء أكانت مُزَحَّفَةٌ معلولةٌ أو لم تكن ؛ وأن الإيقاع يتولَّد فى الشعر العربىِّ من تردُّد ارتكازٍ يقع على مقطعٍ طويلٍ فى كُلِّ تفعيلٍ ؛ ويعود على مسافاتٍ زمنيَّةٍ مُحدَّدة النِّسَب ؛ وعلى سلامة هذا الإيقاع تقوم سلامة الوزن .

وهكذا ننتهى فى هذا الحديث إلى ما انتهينا إليه فى الحديث السابق : من قيام جميع الأشعار على عُنصرى الكم والإيقاع ؛ وأمَّا موضع الاختلاف بين الأشعار المُختلفة ؛ فهو فى كيفيَّة هذين العُنصرين .» .

انتهى ما أردناهُ من كلامِ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور .

obeikandl.com

....

- بَيْنَ يَدَى الكَلام

قَالَ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور:

« وأكبر ظواهر الإخفاق فيما يبدو؛ هو خُضُوع ذلك الجيل لضغط الهيئة الاجتماعيَّة.

نعم؛ إننى لا أجهل أن امتداد الزَّمن بالحياة كثيراً ما ينتهى بنا إلى الصُّلح معها؛ فالشُّيوخ عادةً أكثر رِضَاً وتفاؤلاً من الشُّبان السَّاخطين المُتشائمين؛ كما أعلم أن طُول التَّجارب كثيراً ما يُبَصِّرُنَا بحُدود للمُمكنات لم نكن نفطن لضيقها أيَّام حداثتنا؛ بل إنَّ كُلَّ تجربةٍ عبءٌ يُثْقِلُ خُطَانَا. »..(١).

قَالَ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور:

« ولكن ثَمَّة أمر لا شَكَّ فيه؛ هُوَ أننا قد وصلنا إلى درجة التَّزَمُّت؛ ولكن هَالَنِى يوماً أن أرى أحد كُتَّابنا المعروفين باتِّساع الأُفُق يدعونى إلى أن أُسْقِط من حديثٍ لى بالرَّاديو كلمة (حوريات) - ترجمة لعرائس الغابات المعروفة فى الأساطير اليونانيَّة -؛ خوفاً من أن يتهمنى أحدٌ بِالْمُرُوق عن الدِّين لاستعمال لفظة وردت فى القُرآن؛ وأنا بصدد الحديث عن خُرافات الوثنيَّة

---

(١) - « فى الميزان الجديد »؛ (ص: ٨).

اليونانيَّة !! .

إذن ؛ بَقِىَ لنا أن نعود إلى التقاط الأسلحة التى ألقاها سابقونا ؛ وأن نُناضل دُون : حُريَّة الرَّأى ؛ وكرامة الفكر البشرىِّ ؛ وتقديس حقوقه ؛ غير باغين ولا مُعتدين .)) .»(١).

(١) ـ ((فى الميزان الجديد)) ؛ (ص : ٨ ـ ٩) .

Obeikandl.com

۞ ـ وبعد :

قَالَ النَّاقِدُ الكبير الدُّكتُور محمد مندور (ت سنة ١٣٨٥هـ) فى كتابهِ «فى الميزان الجديد» (١) :

﴿ ۞ـ الشِّعْرُ المَهْمُوس

« أخى !! » لميخائيل نعيمة :

أَظُنُّ أنه قد حان الحين لنوضح ما نبغى من تلك الألفاظ العامة التى كرَّرناها غير مرَّةٍ طالبين إلى شُعرائنا وكُتَّابنا أن يأخذوا بها إذا أرادوا أن يسموا نفوسنا ؛ نُريد أدباً مهموساً أليفاً إنسانيًّاً ؛ وها نحن اليوم نعرض نُموذجاً له.

الهمس فى الشِّعر ليس معناه الضعف ؛ فالشَّاعر القوىُّ هو الذى يهمس فتحس صوته خارجاً من أعماق نفسه فى نغمات حارة ؛ ولكنه غير الخطابة التى تغلب على شعرنا فتُفسده ؛ إذ تبعد به عن النَّفس ؛ عن الصدق ؛ عن الدُّنوِّ من القُلُوب .

الهمس ليس معناه الارتجال ؛ فيتغنى الطبع فى غير جهدٍ ولا إحكام صناعةٍ ؛ وإنما هو إحساس بتأثير عناصر اللُّغة ؛ واستخدام تلك العناصر فى تحريك النُّفوس وشفائها مما تجد ؛ وهذا فى الغالب لا يكون من الشاعر عن وعيٍ بما يفعل ؛ إنما هى غريزته المُستنيرة ؛ ما تزال به حتى يقع على ما يُريد .

---

(١) ـ (ص : ٥٥ ـ ٦٨) .

الهمس ليس معناه قصر الأدب أو الشِّعر على المشاعر الشخصيَّة ؛ فالأديبُ الإنسانىُّ يحدثك عن أىِّ شىءٍ يهمس به ؛ فيُثير فؤادك ؛ ولو كان موضوع حديثه مُلابسات لا تَـمُتُّ إليك بسببٍ .

دعنا ننظر فى « أخى ! » قصيدة ميخائيل نعيمة ؛ فعنده سنجد ما نُريد ؛ كُنوزاً لا مثيل لها فى لُغتنا ؛ كُنوزاً تثبت فى المقارنة لأروع شعرٍ أُوربىٍّ.

قصيدةٌ وطنيَّةٌ قيلت فى أواخر الحرب الماضية أو بعدها ؛ فهى إذن مما نسميه أدب المُلابسات الذى كثيراً ما نتناقش فى إمكان اعتباره أدباً خالداً أم لا؟ ؛ وفى فنائه بانقضاء ظروفه أم بقائه بعدها؟ ؛ بل فى طبيعة هذا البقـاء : أهـو على نحو ما تبقى الوثائق التاريخيَّة مُغبرَّة فى دار المحفوظات ؛ أم كأدبٍ دائمِ الحياة دائمِ الهَـزِّ للنُّفُوس؟.

أَخِى !! إِن ضَجَّ بَعْدَ الحَرْبِ غَرْبِىٌّ بِأَعْمَالِهْ
وَقَـدَّسَ ذِكْـرَ مَن مَاتُوا وَعَظَّمَ بَطْشَ أَبْطَالِهْ
فَلا تَهْـزَج لِمَن سَادُوا وَلا تَشْمَت بِمَن دَانَا
بَل ارْكَـع صَامِتَاً مِثْلِى بِقَـلْـبٍ خَاشِعٍ دَامِ
.. ؛ لِنَبْكِى حَظَّ مَوْتَانَا

نَفَسٌ مُرْسَلٌ وَمُوسيقى مُتَّصلة ؛ فالمقطوعة وِحْدَةٌ تُمهِّد لخاتمتها ؛ وفى هذا ما يُشبع النَّفْس ؛ ألا ترى كيف يَعُـدُّك للصورة التى يدعوك إلى مُشاركته

فيها؟!:

إذا ضَجَّ الغربىُّ بأعماله ؛ وقدَّس موتاه ؛ وعظَّم أبطاله : فلا تهزج للمُنتصر ؛ ولا تشمت بالمُنهزم ؛ لأنه لا فضل لك فى هذا ولا ذاك ؛ وما أنت بشىءٍ ؛ وأنت أحق بأن تحزن ؛ وأجدر بأن يخشع قلبك فتركع صامتاً لتبكى موتاك !! . أيَّةُ أُلفةٍ فى الجو!! ؛ وأيَّةُ قُوَّةٍ فى إعداده!!

(أخى !!) : فأنا إذن شريكه فى الإنسانيَّة ؛ وأنا قريبٌ منه وهو قريبٌ مِنِّى ؛ ومتى قَرُبْتُ استطاع أن يهمس لأننى سأسمعه ؛ وسيُشجينى صوته الرَّقيق القَوىُّ المباشر وهو ينقل إلىَّ قُوَّة إحساسه ؛ بفضل قُدرته على اختيار اللفظ الذى يستنفد الإحساس :

إِن ضَجَّ غَرْبِىٌّ بِأَعْمَالِهْ

والضجيج لفظٌ بالغ القُوَّة لجَرْسِ حُرُوفه وَقُوَّة إيحائه ؛ وهو يَضِجُّ : « بِأَعْمَالِهِ» لا « بالمُبالغات الكاذبة » .

الغربىُّ : « يُقَدِّسُ ذِكْرَ مَن مَاتُوا » ؛ وهذه ألفاظٌ لَيِّنةٌ جميلةٌ مُؤثِّرةٌ غنيَّةٌ : فيها قُدسيَّة الدِّين ؛ فيها نُبْلُ الوفاء ؛ فيها جلال الموت .

مشاعر شتَّى تجمع إلى النَّفس ثروة رائعة !! .

وهو : « يُعَظِّمُ بَطْشَ أَبْطَالِهِ » : أىُّ قُوَّةٍ فى تتابع هذه الحروف : ظاء ؛

ثم طاء ؛ وطاء !! ؛ أعد هذه الجُملة على سمعك ثم أنصت إلى قُوَّتها التى تملأ فمك ؛ كما تملأ الأُذُن ؛ ثم إن التعظيم غير التحيَّة أو التبجيل ؛ والبطش غير الشَّجاعة أو الإقدام ؛ البطش شىءٌ يصعق .

وهو يدعونى إلى : « أَلاَّ أَهْزَج لِمن سَادُوا » ؛ والهزج غير الفرح ؛ الهزج غناء ؛ والسيادة لفظٌ حبيبٌ إلى النَّفْسِ مثال تهفو إليه ؛ ولهذا فهو يحركها وله فيها أصداء مُدويَّة : « وَلا تَشْمَت بِمَن دَانَا » ؛ والشماتة شُعُورٌ خسيسٌ تركَّز فى هذا اللفظ لكثرة مُرُوره بنفوسنا جميعاً ؛ لفظٌ يحمل شُحنةً من الإحساس ؛ وما أحقرها شماتة تلك التى نستشعرها لمن دان !! ؛ نعم !! ؛ ما أحقر أن نشمت من جُثَّةٍ هامدةٍ !! ؛ بل مالى أضعف من قُوَّةِ الشَّاعر !! .

وفى قوله « مَن دَانَا » : ما يُثيرنى فوق ما تُثيرنى الجُثث والأشلاء !! ؛ لأن : « مَن دَانَا » : قد ذَلَّ ؛ وَالذُّلُّ أشق على النفس من الموت ؛ والموت كرامة إذا لم يكن بُدٌّ من الهوان.

ليس لى إذن أن « أهزج لمن ساد » ؛ أو أن « أشمت بمن دان » ؛ وإنما علىَّ أن أركع مثل الشاعر : « صَامِتَاً بِقَلْبٍ خَاشِعٍ دَامٍ » ؛ « لِنَبْكِى حَظَّ مَوْتَانَا » وهذه نغماتٌ دينيَّةٌ ؛ ونحن بشرٌ تستطيع أقلامنا أو ألسنتنا أو عقولنا أن تهذى كما تشاء ؛ وأما قلوبنا فمؤمنة ؛ واللهفة إلى الله لا تكاد تفارقنا حتى تعود إليها ؛ وبخاصة إذا قست علينا الحياة أو قسونا نحن على أنفسنا ؛ وها نحن

اليوم يقودنا الألم إلى كَنَفِ الله ؛ الغربىُّ يُقدِّس ذكر موتاه ويُعظِّم بطش أبطاله ؛ فما لى أنا أهزج لمن ساد وأشمت بمن دان وما أنا بشىءٍ؟! ؛ وإنه لعزيزٌ على كل نفسٍ ألا تكون شيئاً ؛ وما أخلقنى عندئذٍ أن ألتمس رحمة رَبِّى أنا وأخى الذى يجمعنى به الألم الإنسانىُّ المُشترك ؛ ذلك الذى لا يعرف وطناً ولا قوميَّةً.

ونحن سنركع صامتين ؛ خاشعة قلوبنا الدامية ؛ أنصت إلى كل هذه الكلمات ! أنصت إليها واستشعر جلالها !! استشعره بقلبك ثم تصوَّر الصورة وما فيها من جمال التصوف ورهبة الدِّين وَنُبْلِ الخُشُوع الصامت الدَّامى!! .

سنركع صامتين ؛ لأن الله سيعمر قلوبنا ؛ وقد خلت إلاَّ منه ؛ صامتين لأن خشوع الموت سيلمؤنا رهبة ؛ وهو بَعْدُ مَوْتٌ قد حُرِمَ حتى العزاء ؛ موتٌ يُدمى القلوب ويعقد اللسان!! ؛ لأن إخواننا لم يصيبوا مجداً ولا رفعوا للوطن ذكراً ؛ الموت محنة ؛ فكيف به إذا لم يخلف عزاء؟! ؛ كيف به إذا لم يرفع من قلبٍ أو يخلد أثراً؟! ؛ تعالَ إذن نبكِ حظ موتانا ؛ حظهم المؤلم التَّعِس المُحزن !! .

هذا هو الشعر الذى لا أعرف كيف أصفه!! فيه غنىً صادرٌ عمَّا تحمل الألفاظ من إحساسات دقيقة صادقة قريبة من نفوسنا أليفة إليها!! ؛
إحساسات ركزناها منذ أجيال !! ؛ عِزَّةُ الغربىِّ المُجاهد الشُّجاع اليَقِظ ؛ ثم ألمنا

وقد أصبحنا لا نجد أمامنا سوى الرُّكُوع خاشعين والبُكاء فى صمتٍ على إخواننا المهدرين ؛ وتتزاوج المشاعر المختلفة فتزداد قوة ؛ أولا ترى كيف أن ضجيج الغربىِّ بأعماله وتقديسه لذكر موتاه وتعظيمه لبطش أبطاله قد زاد من حُزننا مرارة؟!.

وأخيراً : فيه الموسيقى : الشِّعر من « الوافر» ؛ ولكنه متصل باتصال الإحساس حتى لا أكاد أرى فيه ذلك الإيقاع rythme الذى يُفسد الكثير من موسيقى شعرنا عندما تستقل الأبيات : موسيقاه مما يسميه الأوربيون ترنيماً melodie ؛ وفى هذا ما يُماشى الحُزن المتصل والألم الخشوع :

أَخِى !! إِن عَادَ بَعْدَ الحَرْبِ جُنْدِىٌّ لأَوْطَانِهْ
وَأَلْقَى جِسْمَهُ المَنْهُوكَ فِى أَحْضَانِ خِلاَّنِهْ
فَلا تَطْلُب إِذَا مَا عُدتَ للأَوْطَانِ خِلاَّنَا
لأَنَّ الجُوعَ لَم يَتْرُك لَنَا صَحْبَاً نُنَاجِيهم
سِوَى أَشْبَاحِ مَوْتَانَا !!

وها نحن من جديد أنا وأخى نشهد الجندىَّ يعود إلى أوطانه ؛ ومن اغترب يعرف معنى هذه العودة ؛ فما بالك إذا كانت عودة ستنقذك من مخالب الموت؟!.

والجندىُّ يعود مُكَلَّلاً بِعِزَّةِ النَّصر ؛ فيُلقى جسمه « المنهوك» فى « أحضان

خلانه)) ؛ لست أدرى ما مصدر التأثير فى البيت؟! ؛ أهو فى هذه المَدَّات الثلاث : ((منهوك ـ أحضان ـ خلان)) التى تُوحى بالتأسِّى والرَّاحة والحنان؟! أم هو فى إلقاء المنهوك جسمه بين أحضان خلانه؟! ؛ جسمٌ منهوكٌ ((يلقى)) بين الأحضان ؛ أىُّ صدقٍ فى العبارة !! وأىُّ صدقٍ فى التأثير!! ثم أىُّ تجسيمٍ للصورة التى نكاد نراها!! ؛ وأما نحن فسنعود من الحرب منهوكين كما يعود كل الجند ؛ ولكننا لن نلقى خلاَّناً تتلقانا أحضانهم ؛ وأنَّى لنا بهم والجوع لم يترك لنا صحباً نُناجيهم سوى أشباح موتانا؟! ؛ أبعد هذا نختلف فى حقيقة الشِّعر ؛ ونروح نهذى بـ : فُحولة العبارة ؛ وَحِدَّة المعنى ؛ وإشراق الديباجة؟! أبعد هذا نتخبَّط فى معنى الأدب ؛ فيذهب البعض إلى أنه الحثُّ على مكارم الأخلاق والعدل الاجتماعىِّ وإصلاح النُّظُم ؛ ويذهب آخرون إلى أنه الأفكار العظيمة والتفكير الكبير والصنعة المُدهشة والأسلوب الفنىِّ؟!.

أَخِى!! إِن عَادَ يحَرُثُ أَرْضَهُ الفَلاَّحُ أَو يَزْرَعْ
وَيَبْنِى بَعْدَ طُولِ الهَجْرِ كُوخَاً هَدَّهُ المِدْفَعْ
فَقَد جَفَّت سَوَاقِينَا ؛ وَهَدَّ الذُّلُّ مَأْوَانَا
وَلَم يَتْرُك لَنَا الأَعْدَاءُ غَرْسَاً فِى أَرَاضِينَا
سِوَى أَجْيَافِ مَوْتَانَا !!

أيَّةُ بساطةٍ فى التصوير؟! وأىُّ قُربٍ من واقع الحياة ؟! تلك التى تعُضُّنى

وتعضُّك : حياة الفلاح الذى يحرث ويزرع بعد أن يبنى « كوخه » من جديد ؛ وأما نحن فقد : « جفَّت سواقينا » !! عبارةٌ ساذجةٌ ؛ ولكن كم لها فى النفس من أثر!! ؛ سواقينا التى ألفناها ؛ سواقينا العزيزة التى خلَّفها لنا الآباء .

لقد « هدَّ الذُّلُّ مأوانا » : ثلاثة ألفاظ قويَّة نافذة جبَّارة !! ؛ لا تستطيع أن تستبدل بأىٍّ منها غيره دُون أن تُفسد الشِّعر وتذهب بقُوَّته ؛ « هدَّ الذُّلُّ مأوانا » : فهو لم يهدمه ؛ والهدم شىءٌ مُبتذل ؛ « هدَّ » لفظٌ مُوجزٌ مُركَّزٌ موحٍ مُصوِّر ؛ وهو قد هدَّ مأوانا ؛ فلم يهد بيتنا ولا دارنا ولا منزلنا ولا قريتنا بل ولا وطننا ؛ هدَّ مأوانا الذى نحتمى به ونستر خلف جُدرانه آلامنا ؛ ثم ما الذى هَدَّ هذا المأوى؟! ؛ إن الحرب لم تهده ؛ وإلا لبنيناه من جديدٍ كما سيبنى فلاح الغرب كوخه؟! ؛ هدَّه الذُّل ؛ لفظٌ دالٌّ ثقيل ؛ ثقيلٌ كالصخر ؛ لفظٌ بغيضٌ مُخِيفٌ مُثير : « هَدَّ الذُّلُّ مأوانا !! » ؛ ولم يترك لنا الأعداء غَرْسَاً فى أراضينا غير أجياف موتانا ؛ وما آله من غرس!! تلك الجُثث الهامدة ؛ التى ترقد تحت التُّراب فى غير مجدٍ ولا عزاء!! .

أَخِى !! قَد تَمَّ مَا لَو لَم نَشَأْهُ نَحنُ مَا تَمَّا
وَقَد عَمَّ البَلاءُ وَلَو أَرَدْنَا نَحْنُ مَا عَمَّا
فَلا تَنْدُب فَأُذْنُ الغَيْرِ لا تُصْغِى لِشَكْوَانَا
بَل اتْبَعْنِى لِنَحْفُر خَنْدَقَاً بَالرَّفْشِ وَالمِعْوَل
نُوَارِى فِيهِ مَوْتَانَا !!

ودع عنك ما فى قوله : ((تم ما لو لم)) ؛ فهذه أربعة أو خمسة مقاطع متلاحقة منفصلة كثيرة الميمات صعبة النُّطق فى انسجام ؛ ثم انظر فيما دُون ذلك : ((فالبلاء قد عم)) : ألفاظٌ قويَّةٌ تُعبِّر عن إحساسٍ قوىٍّ ؛ وما ينبغى لنا أن نندب وإلا أضفنا الحُمق إلى الألم ؛ ومتى أنصتت أُذُن الغير إلى شكوى الناس؟! ؛ وبخاصة إذا كان هؤلاء الناس ممن لا يُهمُّهم أمرنا؟! ؛ وإذن ؛ فليس لى إلا أن آخذ الرفش والمعول ؛ وأن أتبع أخى الذى يدعونى فى أسىً إلى أن نُوارى موتانا !! .

من مِنَّا لا يرى هذه الصورة المُحزنة؟! من مِنَّا لا يُحسُّ بدعوة الأخ لأخيهِ كى يتبعه وقد سار إلى الجُثث المُلقاة فى العَرَاءِ فى خُطَىً مُتثاقلة ؛ معوله على كتفه ؛ وأخوه من خلفه وَاجِمُ النَّفْسِ حزين الفؤاد؟!.

والشَّاعر لا يكتفى بالأموات ؛ بل يَهُمُّ بِضَمِّ الأحياء إليهم ؛ وقد تهيَّأ الجو وحميت الأنفاس ؛ فإذا به فى القِمَّة .

تأتى القصيدة فى وِحْدَةٍ مُوسيقيَّةٍ نفسيَّةٍ تنتظم مقطوعات مُوحَّدة لا يزال بعضها يُكمل البعض ؛ تنمو بنمو الإحساس المُتصاعد إلى الأشباح حتَّى تستقر نفس الشاعر :

أَخِى!! مَن نحَنُ !! لا وَطَنٌ وَلا أَهْلٌ وَلا جَارُ
إِذَا نِمْنَا ؛ إِذَا قُمْنَا... ؛ رَدَانَا الخِزْىُ وَالعَارُ

لَقَد خَمَّت بِنَا الدُّنْيَا ؛ كَمَا خَمَّت بِمَوْتَانَا (١)
فَهَاتِ الرَّفْشَ وَاتْبَعْنِى ؛ لِنَحْفُر خَنْدَقَاً آخِر
نُوَارِى فِيهِ أَحْيَانَا !!

وهذه هى المقطوعة الأخيرة التى بلغت غاية الألم!! ؛ ولكنى لست أدرى هل تُوحى إلى القارئ بما تُوحى به إلىَّ أم لا ؟! ؛ إنِّى أَحُسُّ فيها إثارةً لِهِمَّتِى وتحريكاً لمعانى العِزَّة فى نفسى ؛ فأنا لا أُومن بأن الدُّنيا قد خَمَّت بنا كما خمت بموتانا ؛ وأنا لا أرضى أن أُوَارِى التُّرَابَ حَيَّاً !! ؛ إن فى هذه النغمات ما يُلهب وطنيَّتى ؛ بل إنسانيَّتى ؛ وهكذا تنتهى القصيدة إلى هذا الدَّرس النَّبيل ؛ والشاعر بَعْدُ لم يعظ ولم يَشْدُ بالوطنيَّة ؛ ولا دعانى إلى شىءٍ من تلك المعانى الضخمة التى نتشدق بها ؛ وإنما أشعرنى ببؤسى و : «ما لى وطنٌ

(١) ـ قَال نِزَار شَاهِين :
خَمَّ :
اللحمُ المُخِمُّ : الذى تغيَّرت ريحه ؛ ولَمَّا يفسد فساد الجيف ؛ وخَمَّ مثله ؛ وقد خَمَّ يَخُمُّ خموماً.
وإذا خَبُثَ ريح السِّقاء ؛ فأفسد اللبن ؛ قيل : أَخَمَّ اللبن فهو مُخِمٌّ ؛ والخَمْخَمَة : ضَرْبٌ من الأكل قبيحٌ ؛ وَالخُمَامَةُ : القُمامةُ والكُناسةُ ؛ من : خَمَمْتُ البيت : أى كنسته ؛ والخِمامةُ : ريشةٌ فاسدةٌ رديئة تحت الرِّيش ؛ وَرَجُلٌ مَخْمُومُ القلب : كأنه قد نُقِّىَ من الغِشِّ والغِل.

ولا أهلٌ ولا جارُ » ؛ وما أرتدى إن نِمْت أو قُمتُ غير رداء الخزى والعار!! .
لقد هَمَّ الشَّاعر بأن يدفننى حيًّا !! ؛ فَنَفِرَت عِزَّتِى وهاجت شُجُونى !! ؛ إننى أقوى نفساً ؛ وأعزُّ جانباً ؛ وأحمى شجاعةً ؛ وإن كُنتُ قد أدركتُ بؤسى ؛ بل ربما لأننى قد أدركت مدى ذلك البُؤس.
والآن ؛ أليس هذا هو الشِّعر المهموس الذى ندعو إليه ؛ أليس هذا هو الشِّعر الإنسانىُّ الذى نهتز لنغماته؟! ؛ إن بينه وبين الكثير من شُعراء مصر قروناً !! ؛ وإنه لمن الظُّلم أن يُرتفع بعد ذلك بصوتٍ يحاول أن يُنكر على هؤلاء الشُّعراء ـ نعمية وإخوانه بالمهجر ـ أنهم هم الآن شُعراء اللُّغة العربيَّة ؛ وأن شعرهم هو الذى سيصيب الخُلُود!! .
« يا نفس!! » لنسيب عريضة :
حاولنا أن ندل على ما فى قصيدة ميخائيل نعيمة « أخى !! » من عناصر إنسانيَّة نعتقد أنها كفيلة بأن تضمن لها الخُلُود بين الناس كافة رغم ما قيلت من مُلابسات خاصة ؛ وها هى قصيدة أُخرى لنسيب عريضة تخللها ؛ لأنها تُحرِّك عِدَّة مسائل لابُدَّ من أن نجلوها بضرب المثل :
١ ـ منها الغُمُوض والوضُوح.
٢ ـ ومنها مُشكلة العبارة ؛ وما يأخذه البعض ظُلماً على شُعراء المهجر من هلهلة النسيج.
٣ ـ ثُمَّ إِنَّ فيها إشارات كثيرة إلى نظريات فلسفيَّة معروفة ؛ ومع ذلك

استطاع الشَّاعر بقوة إحساسه وروعة صوره أن ينجو بها عن استواء الأفكار المجُرَّدة.

٤ ـ وأخيراً ؛ فيها ما يُمكننا من معالجة العناصر الموسيقيَّة فى الشِّعر العربىِّ وكيفيَّة استخدامها.

القصيدة حديث يخاطب به الشاعر نفسه :

يَانَفْسُ مَالَكِ وَالأَنِينْ؟!

..... ؛ تَتَأَلَّمِينَ وَتُؤْلِمِينْ؟!

عَذَّبْتِ قَلْبِى بِالحَنِينْ !!

وَكَتَمْتِهِ مَا تَقْصِدِينْ ؟!

وها نحن مُنذ المقطوعة الأولى فى جَوٍّ شعرىٍّ !! ؛ وننظر فى السؤال :

يَانَفْسُ مَالَكِ وَالأَنِينْ؟!

فلا ندرى أهو عتابٌ أم لومٌ أم شفقة ؟! ؛ وهى تتألم وتؤلم على نحوٍ لا نعلمه !! ؛ ولكننا نحسُّ بصدق الشَّاعر ؛ وهى تُعذِّب القلب بالحنين وتكتمه ما تقصد !! ؛ حنين إلى المجهول !! ؛ ومن عجبٍ أن تكتم النفس ما تجهل !! ؛ ثم هل هى غير القلب ؟! ؛ هل هى تعارضه ؟! .

أسئلةٌ لا محِلَّ لإلقائها !! ؛ وما يجوز أن نبحث لها عن حُلُولٍ توضحها ؛ وإلا ضاع جمال الشِّعر ؛ حالةٌ نفسيَّةٌ غامضةٌ لا نستطيع إدراكها بِعُقُولنا ؛ لأنها أعمق من أن تُجتلى !! ؛ وأغنى من أن تنثر !! ؛ نفسٌ تشع !! .

قَـد نَـامَ أَرْبَـابُ الغَـرَامْ !!
وَتَـدَثَّـرُوا لُحُفَ السَّلامْ !!
وَأَبَيْتِ يَـا نَفْسُ المَنَـامْ !!
أَفَأَنْتِ وَحْدَكِ تَشْعُرِينْ ؟!
اللَّيْـلُ مَـرَّ عَلَى سِـوَاكْ !!
أَفَمَـا دَهَـاهُـم مَـا دَهَاكْ ؟!
فَلِـمَ التَّـمَـرُّدُ وَالـعِـرَاكْ ؟!
مَـا سُورُ جِسْمِى بِالمَتِينْ !!

وبذا نسير إلى قلب الفكرة الفلسفيَّة التى ترى الجسم سجناً للنفس : فكرةٌ إغريقيَّةٌ قديمةٌ ؛ ومع هذا تُكسبها الحركة خِفَّة الشِّعر :

اللَّيْـلُ مَـرَّ عَلَى سِـوَاكْ !!

تقريرٌ يعقبه :

أَفَمَـا دَهَـاهُـم مَـا دَهَاكْ ؟!

استفهامٌ لا نستطيع أن نُدرك معناه !! ؛ وإن كان فى السؤال الآخر :

فَلِـمَ التَّـمَـرُّدُ وَالـعِـرَاكْ ؟!

ما يُشعر بأنه إنكاريٌّ ؛ وأخيراً تأتى القافلة :

مَـا سُورُ جِسْمِى بِالمَتِينْ !!

منفيَّةٌ مُؤكَّدةٌ ؛ فى قِمَّةٍ يقف عندها النَّفَسُ ويطمئن السيل الموسيقىُّ !! ؛

وهكذا بالمرور من الخبر إلى الإنشاء ثم العودة إلى الخبر؛ قد استطاع الشاعر أن يخلق تلك الحركة التى تُحاكى ما بنفسه من اضطراب .

وتُنصت إلى الموسيقى : فإذا هى أجمل ما فى القصيدة !! ؛ وفى الحقِّ أن شُعراء المهجر قد جدَّدوا موسيقى الشِّعر العربىِّ تجديداً يستحق أن نُطيل فيه النَّظر ؛ نحن الآن إزاء بحر تقليدىٍّ ((مجزوء الكامل)) ؛ ولكن انظر كيف استخدمه الشاعر ؟! ؛ فالوحدة لم تعد البيت ؛ بل المقطوعة : ((قَد نَام ... ؛ تَشْعُرِين ؟!)) ؛ وفى كُلِّ مقطوعةٍ نجد أربعة أشطر : الثلاثة الأُول يُقَفِّى بعضها البعض ؛ وأمَّا الشِّطر الرابع الذى نُسمِّيه ((القافلة)) ؛ فيُقِّفى القوافل الأُخرى ؛ وعلى هذا النحو تطرد القصيدة ؛ كُلُّ وِحْدَةٍ تتكوَّن إذن من ثمانى تفاعيل ؛ تسيل إلى أن تُوقفها القافلة النونيَّة السَّاكنة ؛ ثم تعود فتستأنف سيرها فى المقطوعة التالية ؛ إلى أن تقف .

وكان من دِقَّةِ إحساس الشَّاعر أن وقع على الكامل المتساوى التفاعيل ؛ وذلك لأن الإضمار ـ ((إسكان الثانى المُتحرِّك)) ـ ليس فى الحقيقة زحافاً ؛ وهو لا ينقص شيئاً من كَمِّ التفعيلة ؛ وإنما يستبدل مقطعين قصيرين ((متفاعلن)) بمقطعٍ واحدٍ مُغلق ((متفاعلن)) يبلغ فى الكَمِّ مبلغ المقطعين الآخرين ؛ وبهذا لا يتغيَّر فى التفعيلة المُزَحَّفَة غير الإيقاع بسبب التسكين ؛ وأما طول التفعيلة فيظل ثابتاً .

وإذا ذكرنا أن الإضمار : هو الزَّحَاف الكثير الدُّخول على الكامل ؛ وأن

الطَّىَّ : حذف الرَّابع السَّاكن ؛ لا يكاد يجتمع إلى الإضمار إلا فى التفعيلة الأُولى من الشِّطر الثانى .

وأنه فى تلك الحالة يغلب أن يعوضه التَّرْفِيل - « زيادة مقطع فى تفعيلة القافية » - ؛ إذا ذكرنا كُلَّ ذلك ؛ أدركنا أن هذا البحر من البُحُورِ المتساوية التفاعيل على نحو مُطَّرِد ؛ والكامل والوافر هما البحران الوحيدان اللذان تنطبق عليهما تلك الصفة ؛ ولربما كان فى ذلك سببٌ لتسمية الخليل لهما بهذين الاسمين ؛ ونُضيف أننا لم نعثر بِطَىٍّ فى القصيدة التى ندرسها الآن .

وإذا صحَّت مُلاحظتنا ؛ وَضُحَ السِّرُّ فى إيحاء هذا الوزن بالاطراد ؛ وَكُلُّ اطِّرَادٍ يُلائم الإضناء والحيرة اللذين يزيدهما وضوحاً طول المقطوعة ؛ وهى لا تقف عند سُكُون القافلة إلا لتعود من جديدٍ كأمواج البحر التى تتحطَّم تِبَاعَاً مرتدة عند صخر الشَّاطئ ؛ وهذا يُماشى بناء القصيدة المُكوَّنة من فُرُوضٍ مُتتابعةٍ وموجاتٍ نفسيَّةٍ مُتجدِّدةٍ ؛ وهذه وتلك يُطَوِّل نَفَسَها ويطَّرِد ؛ ثم تفنى ليعود غيرها إلى الظُّهور ؛ توفيقٌ رائعٌ إلى الملائمة بين مُوسيقى الشِّعر ومُوسيقى الإحساس !! ؛ بين الصياغة ونفس الشاعر !! ؛ ثم إن الاطراد هُنا لا ينتهى إلى الفَقْرِ والإملال كما يحدث أحياناً ؛ فقد عرف الشاعر كيف يتجنبه بالحركة الشِّعريَّة ؛ ثم بتقسيمه لتفاعيله الثمانية إلى أربع وحدات : ثلاث منها تفصل وتجمع بينها القوافى ؛ ثم يأتى سُكُون القافلة فيفصل ويجمع بين وحدات القصيدة كُلِّهَا .

وننظر فى اللفظ ؛ فتعرض لنا مُشكلةٌ طالما أثرناها فى مصر : هى أخذنا على شُعراء المِهْجَر ما نُسمِّيه « ضعف العربيَّة فى الأُسْلُوب » ؛ وهذه تُهمةٌ يجب أن نُقلع عنها ؛ لأننى كُلَّما أمعنت النَّظر فى ألفاظهم وتراكيبهم لم أجد لها مثيلاً فى شعرنا الحديث !! ؛ من حيث الدِّقَّة والقُدرة على إثارة الإحساس! .

نعم ؛ قد يُخطئون فى النَّحو أو الصرف ؛ ولكن هذه فى نظرى أشياء نادرة لها نظائرها عند أكبر الكُتَّاب ؛ وإلى اليوم لا يزال الفرنسيون يضربون المثل بفولتير فى الخطأ فى الإملاء ؛ وإنما يعيب الأُسْلُوب : عدم التحديد ؛ أو العجز عن الإيحاء ؛ وتلك عُيُوبٌ لا وجود لها فى شعرهم ؛ أمَّا استخدامهم للألفاظ المألوفةِ فلست أرى فيه موضع ضعفٍ ؛ بل قُوَّة ؛ وذلك لأن الألفاظ المألوفة ـ ولا أقول المُبْتَذَلَة ـ هى التى تستطيع فى الغالب أن تستنفد إحساس الشَّاعر ؛ كما أنها أقدر من الألفاظ المهجورة على دفع مشاعرنا إلى التداعى ؛ وقد كثر استعمالنا لها فى الحياة ؛ فتحدَّدت معانيها وتلوَّنت بلون نفوسنا ؛ فحملت شُحنةً عاطفيَّةً ؛ وهذه صفات من أُولى خصائص الأُسْلُوب الشِّعرىِّ ؛ بل أُسْلُوب الأدب بوجهٍ عام ؛ وها نحن نسمع عريضة يقول :

أَفَمَا دَهَاهُم مَا دَهَاكْ ؟!

فنُدرك « الدَّاهِيَة » التى لها وقعٌ مُتميِّزٌ فى نُفُوسنا :

أَطْلَقْتِ نَوْحَكِ لِلظَّلامْ !!

إِيَّاكِ يَسْمَعُكِ الأَنَامْ !!
فَيَظُنُّ زَفْرَتَكِ النِّيَامْ !!
بَوْقُ النُّشُورِ لِيَوْمِ دِينْ !!

وهذا بلا رَيْبٍ إسرافٌ فى الصُّور ؛ لا نُنكر أنه قلق ؛ وأن نغماته أقوى من الهمس ؛ فيه مُبالغةٌ تُخرجنا عن الأُلفة ؛ ونحن لا نكاد نتصوَّر كيف يصف نوح النَّفْس إلى أن يكون :

بَوْقُ النُّشُورِ لِيَوْمِ دِينْ !!

ولا نرى ضرورةً لهذا العُنف فى التَّعبير ؛ ولكن هذا قليل .

يَا نَفْسُ مَالَكِ فِى اضْطِرَابْ؟!
... ؛ كَفَرِيسَةٍ بَيْنَ الذِّئَابْ؟!
هَلاَّ رَجَعْتِ إِلَى الصَّوَابْ؟!
. ؛ وَبَدَلْتِ رَيْبَكِ بِاليَقِينْ؟!
.... ؛ أَحَمَامَةٌ بَيْنَ الرِّيَاحْ؟!
قَد سَاقَهَا القَدَرُ المُتَاحُ؟!
... ؛ فَابْتَلَّ بِالمَطَرِ الجَنَاحْ؟!
؛ يَا نَفْسُ مَالَكِ تَرْجُفِينْ؟!

أسئلةٌ مُتدفِّقةٌ تُوحى بما فى نفس الشاعر من حيرةٍ ؛ وصورٌ جميلةٌ دَالَّـةٌ !! ؛ النَّفْسُ المُضطربة كفريسةٍ بين الذئاب ؛ النَّفْسُ التى ترجُفُ كحمامةٍ بين الرِّياح قد بَلَّ المطر جناحها.

وفى اختيار الألفاظ ذوقٌ دقيقٌ ودليلٌ واضحٌ على أن الشَّاعر يرى ما يقول ؛ وهل أدل على تلك الرُّؤية الشِّعريَّة من أن نراه بعد أن يصف حالات النفس يلتفت إليها فجأة فيُخاطبها وكأنها قد تجسَّمت أمامه فريسة تضطرب بين الذِّئاب أو حمامة بلَّلها المطر وسط الرِّياح؟! :

أَومَا لِحُزْنَكِ مِن بَرَاحْ؟!
حَتَّى وَلَو أَزِفَ الصَّبَاحْ؟!
يَا لَيْتَ سِرَّكِ لِى مُبَاحْ!!
لأَعِى صَدَى مَا قَد تَعِينْ!!

والشاعر لا يُحِسُّ فى وضُوحٍ بغير حُزنه ؛ وأمَّا السِّرُّ فى ذلك ؛ فتراه يتساءل عنه وهو بَعْدُ لا يعلم أتعرفه نفسه أم لا!! ؛ أولا تراه يقول :

لأَعِى صَدَى مَا قَد تَعِينْ!!

فهى قد تعى شيئاً ؛ وهو ـ إذا أباحت له سِرَّهَا ـ لن يتسطيع أن يعى منه غير الصدى !! :

أَسَبَتْكِ أَرْوَاحُ القَتَامْ ؟!
فَأَرَتْكِ مَا خَلْفَ اللِّثَامْ ؟!
فَطَمِعْتِ فِيمَا لا يُرَامْ ؟!
يَا نَفْسُ كَم ذَا تَطْمَحِينْ ؟!

وهُنا ندخل فى سلسلةٍ من الفُرُوض الشِّعريَّة ؛ يُريد بها الشَّاعر أن يحاول الفهم ؛ وهو فى الحَقِّ يكاد يكون يائساً منه ؛ وإنما هو إحساسُ نفسٍ قلقةٍ تطمع فيما لا يُرام !! ؛ وكأنى بها قد استشرفت يوماً أسرار الوجود !! ؛ ثم كم فى التفاته :

يَا نَفْسُ كَم ذَا تَطْمَحِينْ ؟!

من نفاذٍ يصل إلى القُلُوب !! :

أَصَعَدتِ فِى رَكْبِ النُّزُوعْ ؟!
حَتَّى وَصَلْتِ إِلَى الرُّبُوعْ ؟!
.. ؛ فَأَتَاكِ أَمْرٌ بِالرُّجُوعْ ؟!
؛ أَعَلَى هُبُوطَكِ تَأْسَفِينْ ؟!

وتلك نغمات أفلاطون الشِّعريَّة الجميلة يوم حدَّثنا عن هُبُوط النَّفْس من عالم المثل الذى لن تستطيع أن تُغالب الحنين إليه ؛ وَلَكَم جرت بذلك أنفاس

الشعراء مُنْذُ:

هَبَطَت إِلَيْكَ مِنَ المَحِلِّ الأَرْفَعِ.(١)

« إلى الإنسان: مَلَكٌ هَوَى؛ فما يزال يذكر السَّماء »؛ مُنذ ابن سينا إلى لامرتين:

أَم شَاقَكِ الذِّكْرُ القَدِيمْ ؟!
ذِكْرُ الحِمَى قَبْلَ السَّدِيمْ ؟!
فَوَقَفْتِ فِى سَجْنِ الأَدِيمْ ؟!
نَحْوَ الحِمَى تَتَلَفَّتِينْ ؟!

---

(١) ـ قَالَ نِزَار شَاهِين:

هِيَ قَصِيدَةٌ طويلةٌ؛ وصاحبُها هو أبو علىّ الحُسَيْن بن عبد الله بن الحُسَيْن بن سينا؛ الفيلسوف الشَّهير؛ ومطلعها:

هَبَطَت إِلَيْكَ مِنَ المَحِلِّ الأَرْفَعِ
... ؛ وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ.
مَحْجُوبَةٌ عَن كُلِّ مُقْلَةِ عَارِفٍ
وَهِيَ الَّتِى سَفَرَت وَلَم تَتَبَرْقَعِ.
وَصَلَت عَلَى كُرْهٍ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا
كَرِهَت فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفَجُّعِ.

ـ انظُر: « حَيَاة الحيوان الكُبْرَى »؛ (جـ٢ / ٥٤٠)؛ « الكشكُول »؛ (جـ٢/ ٢٥).

أَأَضَعْتِ فِكْرًا فِى الفَضَاءْ ؟!
.. ؛ فَتَبِعْتِهِ فَوْقَ الهَوَاءْ ؟!
فَنَأَى وَغَلْغَلَ فِى العَلاءْ ؟!
فَرَجَعْتِ ثَكْلَى تَنْدُبِينْ ؟!
أَسَلَكْتِ فِى طُرُقِ الخَيَالْ ؟!
دَرْبًا يَقُودُ إِلَى المُحَالْ ؟!
فَحَطَتِ رَحْلَكِ عِنْدَ آلْ ؟!
؛ يَمْتَصُّ رِىَّ الصَّادِرِينْ ؟!

فُرُوضٌ لا شك من تصورات العقل ؛ ومع ذلك تنجو بها الصُّور من البُرُود ؛ فالنَّفْسُ تُطِلُّ من سجنها نحو الحمى ((مُتلفتة)) فى لهفة ؛ وهى تُحلِّق فى الهواء ؛ كمن يبحث عن مفقودٍ لا يجده ؛ فتعود حزينة ((ثكلى تندب)) مسرفة مُبْتَذَلَة ؛ وهى تسلك فى عالم الخيال درباً يقُود إلى المُحال ؛ ثم تحط رحالها عند سراب :

((يَمْتَصُّ رِىَّ الصَّادِرِينْ ؟!))

وهذه صورةٌ بالغة الجمال والقُوَّة ؛ فالسَّراب الذى وصلت إليه لم يكتف بأن أسفر عن خلاء ؛ بل سلبها ما تملك وامتص رِيَّهَا ؛ فصدرت عنه أشد ظمأً منها عند الورُود :

فَنَسِيتِ قَصْدَكِ وَالطِّلابْ !!

وَوَقَفْتِ يَذْهَلُكِ السَّرَابْ !!
وَهَرِقْتِ فَضْلاتِ الوطَابْ !!
... ؛ طَمَعَاً بِمَاءٍ تَأْمَلِينْ ؟!

استقصاءٌ للصُّورة واستمرارٌ فيها ؛ وهو مذهبٌ قديمٌ عند كبار الشُّعراء ؛ إذ نراه من أهم خصائص شعر هوميروس الذى يُشَبِّه البشر بأوراق الخريف فى إحدى أغانيه ؛ فيرى فى تساقطها ما يحكى فناءنا ؛ ثم يُتابع التشبيه ؛ فيذكر نُهُوض الأجيال بعضها فى أعقاب بعضٍ ؛ كما تُخَلِّفُ الأوراق غيرها ؛ وهو واضحٌ عند بعض شُعرائنا ؛ كذى الرُّمَّة الذى يصف إشعال النَّار ؛ فيستقصى المراحل ويُتابع الصُّورة ؛ وكابن الرُّومىِّ الذى يضرب المثل بوصفه لصانع الرُّقاقة.

ومع ذلك فَثَمَّة مُفارقات ؛ فوصف ذى الرُّمَّة لإشعال النَّار ؛ ووصف ابن الرُّومىِّ لدحو الرُّقاقة : حرصٌ على التفاصيل التى تُتمِّم اللوحة وتُكسبها غنى الواقع ؛ وأما استمرار هوميروس أو استمرار عريضة الآن فهو فى خدمة الفكرة أو الإحساس ؛ وهذا أُسْلُوبٌ فى الكتابة له جماله :

حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ الأُوَامْ
وَالآلُ أَسْفَرَ عَن رُكَامْ
غَيَّبْتِ رَأْسَكِ كَالنَّعَامْ !!
فِى رَمْلِ قَلْبِى تَحْفُرِينْ !!

وهكذا تأتى الصُّورة الجميلة الدَّالة ؛ ينتزعها الشَّاعر من مُعطيات حواسه المُباشرة ؛ فتكسو الفكرة بأغشية الشِّعْر ؛ وتنشر أمامنا مناظر يُدركها الخيال ؛ بل تهتزُّ لها النَّفْس.

وتنتقل إلى فرض آخر يُودعه الشَّاعر صُوراً جديدةً :

أَعَشِقْتِ مِثْلَكِ فِى السَّمَاءْ؟!

. ؛ أُخْتَاً تَحُنُّ إِلَى اللِّقَاءْ؟!

فَجَلَسْتِ فِى سَجْنِ الرَّجَاءْ؟!

نَحْوَ الأَعَالِى تَنْظُرِينْ؟!

وهنا نلمس الإغراب ؛ ونلمس المعانى البعيدة والصورة المُقتسرة : «فَالجُلُوسُ فِى سَجْنِ الرَّجَاء » ليس من الشِّعر القريب الحبيب إلى النَّفْس.

ولكن لنعد عن ذلك إلى ما يليه :

لَوَّحْتِ بِاليَدِ وَالرِّدَاءْ

لِتَرَاكِ لَكِن لا رَجَاءْ !!

لَم تَدْرِ أَنَّكِ فِى كِسَاءْ ؟!

قَد حِيكَ مِن مَاءٍ وَطِينْ !!

وننظر فإذا بالصُّورة الجميلة المألوفة :

لَوَّحْتِ بِاليَدِ وَالرِّدَاءْ

تتجسم أمام أبصارنا ؛ وبذلك ترفع من سقطة البيت السابق ؛ وأما الكساء

الذى يحُاك من ماءٍ وطينٍ ؛ فصورةٌ بعيدةٌ ؛ وأصدق الصُّور ما كانت مُمكنة فى الواقع إن لم تُنتزع منه فعلاً :

أَتَحُولُ دُونَكُمَا حَيَاهْ ؟!
لَو كَانَ يَبْلُوهَا الإِلَهْ ؟!
لَبَكَى عَلَى بَشَرٍ بَرَاهْ !!
رَحِمَاً يُصَارِعُهَا الجَنِينْ !!

وهذا استمرارٌ لفكرة النَّفس السجينة التى ؛ لو بلا الله أمرها ؛ لأخذته بأصحابها الشفقة فبكى !! ؛ النفس فى الجسم تُصارعه كالجنين فى الرَّحِم ؛ معنىً بعيدٌ وصورةٌ بعيدةٌ ؛ وإن لم تخلُ من قُوَّةٍ .

يَا نَفْسُ أَنْتِ لَكِ الخُلُودْ !!
وَمَصِيرُ جِسْمِى لِلحُودْ !!
سَيَعِيثُ عَيْثُكِ فِيهِ دُودْ !!
..... ؛ فَعَلامَ لا تَتَرَفَّقِينْ ؟!

والآن ؛ تنتهى الأفكار الفلسفيَّة وما جرَّت الشاعر إليه من صُورٍ بعضها قوىٌّ مُوفَّقٌ وبعضها مُقْتَسَرٌ بعيدٌ ؛ وذلك لما فى طبيعة شعر الفكرة من مُجازفةٍ خَطِرَةٍ لم يسلم منها أحدٌ من الشُّعراء ـ فيما أعتقد ـ ؛ حتى ولو كان الشاعر شيلى أو فليرى .

ولكننا لا نكاد نصل إلى الإحساس الخالص والصُّور التى تُصاغ للعبارة عنه

حتى نرى فى نسيب عريضة شاعراً كبيراً .

يَا نَفْسُ هَل لَكِ فِى النِّضَالْ !!
؛ فَالـجِسْمُ أَعْيَاهُ الـوِصَالْ !!
... ؛ حَمَّلْتِهِ ثِقْلَ الـجِبَالْ !!
..... ؛ وَرَذَلْتِهِ لا تَحْفُلِينْ ؟!
عَطَشٌ وَجُـوعٌ وَاشْتِيَـاقْ !!
. ؛ أَسَـفٌ وَحُـزْنٌ وَاحْتِرَاقْ !!
يَا وَيْحَ عَيْشِى هَل تُطَاقْ ؟!
... ؛ نَزَعَاتُ نَفْسٍ لا تَلِينْ ؟!

ونُمرُّ من الإحساس إلى الصُّور العاطفيَّة ؛ فيبلغ الشاعر قِمَّة المجد .

وَالقَلْبُ وَاأَسْفِى عَلَيْه !!
كَالطِّفْلِ يَبْسُطُ لِى يَدَيْه !!
؛ هَلاَّ مَدَدتِ يَداً إِلَيْه ؟!
كَالأُمَّهَاتِ إِلَى البَنِينْ ؟!

ها هو الشَّاعر قد انطلقت نفسه وتحرَّكت حياته كُلُّهَا ؛ ونسيب عريضة من أولئك المُجاهدين الذين نزحوا إلى العالم الجديد يُجالدون فى سبيل الحياة ؛ وفى قسوة تلك المُجالدة ما لا يترك لهم راحة ولا سبيل إلى الأخذ من لذَّات الوجود بنصيب !! ؛ مأساةٌ خليقةٌ بأن تُنطقهم بأنبل الشعر ؛ ونسمعه فإذا هو

كخير ما نعرف من شعرٍ رومانتيكىٍّ ؛ لا شعر أُولئك الشُّعراء الصِّغار الذين اتخذوامن الرومانتيكيَّة مذهباً أدبيًّاً يتصنَّعون فيه النَّحيب ؛ بل كبارهم الذين صدروا عن حالاتٍ نفسيَّةٍ صادقةٍ.

ثُمَّ ؛ أىُّ بساطةٍ مُؤثِّرةٍ فى هذه الصورة الجميلة؟! : صُورة القلب الذى يبسط يديه كالطفل !! ؛ والشاعر الذى يرجو نفسه المأخوذة بروعة الجهاد والتحليق فى عالم المُثُل !! ؛ أن : « تمد إليه يداً كالأُمَّهات إلى البنين » ؛ صورةٌ ساذجةٌ ولكن كم فيها من إنسانيَّة !! كم فيها من جمال !! كم فيها من قُـرْبٍ إلى النُّفُوس!! .

وتستمر الصُّورة :

.... ؛ غَـذَّيْتِهِ مُـرَّ الفِطَـامْ !!
. ؛ وَحَـرَمْتِهِ ذَوْقَ الغَـرَامْ !!
وَصَنَعْتِ شَيْخَاً مِن غُلامْ !!
؛ يَحْبُو عَلَى بَـابِ السِّنِينْ !!

ومن مِنَّا لا تهزُّه هذه الصورة الأخيرة؟! : صُورة الغُلام الذى يحبو على باب السنين ولمَّا يلج أبوابها وقد جعلت منه النفس القاسية شيخاً؟!

... ؛ فَغَـدَا كَحَفَّـارِ القُبُـورْ !!
يَئِدُ العَوَاصِفَ فِى الصُّدُورْ !!
. ؛ وَيَبِيتُ يَهْتِفُ بِالثُّبُورْ !!

؛ يَشْكُو إِلَيْكِ وَتَشْمُتِينْ ؟!

وهُنا يجب أن نقف عند البيت الأول : فالغُلام قد أصبح كحفَّار القُبُور ؛ وهذا تشبيهٌ يقبض النَّفْسَ وَيَهُزُّ كيانها والحفَّار يئد العواصف !! ؛ يئدها ؟! ؛ وإذن ؛ فهى لا تكاد تنمو ؛ بل لا تكاد تظهر حتى يُسارع بها إلى الدَّفن حيَّة ؛ والعواصف شىءٌ قوىٌّ مُدَوٍّ ؛ لأنها شهوات القلب المكبوت الذى يَهِمُّ بالانفجار كُلَّمَا طال به الضيق ؛ أليس فى وأد العواصف قُوَّة الشِّعرِ وهو يئدها فى الصدور؟!

أَعْمَى تُطَاعِنُهُ الشُّجُونْ !!

وَجِرَاحُهُ صَارَت عُيُونْ !!

وَبِهَا يَرَى سُبْلَ المَنُونْ !!

فَيَسِيرُ سَيْرَ الظَّافِرِينْ !!

ولقد يكون فى مُطاعنة الشُّجُون واستحالة الجراح عُيُوناً يسير بها الشاعر فى سُبُل المَنُون سير الظافرين ـ الذين يعتبرون الموت غنيمة ـ من القوة ما يكاد يمس المُبالغة البعيدة أو تكلُّف الأداء ؛ ولكنَّنا مع ذلك لا ننفر من الصُّورة .

حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَ المُرَادْ

تُطْلَى رُؤَاهُ بِالسَّوادْ

فَيَعُودُ أَعْمَى لا يُقَادْ !!

؛ إِلاَّ بِعُكَّازِ الحَنِينْ !!

وهو رغم إحساسه بالظفر لا يلبث عندما يصل إلى نهاية الشوط أن يضطرب بصره فتطلى رُؤاه بالسَّواد ؛ وقد عاوده ضعف البشر ؛ فإذا به يُقاد بِعُكَّازِ الحنين !! ؛ وهذه حقائقٌ نفسيَّةٌ صادقةٌ رغم ما حولها من ضباب الشِّعر ؛ وفى طُرُق أدائها بساطةٌ جميلةٌ وبخاصةٍ فى : « عُكَّاز الحَنِين » يتكئ عليه مُتَحَسِّسَاً سبيله ؛ ونحن إذا جمعنا بين هذه المقطوعة وسابقتها استطعنا أن نفهم إسرافه فى الأولى ؛ إذ نُدرك ما يرمى من إظهار المُكابرة التى تُموِّه ما فينا من ضعف .

يَتَلَمَّسُ النُّورَ البَعِيدْ !!
بِأَنَامِلِ الفِكْرِ الشَّرِيدْ !!
وَيَسِيلُ مِن فَمِهِ النَّشِيدْ !!
سَيْلَ الدِّمَاءِ مِنَ الطَّعِينْ !!

فى البيت الأول صُورةٌ دالَّةٌ ؛ صورة الشَّاعر وهو :

يَتَلَمَّسُ النُّورَ البَعِيدْ !!
بِأَنَامِلِ الفِكْرِ الشَّرِيدْ !!

تجسيمٌ جميلٌ يرتكز فى « الأنامل التى تتلمس » .

وفى البيت الثانى يتحدَّث الشاعر عن نشيده ؛ ولكنه غير حديث شُعرائنا عن قصائدهم الخطابيَّة القيمة ؛ فالنشيد يسيل من فمه كما تسيل الدماء من الطعين ؛ يسيل لأن الشاعر يتألم ؛ لا لأنه يريد أن يخلع الخلود على عباد الله ؛ أو لأن الآلهة قد اختصته بِمَلَكَة الشِّعر .

... ؛ أَرَأَيْتِ بَيْتَ العَنْكَبُوتْ ؟!

..... ؛ وَذُبَابَةً فِيهِ تَمُوتْ ؟!

رَقَصَت عَلَى نَغَمِ السُّكُوتْ ؟!

.. ؛ أَلَمَاً فَلَم يُغْنِ الطَّنِينْ ؟!

؛ فَكَذَاكَ فِى شَرَكِ الرَّجَاءْ !!

..... ؛ قَلْبِى يَلَذُّ لَهُ الغِنَاءْ !!

.. ؛ مَا ذَاكَ شَدْواً بَل رِثَاءْ !!

. ؛ يَبْكِى بِهِ الأَمَلَ الدَّفِينْ !!

وبذا يُحَدِّثُنا عمَّا نحسه فى نشيده : صوت الألم ؛ ورثاءٌ يبكى به الأمل الدفين.

وأخيراً ؛ نعود إلى الفكرة ؛ فإذا بالرُّوح تصعد :

يَا نَفْسُ إِن حُمَّ القَضَاءْ !!

وَرَجَعْتِ أَنْتِ إِلَى السَّمَاءْ !!

وَعَلَى قَمِيصَكَ مِن دِمَاءْ !!

. ؛ قَلْبِى فَمَاذَا تَصْنَعِينْ ؟!

ضَحَّيْتِ قَلْبِى لِلوصُولْ !!

وَهَرَعْتِ تَبْغِينَ المُثُولْ !!

فَإِذَا دُعِيتِ إِلَى الدُّخُولْ ؟!

... ؛ فَبِأَىِّ عَيْنٍ تَنْظُرِينْ ؟!

وتعود الصور ـ وقد بعُدنا عن حياتنا الأرضيَّة ـ فترفع من استواء الفكرة ـ كما قُلنا ـ : ((فالدَّم على قميص النَّفْس)) ؛ و : ((العين التى ستنظر بها إذا دُعيت إلى الدُّخول أمام الله)) : كُلُّ هذا صورةٌ قريبةٌ تزيد من روحانيَّة هذه الخاتمة الجميلة ؛ وتُقوِّى من إحساسنا بذلك الصراع العنيف الذى يدور بنفس الشَّاعر وقد ألقت به الحياة إلى الجهاد المستمر.

والآن ؛ قد يتساءل القارئ : لِمَ استطاع شُعراء المِهْجَر ما لم يستطعه غيرهم؟! جوابى ؛ هو : لأنهم قد يكونون من بلاد تحُرِّك مناظرها الجبليَّة من الخيال ما لا تحُرِّكه السُّهول ؛ ومن جنسٍ يشهد له التاريخ بالنُّزوع إلى المُغامرة والتوثُّب ؛ ثُمَّ إن غربتهم بأمريكا وكفاحهم من أجل الحياة قد أرهف حِسَّهُم وقوَّى من نفوسهم.

وأخيراً ـ وهذا هو السبب المهم ـ لأنهم قومٌ مُثقَّفُون ؛ قد أمعنوا النَّظر فى الثقافات الغربيَّة التى لا غنى لنا اليوم عنها ؛ وعرفوا كيف يستفيدون منها بعد أن هضموها فى لُغاتها الأصليَّة ؛ فهم إذن ليسوا كأولئك الذين يُسرفون فى الغُرُور عن جهلٍ وكسلٍ ؛ ظانِّين أن الأدب فى مُتناول كُلِّ إنسان ؛ وأن كُلَّ كلامٍ منظومٍ شعر.

الثقافة هى التى تُشِعُّ فى ألفاظ هؤلاء الشُّعراء ؛ وإنك لتقرأ الجُملة لهم

فتحس أن خلفها ثروة من التفكير والإحساس.﴾..(١).

ثُمَّ:

قَالَ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور - فِى صَدْرِ كِتَابِهِ المَذْكُور -:

« ووقع اختيارى على بعضٍ من قصائد وكتابات لأُدباء المِهْجَر؛ وأحسست فى أدبهم من الصِّدْقِ والأُلفة ما وقع فى نفسى موقع الأسرار التى يتهامس بها الناس؛ وأكبر الظَّنِّ أن الكذب فى التهامس أقلُّ بكثيرٍ منه فى الجهر؛ ولربما كانت هذه الحقيقة النفسيَّة هى السبب الأوَّل فى تسميتى لهذا الأدب بـ: المهموس.» .(٢).

(١) - أنتهى ما أردناهُ من كلامِ الدُّكتُور مُحَمَّد مندور.

(٢) - «فى الميزان الجديد»؛ (ص: ٦).

وبعد:

هذهِ هىَ نظريَّة الدُّكتور مُحَمَّد مندور عن ﴿ الشِّعْر المَهْمُوس ﴾ ؛ وما أعيبُ عليهِ من شىءٍ بصددِ العَرْضِ وَالتَّناولِ ؛ وإِنَّما أرى أنَّهُ غَفَلَ عن أمثلةٍ شعريَّةٍ هى أقربُ ما تكُون لطبيعةِ ما دعا إليه ... ؛ تأمَّل قصيدة « أخى ! » لميخائيل نعيمة ؛ وردِّد أبياتها مرَّةً أُخرى بلا انقطاعٍ ولا توقُّفٍ :

أَخِى !! إِن ضَجَّ بَعْدَ الحَرْبِ غَرْبِىٌّ بِأَعْمَالِهْ
وَقَدَّسَ ذِكْرَ مَن مَاتُوا وَعَظَّمَ بَطْشَ أَبْطَالِهْ
فَلا تَهْزَج لِمَن سَادُوا وَلا تَشْمَت بِمَن دَانَا
بَل ارْكَع صَامِتَاً مِثْلِى بِقَلْبٍ خَاشِعٍ دَامٍ
.. ؛ لِنَبْكِى حَظَّ مَوْتَانَا
أَخِى !! إِن عَادَ بَعْدَ الحَرْبِ جُنْدِىٌّ لأَوْطَانِهْ
وَأَلْقَى جِسْمَهُ المَنْهُوكَ فِى أَحْضَانِ خِلاَّنِهْ
فَلا تَطْلُب إِذَا مَا عُدتَ للأَوْطَانِ خِلاَّنَا
لأَنَّ الجُوعَ لَم يَتْرُك لَنَا صَحْبَاً نُنَاجِيهم
سِوَى أَشْبَاحِ مَوْتَانَا !!
أَخِى !! إِن عَادَ يَحْرُثُ أَرْضَهُ الفَلاَّحُ أَو يَزْرَعْ
وَيَبْنِى بَعْدَ طُولِ الهَجْرِ كُوخَاً هَدَّهُ المِدْفَعْ
فَقَد جَفَّت سَوَاقِينَا ؛ وَهَدَّ الذُّلُّ مَأْوَانَا

وَلَم يَتْرُك لَنَا الأَعْدَاءُ غَرْسَاً فِى أَرَاضِينَا
سِوَى أَجْيَافِ مَوْتَانَا !!
أَخِى !! قَد تَمَّ مَا لَو لَم نَشَأْهُ نَحْنُ مَا تَمَّا
وَقَد عَمَّ البَلاءُ وَلَو أَرَدْنَا نَحْنُ مَا عَمَّا
فَلا تَنْدُب فَأُذْنُ الغَيْرِ لا تُصْغِى لِشَكْوَانَا
بَل اتْبَعْنِى لِنَحْفُر خَنْدَقَاً بَالرَّفْشِ وَالمِعْوَل
نُوَارِى فِيهِ مَوْتَانَا !!
أَخِى!! مَن نَحْنُ !! لا وَطَنٌ وَلا أَهْلٌ وَلا جَارُ
إِذَا نِمْنَا ؛ إِذَا قُمْنَا... ؛ رِدَانَا الخِزْىُ وَالعَارُ
لَقَد خَمَّت بِنَا الدُّنْيَا ؛ كَمَا خَمَّت بِمَوْتَانَا
فَهَاتِ الرَّفْشَ وَاتْبَعْنِى ؛ لِنَحْفُر خَنْدَقَاً آخِر
نُوَارِى فِيهِ أَحْيَانَا !!

أليست أقرب إلى الشعر الخطابىِّ الرنَّان منها إلى الشعرِ المهمُوس ... ؛ قصائدُ الشعر المهمُوس لا تُلْقَى بخطابيَّةٍ وإن رُمْتَ ذلك وحاولتهُ ؛ ومن أراد ذلكَ فلن يخرج فى النِّهاية إلاَّ بما يُضحك أصحاب الآذان !! ... ؛ نعم ؛ هذه القصيدة فيها شىءٌ من الهمس ؛ ولكنَّها لا تُعبِّرُ تعبيراً قُويَّاً إذا ما جىء بها فى مقامِ الاستشهادِ والتَّمثيل ... ؛ والذى أَراه : أنَّ الدُّكتور مُحَمَّد مندُور ؛ لو تأمَّلَ أشعار الشَّاعر المهجرىّ جُبران خليل جُبران : لوجد فيها خير ما يصلُح

للمجىءِ بهِ كأمثلةٍ للشعر المهمُوس .

فَشاعريَّة جُبران ؛ لا يُقالُ فيها أكثرَ ممَّا قد قِيل سَلَفَاً فِى النَّزْعَةِ الشِّعْرِيَّةِ عند أُدباءِ المهجر.

نعم ؛ عند ميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضى ما يصلُحُ للاستشهادِ بهِ فى هذا المقام ؛ وَلَكنَّكَ تجدُ كثرةً كاثرةً من القصائدِ التى تُوافقُ نظريَّة الشِّعر المهموس عند جُبران ؛ وهذا هو الذى دعانا لإثباتِ عددٍ من قصائدهِ هاهُنا للاستشهادِ بها فى هذا الموضع ؛ ثُمَّ أتينا بعد ذلكَ بما وقفنا عليه ونالَ إعجابنا من أشعارِ غيرهِ ممَّا يُوافق أُصُول هذه النَّظريَّة الفريدة .

✿ ـ جُبْرَان خَلِيل جُبْرَان

﴿ السادس من يناير ١٨٨٣م ـ العاشر من إبريل ١٩٣١م ﴾

۞ ـ جُبْرَان خَلِيل جُبْرَان

فيلسوفٌ وشاعرٌ وكاتبٌ ورسَّامٌ ىٌّ أمريكىٌّ .

وُلِدَ فى السَّادس من يناير عام ١٨٨٣م فى بلدة بشرى بشمال لُبنان ؛ وتُوفِّى فى نيويورك فى العاشر من إبريل سنة ١٩٣١م بداء السُّل.

ويُعرف أيضاً بخليل جُبران ؛ وهو من أحفاد يوسف جُبران المارونىِّ البشعلانىِّ.

هاجر وهو صغيرٌ مع أُمِّهِ وإخوته إلى أمريكا عام ١٨٩٥م ؛ فدرس فيها الفنَّ وبدأ مشواره الأدبى.

اشتهر عند العالم الغربىِّ بكتابه الذى تمَّ نشره عام ١٩٢٣م ؛ وهو كتاب « النبى » .

وجُبران هو الشاعر الأفضل مبيعاً بعد شكسبير ولاوزى.

ـ حياته فى لُبنان

وُلِدَ جُبران لعائلةٍ مارونيَّةٍ فى بلدة بشرى فى شمال لُبنان ؛ كانت أُمُّهُ كاميليا فى الثلاثين من عُمرها عندما ولدته ؛ ووالدهُ خليل كان هو الزوج الثالث لها.

كانت عائلته فقيرة ؛ فلذلك لم يستطع الذهاب للمدرسة ؛ وبدلاً من ذلك كان أحدُ القساوسة يأتى لجُبران إلى المنزل ويُعلِّمه الإنجيل والعربيَّة

والسُّريانيَّة.

فى سنة ١٨٩١ م تقريباً سُجِنَ والد جُبران بتُهمة اختلاسٍ ؛ وتمَّت مُصادرة أملاكه ؛ ثُمَّ كان إطلاق سراحه فى ١٨٩٤م.

فى الخامس والعشرين من يونيو ١٨٩٥م : قررت كاميليا الذهاب مع أخوها لأمريكا ـ وتحديداً نيويورك ـ وأخذت معها كُلاًّ من : جُبران ؛ وماريانا ؛ وسلطانه ؛ وعمه بطرس.

ـ فى أمريكا :

سكنت عائلة جُبران فى بُوسطن ؛ وبالخطأ تمَّ تسجيل اسمه بالمدرسة : خليل جبران.

بدأت أُمُّهُ بالعمل خيَّاطة مُتجوِّلة ؛ أما جُبران فبدأ بالذهاب للمدرسة فى سبتمبر ١٨٩٥م ؛ ووضعه المسؤولون فى المدرسة فى فصلٍ خاصٍّ للمُهاجرين لتعلُّم الإنجليزيَّة.

والتحق أيضاً بمدرسة فُنُون قريبة من منزلهم ؛ وكان هناك مُدرِّسٌ فى مدرسة الفنون يُدعى فريد هولاند دى ؛ وهو الذى شجَّع جُبران ودعَّمه لَّما رأى محاولاته الإبداعيَّة.

حينما كانَ فى الخامسةِ عشرة ؛ عاد مع عائلته إلى بيروت ؛ ودرس فى مدرسةٍ إعداديَّةٍ مارونيَّةٍ ومعهد تعليمٍ عالٍ يدعى الحكمة.

بقى جُبران فى بيروت سنوات عدَّة قبل أن يعود إلى بوسطن فى العاشر من مايو ١٩٠٢م ؛ وقبل عودته بإسبوعين توفيت أخته سلطانه بمرض السُّل ؛ وبعد سنة من وفاتها توفِّىَ بُطرس بنفس المرض ؛ ثُمَّ توفِّيت أُمُّهُ بعد مُعاناتها من مرض السرطان ؛ أمَّا أُخته ماريانا ؛ فهى الوحيدة التى بقيت معه.

ـ الرابطة القلميَّة :

أسَّسَ جُبران خليل جُبران الرابطة القلميَّة مع كُلٍّ من : ميخائيل نعيمة ؛ وعبد المسيح حدَّاد ؛ ونسيب عريضة.

كانت فكرة الرابطة القلميَّة تهدُفُ إلى تجديد الأدب العربىِّ وإخراجه من المُستنقع الآسن ـ كما يروى إسكندر نجَّار عن كتابه الذى قام بتأليفه عن جُبران خليل جُبران ؛ والذى يحمل اسم « جُبْرَان خَلِيل جُبْرَان »ـ

ـ فنُّهُ وأدبُه :

كانت كتابات جُبران تتمثَّلُ فى اتِّجاهين :

أحدهما يأخذ بالقُوَّة ويثور على عقائد الدين.

والآخر يتتبَّع المُيُول ويحب الاستمتاع بالحياة.

ـ مُؤلَّفاته :

أ ـ باللُّغة العربيَّة

١ـ دمعة وابتسامة

٢ـ الأرواح المُتمرِّدة

٣ـ الأجنحة المُتكسِّرة

٤ـ العواصف (رواية)

٥ـ البدائع والطرائف : مجموعة من مقالات وروايات تتحدَّث عن مواضيع عديدة لِمخاطبة الطبيعة

٦ـ عرائس المُروج

٧ـ نُبذةٌ فى فنِّ المُوسيقى

٨ـ المواكب

ألَّف باللغة الإنجليزيَّة :

١ـ النَّبىّ : مُكوَّنٌ من ٢٦ قصيدة شعريَّة ؛ وتُرجم إلى ما يزيد على ٢٠ لُغة.

٢ـ المجنون

٣ـ رمل وزبد

٤ـ يسوع ابن الانسان.

٥ـ حديقة النبىّ

٦ـ أرباب الأرض

ـ وفاته :

obeikandi.com

تُوفِّىَ جُبران خليل جُبران فى نيويورك فى العاشر من أبريل سنة ١٩٣١م. كانت يُرِيد أن يُدفن فى لبنان ؛ فتحقَّقت رغبتهُ فى ١٩٣٢م ؛ وَدُفِنَ فى صومعته القديمة فى لُبنان ؛ فيما عُرِفَ بعد ذلك باسم : « متحف جُبران ».

- كلمةٌ على قبره

أراد جُبران خليل جُبران أن تُكتب هذه الكلمة على قبره :

﴿ أنا حىٌّ مثلك ؛ وأنا واقفٌ الآن إلى جانبك ؛ فاغمض عينيك ؛ والتفت ترانى أمامك ﴾.

📖📖📖📖📖

- مِن قَصَائِدِ جُبْرَانِ الَّتِى تَنْتَسِبُ إِلَى نَظَرِيَّةِ الشِّعْرِ المَهْمُوس :

استمع إليهِ وهو يقُول :

أَعْطِنِى النَّاىَ وَغَنِّ
وَانْسَ مَا قُلْتُ وَقُلْتَا
؛ إِنَّمَا النُّطْقُ هَبَاءٌ
فَأَفْدِنِى مِمَّا فَعَلْتَا
هَل تَخِذْتَ الغَابَ مِثْلِى
مَنْزِلاً دُونَ القُصُورْ ؟!
فَتَتَبَّعْتَ السَّوَاقِى ؟!

وَتَسَلَّقْتَ الصُّخُورْ ؟!

هَل تَحَمَّمْتَ بِعِطْرٍ ؟!

... ؛ وَتَنَشَّفْتَ بِنُورْ ؟!

وَشَرِبْتَ الفَجْرَ خَمْرَاً ؟!

فِى كُؤوسٍ مِن أَثِيرْ ؟!

هَل جَلَسْتَ العَصْرَ مِثْلِى

بَيْنَ جَفْنَاتِ العِنَبْ ؟!

؛ وَالعَنَاقِيدُ تَدَلَّت ؟!

. ؛ كَثُرَيَّاتِ الذَّهَبْ ؟!

فَهِىَ لِلصَّادِى عُيُونٌ ؟!

وَلِمَن جَاعَ الطَّعَامْ ؟!

وَهِىَ شَهْدٌ وَهِىَ عِطْرٌ ؟!

وَلِمَن شَاءَ المُدَامْ ؟!

هَل فَرَشْتَ العُشْبَ لَيْلاً

؛ وَتَلَحَّفْتَ الفَضَا ؟!

زَاهِدَاً فِى مَا سَيَأْتِى ؟!

نَاسِيَاً مَا قَد مَضَى ؟!

وَسُكُوتُ اللَّيْلِ بَحْرٌ ؟!

obeikandl.com

مَوْجُهُ فِى مَسْمَعِكْ ؟!
وَيصَدرِ اللَّيْلِ قَلْبٌ ؟!
خَافِقٌ فِى مَضْجَعِكْ ؟!
أَعْطِنِى النَّاىَ وَغَنِّ
.. ؛ وَانْسَ دَاءً وَدَوَاءْ
إِنَّمَا النَّاسُ سُطُورٌ
؛ كُتِبَت لَكِن بِمَاءْ
لَيْتَ شِعْرِى أَىُّ نَفْعٍ ؟!
فِى اجْتِمَاعٍ وَزِحَامْ ؟!
؛ وَجِدَالٍ وَضَجِيجٍ ؟!
وَاحْتِجَاجٍ وَخِصَامْ ؟!
؛ كُلُّهَا أَنْفَاقُ خُلْدٍ
وَخُيُوطُ العَنْكَبُوتْ
فَالَّذِى يَحْيَا بِعَجْزٍ
فَهُوَ فِى بُطءٍ يَمُوتْ
لَيْسَ فِى الغَابَاتِ مَوْتٌ
؛ لا وَلا فِيهَا القُبُورْ
.. ؛ فَإِذَا نِيسَانُ وَلَّى

لَم يُت مَعْهُ السُّرُورْ
إِنَّ هَوْلَ المَوْتِ وَهْمٌ
يَنْثَنِى طَىَّ الصُّدُورْ
فَالَّذِى عَاشَ رَبِيعَاً
كَالَّذِى عَاشَ الدُّهُورْ
أَعْطِنِى النَّاىَ وَغَنِّ
؛ فَالغِنَا سِرُّ الخُلُودْ
؛ وَأَنِينُ النَّايِ يَبْقَى
بَعْدَ أَن يَفْنَى الوُجُودْ

مهما حاولت مع هذهِ القصيدة ؛ فإنَّكَ لن تشعر بها ـ فضلاً عن إشعارِ الآخرين بصُورها ومضمُونها ـ إلاَّ مع الهمس .

بل إن تشأ مثالاً أقوى وأجلى ؛ فردِّد قصيدة جُبران :

هُوَ ذَا الفَجْرُ فَقُومِى نَنْصَرِفْ
عَن دِيَارٍ مَالَنَا فِيهَا صَدِيقْ
مَا عَسَى يَرْجُو نَبَاتٌ يَخْتَلِفْ
زَهْرُهُ عَن كُلِّ وَرْدٍ وَشَقِيقْ
وَجَدِيدُ القَلْبِ أَنَّى يَأْتَلِفْ
مَعْ قُلُوبٍ كُلُّ مَا فِيهَا عَتِيقْ

هُوَ ذَا الصُّبْحُ يُنَادِى فَاسْمَعِى
؛ وَهَلُمِّى نَقْتَفِى خُطُوَاتِهِ
قَد كَفَانَا مِن مَسَاءٍ يَدَّعِى
. ؛ أَنَّ نُورَ الصُّبْحِ مِن آيَاتِهِ
قَد أَقَمْنَا العُمْرَ فِى وَادٍ تَسِيرْ
بَيْنَ ضِلْعَيْهِ خَيَالاتُ الهُمُومْ
وَشَهِدْنَا اليَأْسَ أَسْرَاباً تَطِيرْ
فَوْقَ مَتْنَيهِ كَعُقْبَانٍ وَبُومْ
وَشَرِبْنَا السُّقْمَ مِن مَاءِ الغَدِيرْ
وَأَكَلْنَا السُّمَّ مِن فَجِّ الكُرُومْ
وَلَبِسْنَا الصَّبْرَ ثَوْباً فَالتَهَبْ
... ؛ فَغَدَوْنَا نَتَرَدَّى بِالرَّمَادْ
وَاِفْتَرَشْنَاهُ وِسَاداً فَاِنْقَلَبْ
عِنْدَمَا نِمْنَا هَشِيمَاً وَقَتَادْ
يَا بِلاداً حُجِبَت مُنْذُ الأَزَلْ
كَيْفَ نَرْجُوكِ وَمِن أَىِّ سَبِيلْ
.. ؛ أَىُّ قَفْرٍ دُونَهَا أَىُّ جَبَلْ
سُورُهُا العَالِى وَمَن مِنَّا الدَّلِيلْ

أَسَرَابٌ أَنْتَ أَم أَنْتَ الأَمَلْ
فِى نُفُوسٍ تَتَمَنَّى المُسْتَحِيلْ
؛ أَمَنَامٌ يَتَهَادَى فِى القُلُوبْ
فَإِذَا مَا اسْتَيْقَظَت وَلَّى المَنَامْ
أَم غُيُومٌ طُفْنَ فِى شَمْسِ الغُرُوبْ
قَبْلَ أَن يَغْرَقْنَ فِى بَحْرِ الظَّلامْ
يَا بِلادَ الفِكْرِ يَا مَهْدَ الأُلَى
عَبَدُوا الحَقَّ وَصَلُّوا لِلجَمَالْ
؛ مَا طَلَبْنَاكَ بِرَكْبٍ أَو عَلَى
مَتْنِ سُفْنٍ أَو بِخَيْلٍ وَرِحَالْ
. ؛ لَسْتُ فِى الشَّرْقِ وَلا الغَرْبِ وَلا
فِى جَنُوبِ الأَرْضِ أَو نَحْوَ الشَّمَالْ
. ؛ لَسْتُ فِى الجَوِّ وَلا تَحْتَ البِحَارْ
؛ لَسْتُ فِى السَّهْلِ وَلا الوَعْرِ الحَرِجْ
.... ؛ أَنْتَ فِى الأَرْوَاحِ أَنْوَارٌ وَنَارْ
..... ؛ أَنْتَ فِى صَدْرِى فُؤَادٌ يَخْتَلِجْ

لعمرى ؛ لئن لم تكُن هذه القصيدة هى خير ما يُستشهدُ بهِ لروعةِ الشِّعرِ المهمُوس ؛ فلا أدرى أينَ تستخفى الشَّواهد ... ؛ من عاش معها بنفسٍ

شاعريَّةٍ ؛ أيقنَ أنَّهُ مع هُدُوءِ جَرْسِهَا ؛ تكادُ فى بعضِ المواطنِ أن تُزلزلَ النَّفْسَ وَتُهَيِّجَ المكنون من دفينِ المشاعر وذكريات الماضى .

وَيَقُولُ أَيْضَاً :

فِى هِجْرَةٍ لا أُنْسَ فِيهَا
... ؛ لِلغَرِيبِ وَلا صَفَاء
... ؛ تَتَقَاذَفُ الآفَاقُ بِى
قَذْفَ العَوَاصِفِ لِلهَبَاء
وَتُحِيطُ بِى لُجَجَ الصُّرُوفِ
فَمِن بَلاءَ.... ؛ إِلَى بَلاء

وَيَقُولُ فِى أُخْرَى :

لَيْسَ فِى الغَابَاتِ عَدْلٌ
لا... ؛ وَلا فِيهَا الرَّقِيب
... ؛ فَإِذَا الغِزْلانُ جُنَّت
إِذْ تَرَى وَجْهَ المَغِيب
. ؛ لا يَقولُ النَّسْرُ وَاهَاً
.. ؛ إِنَّ ذَا شَىْءٌ عَجِيب
إِنَّمَا العَاقِلُ يُدْعَى...
. ؛ عِنْدَنَا الأَمْرَ الغَرِيب

؛أَعْطِنِى النَّاىَ وَغَنِّ

...؛فَالغِنَا خَيرُ الجُنُون

...؛وَأَنِينُ النَّايِ أَبْقَى

.؛مِن حَصِيفٍ وَرَصِين

obeikandl.com

✿ ـ النَّمَاذِجُ المُنْتَقَاة :

وَفِى لَحْظَةٍ مِن لَحَظَاتِ القَلَقِ النَّفْسِىِّ الرَّهِيب !! ؛ كَانَت « الطَّلاسِم » لإِيلْيَا أَبُو مَاضِى :

جِئْتُ لا أَعْلَمُ مِن أَيْنَ ؛ وَلَكِنِّى أَتَيْتُ ؟!!
وَلَقَد أَبْصَرْتُ قُدَّامِى طَرِيقاً فَمَشَيْتُ !!
وَسَأَبْقَى مَاشِيَاً إِن شِئْتُ هَذَا أَم أَبَيْتُ !!
كَيْفَ جِئْتُ ؟!! كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقِى ؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
أَجَدِيدٌ أَم قَدِيمٌ أَنَا فِى هَذَا الوجُود ؟!!
هَل أَنَا حُرٌّ طَلِيقٌ ؛ أَم أَسِيرٌ فِى قُيُود ؟!!
هَل أَنَا قَائِدُ نَفْسِى فِى حَيَاتِى أَم مَقُود ؟!!
أَتَمَنَّى أَنَّنِى أَدْرِى ... ؛ وَلَكِن !!
لَسْتُ أَدْرِى !!
قَد سَأَلْتُ البَحْرَ يَوْمَاً هَل أَنَا يَا بَحْرُ مِنْكَا ؟!!
هَل صَحِيحٌ مَا رَوَاهُ بَعْضُهُم عَنِّى وَعَنْكَا ؟!!
أَم تُرَى مَا زَعَمُوا زُوراً وَبُهْتَانَاً وَإِفْكَا ؟!!
ضَحِكَت أَمْوَاجُهُ مِنِّى وَقَالَت :
لَسْتُ أَدْرِى !!

أَنْتَ يَا بَحْرُ أَسِيرٌ آهِ مَا أَعْظَمَ أَسْرَكْ !!
أَنْتَ مِثْلِى أَيُّهَا الجَبَّارُ لا تَمْلِكُ أَمْرَكْ !!
أَشْبَهَت حَالُكَ حَالِى وَحَكَى عُذْرِىَ
عُذْرَكْ !!
فَمَتَى أَنجُو مِنَ الأَسْرِ وَتَنْجُو ؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
قَد سَأَلْتُ السُّحْبَ فِى الآفَاقِ هَل تَذْكُرُ
رَمْلَكْ ؟!!
وَسَأَلْتُ الشَّجَرَ المُورِقَ هَل يَعْرِفُ فَضْلَكْ ؟!!
وَسَأَلْتُ الدُّرَّ فِى الأَعْنَاقِ هَل تَذْكُرُ أَصْلَكْ
وَكَأَنِّى خِلْتُهَا قَالَت جَمِيعَاً :
لَسْتُ أَدْرِى !!
يَرْقُصُ المَوْجُ وَفِى قَاعِكَ حَرْبٌ لَن تَزُولا !!
تَخْلُقُ الأَسْمَاكَ لَكِن ؛ تَخْلُقُ الحُوتَ الأَكُولا !!
قَد جَمَعْتَ المَوْتَ فِى صَدْرِكَ وَالعَيْشَ الجَمِيلا !!
لَيْتَ شِعْرِى أَنْتَ مَهْدٌ أَم ضَرِيحٌ ؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
كَم فَتَاةٍ مِثْلَ لَيْلَى وَفَتَىً كَابْنِ المُلَوَّحْ !!

obeikandl.com

أَنْفَقَا السَّاعَاتِ فِى الشَّاطِىءِ تَشْكُو وَهُوَ
يَشْرَحْ !!
كُلَّمَا حَدَّثَ أَصْغَت ؛ وَإِذَا قَالَت تَرَنَّح !!
أَحَفِيفُ المَوْجِ سِرٌّ ضَيَّعَاه ؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
فِيكَ مِثْلِى أَيُّهَا الجَبَّارُ أَصْدَافٌ وَرَمْلُ
إِنَّمَا أَنْتَ بِلا ظِلٍّ وَلِى فِى الأَرْضِ ظِلُّ
إِنَّمَا أَنْتَ بِلا عَقْلٍ وَلِى يَا بَحْرُ عَقْلُ
فَلِمَاذَا يَا تُرَى أَمْضِى وَتَبْقَى؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
إِنَّ فِى صَدْرِىَ يَا بَحْرُ لأَسْرَارَ عِجَابَا
نَزَلَ السِّتْرُ عَلَيْهَا وَأَنَا كُنْتُ الحِجَابَا
وَلِذَا ازْدَادُ بُعْدَاً كُلَّمَا ازْدَدْتُ اقْتِرَابَا
وَأُرَانِى كُلَّمَا أَوْشَكْتُ أَدْرِى
لَسْتُ أَدْرِى !!
وَلَقَد قُلْتُ لِنَفْسِى وَأَنَا بَيْنَ المَقَابِر
هَل رَأَيْتَ الأَمْنَ وَالرَّاحَةَ إِلاَّ فِى الحَفَائِرِ
فَأَشَارَت !! : فَإِذَا لِلدُّودِ عَيْثٌ فِى المَحَاجِر

ثُمَّ قَالَت : أَيُّهَا السَّائِلُ إِنِّى !! :
لَسْتُ أَدْرِى !!
انْظُرِى كَيْفَ تَسَاوَى الكُلُّ فِى هَذَا المَكَانِ
وَتَلاشَى فِى بَقَايَا العَبْدِ رَبُّ الصَّوْلَجَانِ
وَالتَّقِىُّ العَاشِقُ وَالقَالِى فَمَا يَفْتَرِقَانِ
أَفَهَذَا مُنْتَهَى العَدْلِ ؟!! ؛ فَقَالَت :
لَسْتُ أَدْرِى !!
كَم قُصُورٍ خَالَهَا البَانِى سَتَبْقَى وَتَدُوم
ثَابِتَاتٍ كَالرَّوَاسِى خَالِدَاتٍ كَالنُّجُوم
سَحَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهَا ذَيْلَهُ فَهِىَ رُسُوم
مَالَنَا نَبْنِى وَمَا نَبْنِى لِهَدْمٍ ؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
رُبَّ فِكْرٍ لاحَ فِى لَوْحَةِ نَفْسِى وَتَجَلَّى
خِلْتُهُ مِنِّى ؛ وَلَكِن لَم يَقُم حَتَّى تَوَلَّى
مِثْلَ طَيْفٍ لاحَ فِى بِئْرٍ قَلِيلاً وَاضْمَحَلاَّ
كَيْفَ وَافَى ؟!! ؛ وَلِمَاذَا فَرَّ مِنِّى ؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
إِنَّنِى أَشْهَدُ فِى نَفْسِى صِرَاعَاً وَعِرَاكَا

وَأَرَى ذَاتِىَ شَيْطَانَاً... ؛ وَأَحْيَانَاً مَلاكَا
هَل أَنَا شَخْصَانِ يَأْبَى هَذَا مَعَ ذاك
اشْتِرَاكَا؟!!
أَم تُرَانِى وَاهِمَاً فِيمَا أَرَاهُ
لَسْتُ أَدْرِى !!
بَيْنَمَا قَلْبِىَ يَحْكِى فِى الضُّحَى إِحْدَى
الخَمَائِل
فِيهِ أَزْهَارٌ وَأَطْيَارٌ تُغَنِّى وَجَدَاوِل
أَقْبَلَ العَصْرُ فَأَمْسَى مُوحِشَاً كَالقَفْرِ
قَاحِل !!
كَيْفَ صَارَ القَلْبُ رَوْضَاً ثُمَّ قَفْرَا ؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
كُلُّ يَوْمٍ لِىَ شَأْنٌ ؛ كُلُّ حِينٍ لِى شُعُور
هَل أَنَا اليَوْمَ ... ؛ أَنَا مُنْذُ لَيَالٍ وَشُهُور
أَم أَنَا عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ غَيْرِى فِى
البُكُور ؟!!
كُلَّمَا سَاءَلْتُ نَفْسِى جَاوَبَتْنِى :
لَسْتُ أَدْرِى !!

obeikandi.com

أَنَا لا أَذْكُرُ شَيْئًا مِن حَيَاتِى المَاضِيَه !!
أَنَا لا أَعْرِفُ شَيْئًا عَن حَيَاتِى الآتِيَه !!
لِىَ ذَاتٌ غَيْرَ أَنِّى لَسْتُ أَدْرِى مَا هِيه !!
فَمَتَى تَعْرِفُ ذَاتِى كُنْهَ ذَاتِى ؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!

📖📖📖📖📖

ـ مِن قَصَائِدِ نَازِكِ المَلائِكَة :

ـ قَصِيدَة ﴿أَنَا﴾

اللَيلُ يسألُ من أنا ؟!!
أنا سرُّهُ القَلِقُ العميقُ الأسودُ !!
أنا صمتُهُ المتمرِّدُ !!
قنَّعتُ كُنْهِى بالسُّكونْ
ولفقتُ قلبى بالظُّنُونْ
وبقيتُ ساهمةً هُنا
أرنو وتسألنى القُرُونْ
أنا من أكون ؟!!
والرِّيحُ تسأل من أنا ؟!!

obeikandi.com

أنا روحُها الحيران أنكرنى الزَّمانْ !!
أنا مثلها فى لا مكانْ !!
نبقى نسيرُ ولا انتهاءْ
نبقى نمرُّ ولا بقاءْ
فإذا بلغنا المُنْحَنى
خلناهُ خاتمةَ الشَّقاءْ
فإذا فضاءْ !!
والدهرُ يسألُ من أنا ؟!!
أنا مثلهُ جبَّارةٌ أطوى عُصُورْ
وأعودُ أمنحُها النُّشورْ
أنا أخلقُ الماضى البعيدْ
من فتنةِ الأمل الرَّغيدْ
وأعودُ أدفنُهُ أنا
لأصوغَ لى أمساً جديدْ
غَدُهُ جليد
والذَّاتُ تسألُ من أنا ؟!!
أنا مثلها حيرَى أُحدِّقُ فى ظلامْ
لا شىءَ يمنحُنى السَّلامْ

obeikandl.com

أَبقى أُسائلُ والجوابْ
سيظَلُّ يحجُبُه سرابْ !!
وأظلُّ أحسبُهُ دنا
فإذا وصلتُ إليه ذابْ !!
وخبا وغابْ !!

obeikandl.com

۞ - بَدْر شَاكِر السَّيَّاب

وُلِدَ الشَّاعر بدر شاكر السَّيَّاب فى ١٩٢٥/١٢/٢٥م فى قرية جيكور ؛ والتى أُغْرِمَ بها وهام أحدهما الآخر ؛ وهى من قُرى قضاء (أبى الخصيب) فى مُحافظة البصرة.

ووالده هو شاكر بن عبدالجبَّار بن مرزوق السياب ؛ وُلِدَ فى قرية (بكيع) ؛ وأكمل دراسته فى المدرسة الرَّشيديَّة فى أبى الخصيب وفى البصرة أثناء العهد العُثمانىِّ ؛ وقد زاول التجارة والأعمال الحُرَّة ؛ وخسر فى الجميع ؛ ثم توظَّف فى دائرة تموين أبى الخصيب ؛ وتوفى فى سنة ١٩٦٣م ؛ وأولاده : عبدالله ؛ وبدر ؛ ومصطفى.

وأمَّا والدته فهى كريمة بنت سيَّاب بن مرزوق السياب ؛ تُوفِّيت قبله بِمُدَّةٍ طويلةٍ ؛ وتركت معه أخوان أصغر منه ؛ فتزوج أبوه امرأةً أُخرى.

وقريته : هى قرية جيكور ؛ قريةٌ صغيرةٌ لا يزيد عدد سكانها آنذاك على (٥٠٠) نسمة ؛ اسمها مأخوذٌ فى الأصل من الفارسيَّة من لفظة (جوى كور) أى (الجدول الأعلى) ؛ وتُحدِّثُنا كُتُبُ التَّاريخ على أنها كانت موقعاً من مواقع الزَّنج الحصينة ؛ دُورها بسيطةٌ ؛ وبها أشجار النخيل المتواجدة بكثرةٍ فى بساتين جيكور والتى يملك (آل السَّيَّاب) فيها أراض مزرُوعة بالنخيل تنتشر فيها أنهارٌ صغيرةٌ تأخذ مياهها من شطِّ العرب ؛ وحين يرتفع المدُّ تُملأُ الجداول بمائه.

وكانت جيكور وارفة الظلال ؛ تنتشر فيها الفاكهة بأنواعها ؛ وكان جوُّها الشَّاعرىُّ الخلاَّب أحد مُمهدات طاقة السياب الشعريَّة وذكرياته المُبكِّرة فيه والتى ظلَّت حتى أُخريات حياته تمد شعره بالحياة والحيويَّة والتفجُّر.

هذه القرية تابعةٌ لقضاء أبى الخصيب الذى أسَّسهُ القائد مرزوق أبى الخصيب حاجب الخليفة المنصور عام ١٤٠ هـ ؛ والذى شهد وقائع تاريخيَّة هامة سجَّلها التاريخ العربىُّ ؛ أبرزها معركة الزَّنج وما تبعها من أحداث ؛ هذا القضاء الذى برز فيه شُعراء كثيرون منهم :

محمد محمود : من مشاهير المُجدِّدين فى عالم الشِّعر والنقد الحديث.

ومحمد على إسماعيل : صاحب الشعر الكثير فى المُحافظة .

وخليل إسماعيل : الذى ينظم المسرحيَّات الشعريَّة ويخُرجها بنفسه ويصور ديكورها بريشته .

ومصطفى كامل الياسين : شاعر .

ومؤيد العبد الواحد : الشاعر الوجدانىُّ الرقيق ؛ وهو من رُواة شعر السياب.

وسعدى يوسف : الشاعر العراقىُّ المعروف .

وعبد اللطيف الدليشى : الأديب البصرىُّ.

وعبد الستَّار عبد الرزَّاق الجمعة ؛ وآخرين.

- نهر بويب :

تنتشر فى أبى الخصيب أنهارٌ صغيرةٌ تأخذ مياهها من شطِّ العرب وتتفرَّع إلى

أنهارٍ صغيرةٍ ؛ منها نهر بويب ؛ النهر الذى ذكره الشاعر كثيراً فى قصائده ؛ هذا النهر الذى كان فى الأصل وسيلة إرواء بساتين النَّخيل ؛ وهو يبعد عن شطِّ العرب أكثر من كيلومترٍ واحدٍ ؛ والذى لا ينبع منه ؛ بل يأخذ مياهه من نهرٍ آخر اسمه (بكيع) ؛ يتفرَّع إلى فرعين أحدهما نهر بويب ؛ أما الآن فهو مجرىً عادىٌّ صغيرٍ جفَّت مياهه وغطَّى النهر نباتات (الحلفاء) وبعض الحشائش ؛ وفى السابق كان على جانبيه أشجار الخوخ والمشمش والعنب.

وكان بدر يُحبُّ أن يلعب فى ماء بويب ؛ ويحلو له أن يلتقط المحار منه ؛ ويجلس على نخلةٍ ينظر الماء المنساب.

وفى لقاءٍ مع (عبدالمجيد السياب) عم الشاعر ؛ قال :

« كُنتُ أعرف مكان السياب على النهر ـ نهر بويب ـ من الأوراق ؛ إذ كان عندما يكتب يُمزِّق كثيراً من الأوراق ويرميها فى النهر ؛ فأهتدى بها إليه. » .

وعن سِرِّ اهتمام السياب بـ (بويب) ؛ قال السيد عبد المجيد :

« فى نهاية الأربعينيات قرأت قصيدة لبابلو نيرودا يتحدَّث عن نهرٍ لا أذكر اسمه ؛ وكان السياب قريبٌ منِّى ؛ فقرأ القصيدة ؛ وأعتقد أنه تأثَّر بها ؛ فكتب قصيدته (بويب). ».

ـ منزل الأقنان :

قال أحمد عبدالعزيز السياب :

« إن دار السياب قد قُسِّمت إلى قسمين : دار جدى ؛ ومنزل الأقنان الذى

خلَّدهُ كثيراً فى شعره ؛ يبعد هذا المنزل عشرين متراً عن الدار الحقيقيَّة ؛ وهو بيت فلاحى جَدِّ بدر الذين استغلتهم عائلة السياب ؛ وهو بيتٌ واسعٌ قديمٌ مهجورٌ كان يُدعى (كوت المراجيح) ؛ وكان هذا البيت فى العهد العُثمانىِّ مأوى عبيد أُسرة السيَّاب ؛ وكان الشاعر بدر قد جعل من منزل الأقنان فى أيَّام طُفولته مقر الجريدة ؛ كان يخُطُّها ويُصدرها الشاعر باسم (جيكور) ؛ يتناقلها صبيان القرية ؛ ثم تعود فى ختام قراءتها من قِبَلِ أصدقاء بدر ليُلصقها الشاعر على حائط منزل الأقنان.)).

ـ بعض من ارتبط بهنَّ وأحبهُن :

ـ كانت الرَّاعية (هويله) هى أوَّل امرأةٍ خفق لها قلبه وأحبَّها ؛ حيث كانت أكبر منه سِنَّاً ؛ ترعى أغنام لها ؛ يُقابلها خارج قريته.

وفجأةً تحوَّل إلى حُبِّ فتاةٍ جميلةٍ عمرها آنذاك ١٥ سنة ؛ كانت تأتى إلى قريته والسيَّاب فى عُنفُوان شبابه ؛ وهو الباحث عن الحنين ؛ فالتجأ يتشبث بحُبِّ (وفيقه) ؛ والتى كانت تسكن على مَقْرُبةٍ من بيت الشاعر ؛ وكان البيت فيه شبَّاكاً مصبوغاً باللون الأزرق يعلو عن الأرض متراً ؛ إِنَّهُ شبَّاك وفيقة التى لم يسعده حظُّهُ فى الزَّواج منها ؛ فى شبَّاكها قال شعراً جميلاً ؛ ولم يُعرف إلى الآن : هل وفيقة كانت تُبادله الحُبَّ أم لا ؟.

ولم يكن فى جيكور مدرسة فى ذلك الوقت ؛ لذا كان على السياب أن يسير مشياً إلي قرية (آل إبراهيم) الواقعة بالقُرب من جيكور بعد أن أنهى الصَّفَّ

الرَّابع بنجاحٍ وانتقل إلى مدرسة المحموديَّة والتى كانت إدارة المدرسة مُطلَّة على الشارع ـ شناشيل ملونة ـ ؛ وكان بيت الجلبى يقع خلف المدرسة ؛ كان الشاعر يجول فى هذه الطُّرقات المُؤدِّية إليه ؛ سيَّما وأن له زُملاء وهو بعيد عن جيكور ؛ وكانت (ابنة الجلبى) فتاة جميلة ؛ كان يراها السياب وهو مارٌّ بزُقاقٍ يُؤدِّى لمسكنها ؛ إلاَّ أَنَّهُ كانَ يتغزَّل بها ويحُبُّها من طرفٍ واحدٍ فقط.

وفى دار المُعلِّمين العالية فى بغداد ؛ وقع فى حُبٍّ جديدٍ ؛ فتاةٌ بغداديَّةٌ أخذت حظَّها من العلم والمعرفة ؛ ولها فوق ثقافتها جمالٌ يأخذ بالألباب ؛ وهى التى يصفها بأن لها فى وجهها غمَّازة ؛ تلبس العباءة ؛ وكانت عندما تمر به تضع العباءة على وجهها كى لا يراها ؛ وكانت (نازك الملائكة) صديقة (لُبَاب) التى أحبَّها الشاعر من جانبٍ واحدٍ ؛ وكانت ذكيَّة وجميلة جِدًّا ؛ وكان أهلها يوصونها أن تعبس عندما تسير لكى لا يطمع الآخرون بِمُلاحقتها ؛ وقد أعرضت عن كُلِّ الذين خطبوها.

وأحبَّ زميلةً له حُبًّا من طرفٍ واحدٍ أيضاً ؛ وكان حُبًّا إفلاطونيًّا ارتفع فيهِ حُبُّ الخيال حتى جاوز الحد ؛ وتضاءلت فيه رغبة الجسم ؛ فما كان منها إلاَّ أن تتزوَّج رَجُلاً ثريًّا وتترك السياب بآلامه.

وتعرَّف على الشاعرة (لميعة عبَّاس عمارة) فى دار المعلمين العالية ؛ وكانت علاقة.

كانت بادئ ذى بدءٍ ذات طابعٍ سياسىٍّ ؛ ولكن ـ كعادته ـ وقع فى حُبِّها لأنها

كانت من أخلص صديقاته ؛ وقال فيها قصائد كثيرة ؛ ودعاها السياب لزيارته فى جيكور ؛ وبقيت فى ضيافته ثلاثة أيَّام ؛ كانا يخرُجان سويَّةً إلى بساتين قريته ؛ ويقرأ لها من شعره وهُما فى زورقٍ صغيرٍ.

ويتعرَّف الشاعر على صديقة بلجيكيَّة ؛ اسمها (لوك لوران) ؛ وقد وعدته أن تزور قريته جيكور ؛ فكتب قصيدة تُعتبر من أروع قصائده الغزليَّة.

وشاء حظُّهُ أن يلتقى بِمُومسٍ عمياء اسمها (سليمه) !! ؛ فاكتشف من خلالها عالم الليل والبِغَاء ؛ واكتشف أسراراً غريبةً ؛ وأعطانا صورةً صادقةً لما كانت تُعانيه هذه الطبقة من الناس ؛ فكانت قصيدته الرَّائعة (المومس العمياء) ؛ والتى صوَّر فيها الواقع الاجتماعىَّ آنذاك ؛ وواقع المرأة بصورةٍ خاصة.

ـ زواجه :

ويتزوَّج السياب إحدى قريباته ؛ وأحبَّ زوجته ؛ فكان لها الزوج المثالىَّ الوفىَّ ؛ وكانت هى كذلك ؛ فقد أنجبت منه : غيداء ؛ وغيلان ؛ وآلاء.

ولَّما أصابه المرض كانت مثال المرأة الحنونة ؛ المُحتملة كُلَّ متاعب وآلام الحياة ؛ حيث كانت الأيَّام معه أيَّاماً قاسية.

تقول عنها زوجته السيدة إقبال :

« عندما تغدو قسوة الأيَّام ذكريات ؛ تُصبح جُزءاً لا يتجزأ من شُعُور الإنسان ؛ تترسَّب فى أعماقه طبقة صلبة يكاد يشعر بثقلها ؛ إذ ما تزال تشُدُّنى ذكرياتى معه كُلَّما قرأتُ مأساةً وسمعتُ بفاجعة. ».

تقول عن كيفيَّة زواجها منه :

« لم أتعرَّف عليه بمعنى الكلمة (التعارف والحُب واللقاء) ؛ إنما كانت بيننا علاقة مُصاهرة ؛ حيث أن أُختى الكُبرى كانت زوجة لعم الشاعر (السيد عبدالقادر السياب) فى أوائل الثلاثينات ؛ وكان أخى قد تزوَّج من أُسرة السياب ؛ وبعد نيل المُوافقة الرسميَّة تم عقد الزواج فى ١٩ حُزيران (يونيو) ١٩٥٥ م فى البصرة ؛ ثم انتقلنا إلى بغداد. » .

كانت السنوات الثلاث الأخيرة من حياته فترةً رهيبةً عرف فيها صراع الحياة مع الموت !!.

لقد زجَّ بجسمه النَّحيل وعظامه الرِّقاق إلى حلبة هذا الصراع الذى جمع معانى الدُّنيا فى سريرٍ ضيِّقٍ !! ؛ حيث راح الوهن وهو يتفجَّرعزيمة ورُؤى وحُبَّاً ؛ يُقارع الجسم المُتهافت المُتداعى ؛ وجه الموت يحُملق به كُلَّ يومٍ ؛ فيصُدُّه الشاعر عنه بسيفٍ من الكلمة ؛ بالكلمة عاش بدر صراعه ؛ كما يجب أن يعيش الشاعر ؛ ولعل ذلك لبدر كان الرَّمز الأخير والأمض للصراع بين الحياة والموت الذى عاشه طُوال عُمُره القصير على مُستوى شخصه ومُستوى دُنياه معاً ؛ فهو قبل ذلك إذ كان جسده الضامر مُنتصباً ؛ خفيفاً مُنطلقاً يكاد لا يُلقى على الأرض ظلاً لشدَّة شفافيته.

للسيَّاب آثارٌ مطبوعة ؛ هى :

ـ أزهارٌ ذابلة : شعر.

ـ أساطير: شعر.

ـ المومس العمياء: ملحمة شعريَّة.

ـ حفَّار القُبُور: قصيدةٌ طويلةٌ.

ـ الأسلحة والأطفال: قصيدةٌ طويلةٌ.

ـ مُختاراتٌ من الشِّعر العالمىِّ الحديث: قصائد مُترجمة.

ـ أُنشودة المطر: شعر.

ـ المعبد الغريق: شعر.

ـ منزل الأقنان: شعر.

ـ شناشيل ابنة الجلبى: شعر.

ـ ديوان من جُزئين: إصدار دار العودة.

أما آثاره المخطوطة؛ فهى:

ـ زئير العاصفة: شعر.

ـ قلب آسيا: ملحمةٌ شعريَّةٌ.

ـ القيامة الصُّغرى: ملحمة شعريَّة.

ـ من شعر ناظم حكمت.

مقالات وبحُوث مُترجمة عن الإنكليزيَّة؛ منها السياسيَّة والأدبيَّة؛ ومقالات ورُدُود نشرها فى مجلة الآداب.

.....

obeikandi.com

ـ قَصِيـدَة :

ـ ﴿المُـومِسُ العَمْيَاء﴾

الليل يُطبقُ مرَّةً أُخرى ؛ فتشربه المدينه
والعابرون إلى القرارة !!... ؛ مثل أُغنيةٍ حزينه
وتفتحت كأزاهر الدفلى مصابيح الطريق
كعيون « ميدوزا » تحجَّرَ كُلُّ قلبٍ كالضغينه
وكأنها نُذُرٌ تُبشِّر أهل« بابل » بالحريق
من أىِّ غابٍ جاء هذا الليلُ؟!!... ؛ من أىِّ الكُهُوف؟!!
من أىِّ وجرٍ للذِّئاب؟!!
من أىِّ عُشٍّ فى المقابر دفَّ أسفع كالغُراب؟!!
« قابيل » أخف دم الجريمة بالأزاهر والشُّفُوف
وبما تشاء من العُطُور أو ابتسامات النِّساء
ومن المتاجر والمقاهى وهى تنبض بالضياء
عمياء كالخُفَّاش فى وضح النَّهارِ هى المدينه
والليل زاد لها عماها
والعابرون
الأضلع المُتقوِّسات على المخاوف والظُّنُون
والأعين التعبى تُفتِّش عن خيالٍ فى سواها

وتعد آنية تلألأ فى حوانيت الخُـمُور
موتى تخاف من النُّشُـور
قالوا سنهرب ؛ ثم لاذوا بالقبور !!... ؛ من القبور !!
أحفاد « أوديب » الضرير ووارثوه المبصرون
« جوكست » أرملة كأمس ؛ وباب « طيبة » ما يزال
يُلقى « أبو الهول » الرَّهيب عليهِ من رُعْبٍ ظلال
والموت يلهث فى سُؤال
باقٍ كما كان السؤال ؛ ومات معناه القديم
من طُولِ ما اهترأ الجواب على الشِّفاه
وما الجواب؟!!
« أنا » قال بعض العابرين
وانسلَّت الأضواء من باب تثاءب كالجحيم
يبحثن فى النيران عن قطرات ماء... ؛ عن رشاش
لا تنقُلنَّ خُطاك فالمبغى « علائىُّ » الأديم
أبناؤك الصرعى تُرابٌ تحت نعلك مُستباح
يتضاحكون ويعولون
أو يهمسون بما جناه أبٌ يُبرِّؤه الصباح
مما جناه ؛ ويتبعون صدى خُطاك إلى السُّكون

obeikandl.com

الحارس المكدود يعبر مُتعبات
النون فى أحداقهنَّ يرفُّ كالطير السجين
وعلى الشِّفاه أو الجبين
تترنح البسمات والأصباغ ثكلى باكيات
مُتعثِّراتٌ بالعيون وبالخُطى والقهقهات
أوصال جندىٍّ قتيلٍ كلَّلُوها بالزُّهور
وكأنها درج إلى الشهوات ؛ تزحمه الثغور
حتى تهدَّم أو يكاد ؛ سوى بقايا من صخور
جيفٌ تُستَّر بالطلاء ؛ يكاد ينكر من رآها
أن الطفولة فجَّرتها ذات يوم بالضياء
كالجدول الثرثار ؛ أو أن الصباح رأى خُطاها
فى غير هذا الغار تضحك للنسائم والسماء
ويكاد يُنكر أن شِقَّاً لاح من خَلَلِ الطلاء
قد كان ـ حتى قبل أعوامٍ من الدم والخطيئه ـ
ثغراً يُكركر ؛ أو يُثرثر بالأقاصيص البريئه
لأبٍ يعود بما استطاع من الهدايا فى المساء
لأبٍ يُقبِّلُ وجه طفلته الندىِّ أو الجبين
أو ساعدين كفرختين من الحمائم فى النقاء

obeikandl.com

ما كان يعلم أن ألف فمٍ كبئرٍ دون ماء
ستمصُّ من ذاك المُحيَّا كُلَّ ماءٍ للحياء !!
حتى يجف على العظام ؛ وأن عاراً كالوباء
يَصِمُ الجباه فليس تغسل منه إلا بالدماء
سيحل من ذاك الجبين به ويلحق بالبنين
والساعدين الأبيضين ؛ كما تنور فى السُّهول
تُفاحةٌ عذراءُ ؛ سوف يُطوقان مع السنين
كالحيتين ؛ خصور آلاف الرِّجال المُتعبين
الخارجين خروج آدمَ من نعيمٍ فى الحُقُول
تفاحة الدم والرَّغيفِ وجرعتان من الكحول
والحيَّةُ الرَّقطاءُ ظلٌّ من سِياطِ الظالمين
أُتريد من هذا الحُطام الآدمىِّ المُستباح
دفء الرَّبيع وفرحة الحمل الغرير مع الصباح
ودواء ما تلقاه من سأمٍ وَذُلٍّ واكتداح
المال شيطان المدينه
إِبَرٌ تسُلُّ بها خيوط من وشائع فى الحنايا
وتظل تنسج بينهنَّ وبين حشد العابرين
شيئاً كبيت العنكبوت يخضه الحقد الدفين

obeikandl.com

حقدٌ سيعصف بالرِّجال
والأُخريات ؛ النائمات هُناك فى كَنَفِ الرِّجال
والسَّاهرات على المُهُود وفى بيوت الأقربين
حول الصلاء بلا اطراحٍ للثياب ولا اغتسال
فى الزمهرير ؛ ودون عَدٍّ لليالى والسنين
ويمر عملاقٌ يبيع الطير ؛ معطفه الطويل
حيران تصطفق الرياح بجانبيه ؛ وقبضتاه
تتراوحان : فللرداء يدٌ ؛ وللعبء الثقيل
يد ؛ وأعناق الطيور مُرنِّحاتٌ من خُطاه
تدمى كأثداء العجائز يوم قطَّعها الغُزاه
خطواته العجلى ؛ وصرخته الطويلة « يا طيور
هذى الطيور ؛ فمن يقول تعال؟ »
أفزعها صداه
وتحسَّستهُ كأنَّ باصرةً تهُمُّ ولا تدور
فى الرَّاحتين وفى الأنامل وهى تعثر بالطيور ؛
وتوسَّلته : « فدى لعينك ؛ خلنى بيدى أراها »
ويكاد يهتك ما يُغلِّف ناظريها من عماها
قلبٌ تحرَّق فى المحاجر واشرأب يُريد نُور

obeikandl.com

وتمسُّ أجنحةً مُرقطةً فتنشرها يداها ؛
وتظل تذكر - وهى تمسحهُنَّ - أجنحةً سواها
كانت تراها وهى تخفق... ؛ ملء عينيها تراها
سِرْبٌ من البطِّ المُهاجر ؛ يستحثُّ إلى الجنوب
أعناقه الجذلى... ؛ تكاد تزيد من صمت الغروب
صيحاته المُتقطعاتُ ؛ وتضمحل على السُّهوب
بين الضباب ؛ ويهمس البرِّيد بالرجع الكئيب
ويرُجُّ وشوشة السُّكون
طلق... ؛ فيصمت كل شىء... ؛ ثم يلغط فى جُنُون
هى بطَّةٌ فلمَ انتفضتِ؟!! وما عساها أن تكون؟!!
ولعل صائدها أبوكِ ؛ فإن يكن فستشبعون
وتخُفُّ راكضةً حِيالَ النَّهرِ كى تلقى أباها
هو خلف ذاك التل يحصدُ... ؛ سوف يغضب إن رآها!!
مَرَّ النهار ولم تُعنه... ؛ وليس من عونٍ سواها
وتظلُّ ترقى التلَّ وهى تكاد تكفُرُ من أساها
يا ذكريات علام جئت على العمى وعلى السُّهاد؟!!
لا تُمهليها فالعذاب بأن تُمرِّى فى اتئاد
قُصِّى عليها كيف ماتَ وقد تضرَّج بالدماء

obeikandl.com

هو والسنابل والمساء
وعيون فلاحين ترتجف المذلَّة فى كواها
والغمغمات : ((رآه يسرق)) ...)) واختلاجات الشِّفاهِ
يُخزين ميِّتها ؛ فتصرخُ يا إلهى !! يا إلهى !!
لو أن غير ((الشيخ)) ؛ وانكفأت تشُدُّ على القتيل
شفتين تنتقمان منه أسىً وحُبًّا والتياعا
وكأنَّ وسوسة السنابل والجداول والنخيل
أصداء موتى يهمسون رآه يسرق فى الحُقُول
حيث البيادر تفصد الموتى فتزداد اتساعا
وتحسُّ بالدم وهو ينزف من مكانٍ فى عماها
كالماء من خشب السفينة ؛ والصديد من القُبُور ؛
وبأدمُعٍ من مُقلتيها كالنِّمال على الصُّخور
أو مثل حبَّات الرِّمالِ مُبعثرات فى عماها
يهوين منه إلى قرارة قلبها آهاً فآها
ومن المَلُومُ وتلك أقدارٌ كُتبنَ على الجبين؟!!
حتمٌ عليها أن تعيش بعرضها ؛ وعلى سواها
من هؤلاء البائسات وشاء رَبُّ العالمين
ألا يكون سوى أبيها - بين آلاف - أباها

obeikandl.com

وقضى عليه بأن يجوع
والقمح ينضج فى الحُقُول من الصباح إلى المساء
وبأن يلصَّ فيقتلوهُ... «وتشرأب إلى السماء
كالمُستغيثة وهى تبكى فى الظلام بلا دُمُوع »
والله - عَزَّ الله - شاء
أن تقذف المُدُنُ البعيدةُ والبحار إلى العراق
آلاف آلاف الجنود ليستبيحوا ؛ فى زُقاق
دون الأزقة أجمعين
ذاك اسم جارتها الجديد ؛ فليتها كانت تراها
هل تستحق اسماً كهذا : ياسمين وياسمين؟!!
يا ليت حمَّالاً تزوَّجها يعود مع المساء
لكن بائسةً سواها حدَّثتها مُنْذُ حين
عن بيتها وعن ابنتيها ؛ وهى تشهق بالبُكاء
كالغيمة السَّوداء تنذر بالمجاعة والرَّزايا ؛
أزراره المتألقات على مغالق كُلِّ باب
مُقَلُ الذِّئاب الجائعات ترود غاباً بعد غاب
وخُطاه مُطرقةٌ تُسمَّرُ ؛ فى الظلام ؛ على البغايا
أبوابهُنَّ ؛ إلى الصباح ؛ فلا تجاهر بالخطايا

obeikandl.com

ويظلُّ يخفرهُنَّ من شبعٍ وينثر فى الرِّياح
أُغنيَّةً تصف السنابل والأزاهر والصبايا
وتظل تنتظر الصباح وساعديه مع الصباح
تُصغى ؛ وتحتضن ابنتيها فى الظلامِ ؛ إلى النُّباح
وإلى الرِّياح تئنُّ كالموتى وتُعْوِلُ كالسَّبايا
وتجمع الأشباح من حُفر الخرائب والكُهُوف
ومن المقابر والصحارى بالمئاتِ ؛ وبالأُلوف
فتقُفُّ من فزعٍ وتحجُب مُقلتيها بالغطاء ؛
ويعود والغبش الحزين يرشُّ بالطل المضاء
سعف النخيل... ؛ يعود من سهرٍ يئنُّ ومن عَياء
كالغيمة اعتصرت قُواها فى القفار ؛ وترتجيها
عبر التلال قُوىً تجوع ؛ لكى ينام إلى المساء :
عيشٌ أشقُّ من المنيَّة ؛ وانتصارٌ كالفناء
وطَوىً يَعُبُّ من الدِّماءِ وسُمُّ أفعى فى الدِّماء
وعُيُونُ زانٍ يشتهيها ؛ كالجحيم يشعُّ فيها
سُخْرٌ وشوقٌ واحتقار ؛ لاحقتها كالوباء
والمالُ يهمس أشتريك وأشتريك فيشتريها
يا ليتها إذن انتهى أجلٌ بها فطوى أساها!!

لو أستطيع قتلت نفسى!! ... ؛ همسةٌ خنقت صداها!!
أُخرى توسوس : والجحيم ؟!! أتصبرين على لظاها؟!!
وإذا اكفهر وضاق لَحَدُكَ ؛ ثم ضاق ؛ إلى القرار
حتى تفجَّر من أصابعك الحليب رشاش نار
وتساءل الملكان فيم قتلت نفسك يا أثيمه؟!!
وتخطَّفاك إلى السعير تُكفِّرين عن الجريمه !!
أفتصرُخين أبى فينفض راحتيه من الغُبار
ويخُفُّ نحوك وهو يهتف قد أتيتك يا سليمه؟!!
حتى اسمها فقدته واستترت بآخر مُستعار!!
هى مُنْذُ أن عميت « صباح »
فأىُّ سُخريةٍ مريره !!
أين الصباح من الظلام تعيش فيه بلا نهار
وبلا كواكب أو شُمُوعٍ أو كُوى وبدون نار ؟!!
أوبعد ذلك ترهبين لقاء ربِّك أو سعيره ؟!!
القبر أهون من دُجاك دُجىً وأرفق يا ضريره !!
يا مُستباحة كالفريسة فى عَرَاءٍ يا أسيره !!
تتلفتين إلى الدُّروب ولا سبيل إلى الفرار !!
وتحسُّ بالأسف الكظيم لنفسها : لِمْ تُستباح ؟!!

obeikandl.com

الهرُّ نام على الأريكة قُربها... ؛لِمْ تُستباح ؟!!
شبعان أغفى ؛ وهى جائعة تلمُّ من الرِّياح
أصداء قهقهة السَّكارى فى الأزقَّةِ ؛ والنُّباح
وتعد وقع خُطىً هُنا وهُناك : ها هو
هو ذا يجىء ؛ وتشرئبُّ ؛ وكاد يلمس... ؛ ثم راح!!
وتدقُّ فى أحد المنازل ساعةٌ ... ؛لِمْ تُستباح ؟!!
الوقت آذن بانتهاءٍ والزَّبائن يرحلون
كالدرب تذرعه القوافل والكلاب إلى الصباح !!
الجوع ينخر فى حشاها ؛ والسَّكارى يرحلون ؛
مروا عليها فى المساء وفى العشيَّة ينسُجون
حُلماً لها هى والمنُون :
عصبات مهجتها سداه وكل عوقٍ فى العيون ؛
والآن عادوا ينقضون
خيطاً فخيطاً من قرارة قلبها ومن الجراح
ما ليس بالحُلم الذى نسجوا ومالا يُدركون
شيئاً هو الحُلم الذى نسجوا ومالا يعرفون ؛
هو منه أكثر : كالحفيف من الخمائل والرِّياح
والشعر من وزنٍ وقافيةٍ ومعنى ؛ والصباح

من شمسه الوضاء ... ؛ وانصرفواسكارى يضحكون !!
ستعيش للثأر الرَّهيب
والداء فى دمها وفى فمها ؛ ستنفث من رداها
فى كُلِّ عرقٍ من عُرُوق رجالها شبحاً من الدم واللـهيب
شبحاً تخطف مقلتيها أمس ؛ من رَجُلٍ أتاها
ستردُّهُ هى للرِّجالِ ... ؛ بأنهم قتلوا أباها
وتلقَّفوها يعبثون بها وما رحموا صباها !!
لم يبتغوها للزواج لأنها امرأةٌ فقيره !!
واستدرجوها بالوعود لأنها كانت غريره !!
وتهامس المتقولون فثار أبناء العشيره :
مُتعطِّشين ـ على المفارق والدُّروب ـ إلى دماها !!
وكأنَّ موجة حقدها ورؤى أساها :
كانت تُقرِّب من بصيرة لُبِّها صُوراً علاها :
صدأ المدينة وهى ترقد فى القرارة من عماها :
كُلُّ الرِّجال ؟!! وأهل قريتها ؟!! أليسوا طيبين ؟!!
كانوا جياعاً ـ مثلها هى أو أبيها ـ بائسين ؛
هُم مثلها ـ وهم الرِّجال ـ ومثل آلاف البغايا
بالخُبز والأطمار يؤتجرونَ ؛ والجسد المهين

هو كل ما يتملكونَ ؛ هم الخُطاة بلا خطايا
ليس الذين تغصَّبُوها من سُلالة هؤلاء
كانوا مقطبة الجباه من الصخور
تمتصُّ من فزع الضحايا زهوها ومن الدماء
مُتطلِّعين إلى البرايا كالصواعق من علاء
وتحسُّ فى دمها كآبة كُلِّ أمطار الشتاء
من خفق أقدام السَّكارى ؛ كالأسير وراء سور
يُصغى إلى قرع الطبول ؛ يموت فى الشفق المضاء
هى والبغايا خلف سور ؛ والسكارى خلف سور ؛
دميت أصابعهُنَّ : تحفر والحجارة لا تلين
والسور يمضغهُنَّ ثم يقيئهُنَّ رُكام طين
وطلول مقبرةٍ تضم رُفات «هابيل» الجنين !!
سور كهذا حدَّثوها عنه فى قصص الطفولة :
« يأجوج » يغرز فيه من حَنَقٍ أظافره الطويله
ويعض جندله الأصم ؛ وكف « مأجوج » الثقيله
تهوى كأعنف ما تكون على جلامده الضخام
والسور باقٍ لا يثل ... ؛ وسوف يبقى ألف عام
الطفل شاب وسورها هى ما يزال كما رآه

من قبل يأجوج البرايا توأم هو للسعير !!
لصُّ الحجارة من منازل فى السهول وفى الجبال
يتواثب الأطفال فى غُرفاتها ويُكركرون
والأُمَّهات يلدن والآباء للغد يبسمون
لم يبق من حجرٍ عليها فهى ريحٌ أو خيال
وأدار من خطم البلاد رحى ؛ وساط من البُطُون
ما ترتعيه رحاه من لحم الأجِنَّة والعظام ؛
وكشاطئين من النجوم على خليجٍ من ظلام
يتحرَّقان ولا لقاء ويخمدان سوى رُكام
شق الرجال عن النساء سلالتين من الأنام
تتلاقيان مع الظلام وتفصلان مع الشروق
لو يقطعون الليل بحثاً والنهار ؛ على سواها
فى حُسنها هى ؟!! فى غضارة ناهديها أو صباها
وبسعرها هى ؟!! أىّ شىءٍ غير هذا يبتغون ؟!!
عمياء أنت وحظك المنكود أعمى يا سليمه !!
وتلُوك أغنيةً قديمه
فى نفسها وصدى يوشوشُ : يا سليمة !! سليمه !!
نامت عيون الناس ؛ آه !! ... ؛ فمن لقلبى كى يُنيمه ؟!!

obeikandl.com

ويل الرجال الأغبياء !! ؛ وويلها هى من عماها !!
لِمْ أصبحوا يتجنَّبُون لقاءها ؟!!
عيونها ؛ فيُخلِّفوها وحدها إذ يعلمون
بأنها عمياء ؟!! فيم يُكابرون ومقلتاها
أدرى وتعرف أىَّ شىءٍ فى البغايا يشتهون
بنظرةٍ قمراء تغصبها من الرُّوح الكسيره
لترش أفئدة الرجال بها ؛ وكانوا يلهثون
فى وجهها المأجورِ أبخرةُ الخُمُورِ ؛ ويصرخون
كالرَّعد فى ليل الشتاء
ولعل غيرة « ياسمين » وحقدها سبب البلاء
فهى التى تضع الطلاء لها وتمسح بالذرور
وجهاً تطفأت النواظر فيه
كيف هو الطلاءُ ؟!!
وكيف أبدو ؟!!
وردةٌ ... ؛ قمرٌ ... ؛ ضياء !!
زُورٌ ... ؛ وَكُلُّ الخلق زُور
والكونُ مَيْنٌ وافتراء !!
لو تبصر المرآةُ ـ لمحة مُقلتيها ـ ؛ لو تراها

obeikandl.com

لمح النيازك ؛ ثم تغرق من جديدٍ فى عماها !!
برقٌ ويُطفأ ... ؛ثم تحكم فرقها بيدٍ ؛ وفاها
بيدٍ ؛ وترسم بالطلاء على الشِّفاه لها شفاها
شفتاك عاريةٌ وخدُّك ليس خدك يا سليمه !!
ماذا تخَلَّف منك فيك سوى الجراحات القديمه ؟!!
وتضم زهرة قلبها العطشى على ذكرى أليمه :
تلك المُعابثة اللعوبِ ... ؛ كأنها امرأة سواها !!
كالجدولين تخوض ماءهما الكواكب ـ مُقلتاها
والشعر يلهث بالرَّغائب والطراوة والعبير
وبمثل أضواء الطريق نعسن فى ليلٍ مطير
تقتات بالعسل النقىِّ وترتدى كسل الحرير
ليت النجوم تخِرُّ كالفحم المُطفَّأ والسماء
رُكامُ قارٍ أو رمادٍ ... ؛ والعواصف والسُّيول
تَدُكُّ راسية الجبال ولا تخُلِّفُ فى المدينة من بناء !!
أن يعجز الإنسان عن أن يستجير من الشقاء
حتى بوهمٍ أو برؤيا ... ؛ أن يعيش بلا رجاء !!
أو ليس ذاك هو الجحيم ؟!! ... ؛ أليس عدلاً أن يزول ؟!!
شبع الذباب من القمامة فى المدينةِ ؛ والخيول

سُرِّحْنَ من عرباتهنَّ إلى الحظائر والحقول
والناس ناموا
هذا الذى عرضته كالسلع القديمةِ ... ؛ كالحذاء
أو كالجرار الباليات ؛ كأُسطوانات الغناء
هذا الذى يأبى عليها مُشترٍ أن يشتريه
قد كان عِرْضَاً ـ يوم كانَ ـ كَكُلِّ أعراض النساء
كان الفضاء يضيق عن سعةٍ ؛ وترتخص الدماء
إن رنَّق النظر الأثيم عليه ؛ كان هو الإباء
والعِزَّة القعساء والشرف الرفيع ؛ فشاهديه
يا أعين الظلماء ؛ وامتلئى بغيظك وارجميه
بشواظ عارك واحتقارك يا عيون الأغبياء !!
للموت جُوعاً ؛ بعد موتى ـ ميتة الأحياء ـ عارا
لا تقلقوا ... ؛ فعماى ليس مهابةً لى أو وقارا
مازلتُ أعرف كيف أرعش ضحكتى خَلَلَ الرِّداء
كالقمح لونك يا ابنة العربِ
كالفجر بين عرائش العنبِ
أو كالفُراتِ ؛ على ملاحه
دِعَة الثرى وضراوة الذهبِ

عربيَّةٌ أنا :أُمَّتى دمها
خير الدماء ... ؛كما يقول أبى
تجرى دماء الفاتحين ... ؛فلوِّثُوها ، يا رجال
أوَّاه من جنس الرجال !! ... ؛فأمس عاث بها الجنود
الزاحفون من البحار كما يفور قطيع دود
يا ليت للموتى عُـيُوناً من هباءٍ فى الهواء
ترى شقائى
إلا العفاة المفلسين
أنا زهرة المُستنقعاتِ ؛ أَعُبُّ من وحلٍ وطين
وأُشِعُّ لون ضحى
وذكراً بجعجعة السنين
سعالها ... ؛ ذهب الشباب !!
ذهب الشبابُ !! ... ؛فشيِّعيه مع السنين الأربعين
ومع الرجال العابرين حِيالَ بابك هازئين !!
وأتى المشيبُ يَلُفُّ روحك بالكآبة والضباب
فاستقبليه على الرصيف بلا طعامٍ أو ثياب
يا ليتك المصباح يخفق ضوءه القلق الحزين
فى ليل مخدعك الطويلِ ؛ وليت أنك تحرقين

obeikandl.com

دماً يجف فتشترين
سواهُ : كالمصباح والزيت الذى تستأجرين
عشرون عاماً قد مضينَ ؛ وشبتِ أنتِ ؛ وما يزال
يذرذر الأضواء فى مُقل الرجال
لو كُنتِ تدخرين أجر سناه ذاك على السنين
أثريتِ
ها هو ذا يُضىءُ ... ؛ فأىّ شىءٍ تملكين ؟!!
وَيْحَ العراق !! أكان عدلاً فيه أنك تدفعين
سهاد مقتلك الضريره
ثمناً لملء يديك زيتاً من منابعه الغزيره ؟!!
كى يُثمر المصباح بالنور الذى لا تُبصرين ؟!!
عشرون عاماً قد مضينَ ؛ وأنت غرثى تأكلين
بنيك من سغبٍ ؛ وظمأٍ تشربين
حليب ثديك وهو ينزف من خياشيم الجنين !!
وكزارع له البذور
وراح يقتلع الجذور
من جوعه ؛ وأتى الربيع فما تفتحت الزُّهور
ولا تنفست السنابل فيه !!

obeikandl.com

ليس فيهِ سوى الصخور
سوى الرمالِ ؛ سوى الفَلاه
خنت الحياة بغير علمكِ ؛ فى اكتداحك للحياه !!
كم رد موتك عنك موت بنيكِ ... ؛ إنك تقطعين !!
حبل الحياة لتنقضيه وتضفرى حبلاً سواه !!
حبلاً به تتعلقين على الحياةِ : تُضاجعين
ولا ثمار سوى الدُّموعِ ؛ وتأكلين ؛
وتسهرين ولا عيونَ ؛ وتصرخين ولا شفاه !!
وغداً ؛ وأمس ... ؛ وألف أمس ... ؛ كأنما مسح الزَّمان
حدود ما لك فيه من ماضٍ وآت !!
ثم دَارَ ؛ فلا حُدُود !!
ما بين ليلك والنهار ؛ وليس ثَمَّ سوى الوجود
سوى الظلامِ ... ؛ ووطء أجساد الزبائنِ ... ؛ والنُّقود !!
ولا زمانَ ... ؛ سوى الأريكة والسرير ... ؛ ولا مكان !!
لم تسحبين ليالىَ السأمِ المُسهَّدة الرتيبه ؟!!
ما العمر ؟!!... ؛ ما الأيام عندك !!... ؛ ما الشهورُ ؛ وما السنين ؟!!
ماتت ((رجاء)) فلا رجاءَ ثكلت زهرتك الحبيبه !!

obeikandl.com

بالأمس كنت إذا حسبت فعمرها هى تحسبين
كانت عزاءك فى المُصيبه
وربيع قفرتك الجديبه
كانت نقاءك فى الفجورِ ... ؛ونسمة لك فى الهجير
وخلاصك الموعودُ ؛ والغبشُ الإلهىُّ الكبير !!
ما كان حُكمه أن تجىء إلى الوجود وأن تموت ؟!!
ألتشرب اللبن المُرنَّق بالخطيئة واللعاب :
أو شال ما تركته فى ثدييك أشداق الذئاب ؟!!
مات الضجيج وأنتِ ـ بعدُ ـ على انتظاركِ
تتنصتينَ ؛ فتسمعين
رنين أقفال الحديد يموتُ فى سأمٍ صداه !!
البابُ أُوصدَ
ذاك ليلٌ مَرَّ !!... ؛ فانتظرى سواه !!

۞ ـ قَصِيدَة ﴿ المُومِس العَمْيَاء ﴾

نَقْدٌ ..... وَتَحْلِيل(١).

﴿ حين انتقل الشاعر إلى كتابة قصيدة « المُومس العمياء » ؛ لم يكن يُدرك أن القصيدة التى تُبنى على التضاد بين موضوعين ـ كالحياة والموت ؛ أو الحرب والسلام ـ قد تخُفق ؛ ولم يحس أنَّه قد أخفق حقّاً فى هذه المُحاولة مرَّتين ؛ ومع ذلك فإنَّه فى قصيدة « المومس العمياء » تجنَّب موضوع التضاد ؛ شبعاً مؤقّتاً من ذلك النوع من المبنى ؛ وانتحى منحى آخر ؛ لعله أبسط بكثيرٍ من البناء المزدوج.

كان فى قصيدة « حفَّار القبور » قد ترك الباب مفتوحاً ليعود إليه ؛ لكنه بدلاً من أن يعاود الكتابة مرَّةً أُخرى عن الحفَّار ؛ وجد أنَّه قد ضحَّى بالمرأة البَغِىِّ فى سبيل التصوير الفنىِّ حينئذٍ ؛ فلمَ لا يتناول الحديث من زاوية النظر إلى تلك المرأة ؟ ؛ فإن الموضوع أشد إثارة وأقرب إلى النفوس من موضوع « الحفَّار » ؛ وإذا كانت شخصيَّة الحفَّار تُمثِّل النزعة الساديةالطاغية ـ كما أشرت من قبل ـ ؛ فإن تصوير نظرتها ؛ فى حالةٍ استسلاميَّةٍ : أقرب إلى الناحية الإنسانيَّة ؛ لأنه يستطيع أن يُثير قدراً أكبر من الشفقة والعطف والرِّثاء.

---

(١) ـ انْظُر : « بدر شاكر السَّياب... دراسةٌ فى حياته وشعره » للدُّكتور إحسان عبَّاس (ت سنة ١٤٢٤هـ) ؛ دار الثقافة ؛ بيروت ؛ ط : الرابعة : ١٩٧٨م.

ولقد كانت بعض الأدوات التى أسعفته فى قصيدة الحفَّار ما تزال جاهزة لديه : فهو بحاجةٍ إلى المنظر الليلىِّ ؛ وإلى صُورة الحارس المكدودة ؛ وصورة العابرين ؛ وإلى السِّكِّير الذى يرتاد حىَّ البِغَاء ؛ ولكن لابُدَّ من تغير الدافع المحُرِّك للقصيدة : فقد كان هو المال لإشباع الشهوة الجنسيَّة ؛ أى أن الظمأ الجنسىَّ كان هو الدافع الأقوى فى توجيه قصيدة الحفَّار ؛ ويُصبح عنصر المال أقوى فى قصيدة « المومس العمياء » ؛ وتصبح الشهوة الجنسيَّة وسيلة للحصول عليه ؛ وتغدو الغاية من العُنصرين ـ الشهوة ؛ والمال ـ هى الحصول على القوت.

وحين يتغيَّر الدافع فى القصيدة تتغيَّر معالم أُخرى كثيرة تبعاً لذلك : فتدخل فى الصورة شخصيات جديدة ؛ منها : عدد من البغايا ؛ والقواد ؛ والجنود ؛ وصورة والد الفتاة التى أصبحت بغيَّاً ؛ وزوجة الشُّرطىِّ ؛ وبائع الطيور فى حىِّ البِغَاء.

وعندما يتغيَّر الدافع ؛ ويقوى عنصر المال : يُصبح إفراده بالحديث أمراً طبيعيَّاً فى القصيدة الجديدة ؛ وتتعدَّد المسارب النفسيَّة إلى الموضوع : فيُمكن الوقوف عند الانتحار ؛ والاحتجاج الجريح على هذا الوضع السلبىِّ ؛ والتغلغُل فى الذكريات ؛ والمُقارنة بين الصبا وخطر الشيخوخة الزَّاحفة.

وبالجُملة ؛ فإن قصيدة « حفَّار القبور » ليست سوى صورة لِـرَجُلٍ مُعيَّنٍ يمشى فى الطريق من الجبَّانة إلى المبغى ثم يعود إلى القبور.

أما قصيدة « المومس العمياء » ؛ فإنها تاريخ حياة امرأة : شريطٌ زمانىٌّ يسترسل فى داخل مُخَطَّطٍ مكانىٍّ عريضٍ ؛ هو حىّ البِغَاء فى بلدٍ عراقىٍّ ؛ ولذلك كان هَمُّ الشاعر أن لا يعزل استرسال ذلك الشريط عن الواقع المكانىِّ ؛ بل أن يُبقى البُعدين الطولىِّ الزمنىِّ والعرضىِّ المكانىِّ مُتجاوزين أو مُتلازمين.

وتاريخ حياة إنسانٍ قد يُقَصُّ حسب تتابعه الزمنىِّ ؛ ولكن القصيدة تضيق ذرعاً بذلك أحياناً ؛ لأنَّ نُموَّ القصيدة ليس من الضرورىِّ أن يعتمد على تسلسُل الزمنِ كنُموٍّ الإنسان ؛ فإذا تذكَّرنا أن قصة حياة فتاةٍ تحترف البِغَاء لا تُصوَّر إلاَّ فى لحظتين : ما قبل السُّقوط ؛ وما بعده : أدركنا أن اللحظة الأُولى هى الجديرة بالتصوير ؛ لرسم المُفارقة البعيدة أولاً بين الماضى والحاضر ؛ وللهرب إلى أحضان الماضى الجميل من شقاء التعاسة الراهنة ؛ أى أن نمو قصيدة تتناول مثل هذا الموضوع يتم بالمزج بين الرُّؤية للواقع على ضوء من الذكريات ؛ كما يكون للتداعى واللمح الرُّجوعىِّ أثرهما فى بناء القصيدة.

وعلى التداعي والرجعات الخاطفة اعتمد السَّيَّاب كثيراً فى قصيدته ؛ حتى جاءت سلسلة حلقات الرُّؤية ـ أو التأمُّل فى الواقع ـ والاستنكار ؛ وليس يربط بين تلك الحلقات أحياناً إلا الخيط العام ؛ وهو صلة المرأة بكُلِّ حلقةٍ منها على حدة.

ويتم وصل هذه الحلقات بسُرعةٍ خاطفةٍ تُفَوِّت على القارئ الفحص عن

مدى التعسُّف أو الضرورة فى ذلك الربط.

وتتلخَّص القصة من حيث كيانها التاريخىِّ فى سُطُور:

فتاة اسمها سليمة ؛ من أصلٍ عربىٍّ صريحٍ.

عاشت فى كنف أبٍ فقيرٍ ؛ كان يعمل حَصَّاداً بأجرٍ.

وذات يومٍ سمعت طلقاً نارياً فى الحُقُول ؛ فهرعت تستطلع الخبر ؛ وقلبها يُحدِّثها أن والدها ربما صاد بطة تصلح طعاماً لهم فى ذلك اليوم.

ولكنها تجد أباها مُضرَّجاً بدمائه ؛ قتله إقطاعىٌّ ـ أو حارسه ـ ؛ اتهمه بأنه دخل حقله يسرق من قمحه الناضج !!.

والفلاَّحُون من حوله يهمسون فى ذِلَّةٍ مُردِّدين تلك التُّهمة : ((رآه يسرق)).

وتنشب الحرب ؛ وتجىء آلاف الجنود إلى العراق ؛ فتُستباح أعراض.

وتقع سليمة فريسة لهذا المَدِّ العاتى ؛ وتُصبح بَغِيَّاً مُحترفة !!.

ويكون الإقبال عليها فى شبابها كبيراً.

ولكنها تُصاب بالعمى ؛ وتُحسُّ بوطأة السِّنين الزَّاحفة ؛ كما يتغيَّر اسمها بعد فقد البصر فيدعونها ((صباح)).

وبسبب عماها يبتعد عنها طُلاَّب الشَّهوة ؛ وتُحسُّ بالجوع والحاجة إلى المال.

وفى غِمَارِ تلك الحياة القاسية تفقد بنتاً كانت من ثمرات الإثم.

وها هى فى ذلك الوضع المُحزن تستدعى الأيدى التى تشترى جسدها بما يَسُدُّ الرَّمق ؛ فلا يسمع دعاءها أحد.

إنَّ هذا السرد التاريخىَّ يُبيِّنُ أن انتقال القصيدة حسب السياق الزمنىِّ سيكون خلواً من الأحداث ؛ ولهذا لا يُمكن اعتماده فى القصيدة ؛ وأهمُّ حادثةٍ فى حياة هذه الفتاة : هى ما اتصل بمقتل والدها ؛ ولهذا كان البدء بها مُمكناً ؛ ولكن الشاعر كان يعتقد أن القصيدة الطويلة لابُدَّ من أن تكون ملحميَّة الطابع ؛ والملحمة تتطلَّب فاتحة تمهيديَّة ؛ فذهب يُمهِّد للقصة طويلة زادت على ستِّ صفحات : عرض فيها للصُّورة الليليَّة التى أطبقت على المدينة ؛ فإذا المدينة نفسها عمياء ؛ والعابرون فى طُرقاتها هم أحفاد « أوديب » الأعمى !! ؛ فهم أيضاً نسل العمى !! ؛ تقودهم شهواتهم العمياء إلى المَبْغَى ؛ حيث المقبرة الكُبرى التى تُطبق على جيف مصبغة بأنواع الطلاء ؛ وأحد السَّكارى - (أعمى آخر) - يدُقُّ على البابِ يحلم بدفء الربيع !! ؛ فيسخر الشاعر منه ومن حلمه الكاذب ؛ ويُخبره أن شيطان المدينة - (أى المال) - لم يُراهن فى ذلك الحىِّ إلا على أجسادٍ مهينةٍ مُحطَّمةٍ ؛ فليُضاجع أيَّة امرأة منهُنَّ ليُيسِّر لها الطعام ؛ وليس ذلك السكِّير بأسوأ حالاً من الأب الذى جعل من ابنته متاعاً يُشرى بالمال ؛ فهو قد دفعها - (فى عماه وجهله) - إلى ذلك المصير !! ؛ وليست التى لحقت بالمواخير أسوأ حالاً من « النائمات فى كَنَفِ الرِّجال » ؛ اللواتى يُعاملن بامتهانٍ ؛ فهُنَّ أيضاً عمياوات فى الذِّلَّة المضروبة عليهن !! ؛ وكُلهنَّ - سواء بقين فى كنف الرِّجال أو فى حظيرة الإثم - يُربين أطفال الحقد فى صُدُورهنَّ ليعصفن بالرجل المستبد المُمعن فى

عماه !!.

تلك هى المُقدِّمة ؛ وهى رغم التنقُّل السريع بين جوانب مُختلفة من الصُّورة الكُبرى لوضع المرأة ؛ وقسوتها التقريريَّة ؛ ووضوح التوجيه المقصود : من خير المُقدِّمات التى يعنى بها السَّيَّاب عنايةً خاصةً فى قصائده الطويلة ؛ لأن وحدة « العمى » الحقيقىِّ والمجازىِّ فيها تجعل قصة «المومس العمياء » جُزءاً لا يتجزأ من اللوحة الكُبرى.

وتبدأ القصة بعد ذلك بصُورة بائع الطيور وهو يعرض سلعته فى حىِّ البغايا ؛ وتُناديه سليمة لتتحسَّس ما يبيع ؛ وفيما هى تُمِرُّ يدها على الطيور تتذكَّر أسرابها التى كانت تراها فى صباها ؛ وتتذكَّر أباها والطلق النارىَّ والفاجعة ؛ وتسمع صوت قهقهاتٍ بعيدةٍ ؛ فتعرف أن السِّمسار قد عاد « من الترصد بالرجال على الوصيد » ؛ وتتمنَّى لو كانت مُتزوِّجة ؛ فتخطر على بالها قصة زوجةٍ بائسةٍ هى امرأة الشُّرطىِّ الذى يعمل حارساً فى حىِّ البغاء لكى يضمن ألا يتم اتجار بالخطايا « إلا لعاهرةٍ تجاز بأن تكون من البغايا » ؛ وتُدرك أن الزوجة ليست أحسن حالاً ؛ فينصرف خاطرها إلى الانتحار !! ؛ فتدفع عنها هذه الخاطرة ؛ لأنها « حرام » !! ؛ فيستبد بها الغيظُ وتتساءل فى حُرقةٍ بالغةٍ : إذن « لِمْ تُستباح ؟!!» ؛ ويغلى الغيظُ فى صدرها حقداً على الرجال ؛ وتتشفَّى بتوزيع الداء عليهم ؛ ولكنها تتذكَّر أنهم ليسوا سواء : فمن كان منهم كأهل قريتها كانوا أُناساً طيبين ؛ جائعين مثلها « ومثل آلاف

البغايا ؛ بالخُبز والأطمار يؤتجرون » ؛ ومن كانوا كالذين اغتصبوها من جُنْدِ الحرب : فهم المجُرمون حقّاً ؛ فى استعلائهم وزهوهم.

وتسمع وقع أقدام السَّكارى ؛ فيتمثَّل لها الوجُود كُلّهُ مقسوماً فى شطرين يفصل بينهما سور : هاهُنا بغايا ؛ وهُنالك سكارى!! : تلك هى حياة البشر !! ؛ وكُلُّ فريقٍ منهما يطلب الآخر ؛ ولكن السُّور عنيدٌ كسور يأجوج ومأجوج الذى سمعت عنه فى الصِّغَر ؛ لا يُمكن أن يدُكَّهُ إلا طفل اسمه « ما شاء الله » ؛ ويُدركها الإحساس بأن الزُّناة يُعرضون عنها !! ؛ ألانها عمياء؟!! ولكن الذين يطلبون جسدها لا يبحثون فيه عن عينيها ؟!! ؛ أترى أن رفيقتها « ياسمين » هى سبب إعراضهم عنها لأنها تُزيِّنها بالطلاء ؛ فتتعمَّد تشويه محاسنها ؟!! ؛ ولكن لا !! ؛ إنها تغيَّرت حقّاً عن تلك الصبيَّة التى كان شعرها يلهث بالرغائب والطراوة والعبير !! ؛ الصبية ذات الثغر الجميل والنَّهد الكاعب !! ؛ ولكن إلى متى هذا الجوع والذُّباب قد شبع من قمامة المدينة؟!! ؛ الجوع الصارخ يجعلها تصرخ بينها وبين نفسها مُستدعية السَّكارى مُدِلَّة بنسبها العربىِّ !! ؛ لمَ لا يأتى هؤلاء السَّكارى فيُضاجعون دماء الفاتحين ؟!! ؛ دم خير الأُمم كما كان أبوها يقول !! ـ ليكون فى ذلك درسٌ لكُلِّ أبٍ لا يُزوِّج ابنته مُتشبِّثاً بخُرافة النَّسَب !! ..

وتسطع المُفارقة حين تتذكَّر المصباح الذى تُضيئه للآخرين وهى لا تراهُ بزيتٍ تدفع ثمنه من سُهاد مُقلتها الضريرة !! ـ والزيت غزيرٌ فى بلدها ـ ؛ عشرون

عاماً مضت وهى تأكل بنيها من سَغَبٍ !! ؛ تُريد الحياة وهى تخُون سُنَّة الحياة !! ؛ وقد ماتت « رجاء » ابنتها ؛ ولكن موتها كان راحة لها!! انتظار !! انتظار !! :

« الباب أُوصدَ... ؛ ذاكَ ليلٌ مر... ؛ فانتظرى سواه !! ».

ومن هذا العرض الموجز يتضح مبنى القصيدة ؛ وتظهر الحلقات التى تكون السِّلسلة : الطُّيور!! القهقهات !! وقع أقدام !! تذكر المصباح !!.

وفى جوف كُلِّ حلقةٍ منها خواطر مُستدعاة أيضاً ؛ فالتداعى فى داخل الحلقات موضوعىٌّ ـ مثلا : تمنِّى الزواج ؛ لا زواج فالانتحار بديل ؛ لا انتحار فاحتجاج جريح : لِمْ تُستباح؟!! ـ ؛ ولكن تداعى الحلقات نفسها تعسُّفىٌّ يفرضه الشاعر للاستمرار فى البناء ؛ وليس من رابطةٍ بينهما كما أشرت من قبل ؛ سوى صلتها بالمرأة التى تتحدَّث عنها القصيدة.

وهذا بناءٌ سهلٌ لا يُكلِّف الشاعر شيئاً من التخطيط سوى أن يترك « بطل » القصيدة حُرَّاً فى هواجسه ؛ يُثبت ما يشاء منها ويحذف ما يشاء ؛ ولا يقف هذا الشكل حين يقف إلا عند التعب من التذكُّر ؛ أو عند فُقدان المدد الهاجسىِّ الصالح للإثبات والاختيار ؛ ولهذا جاءت خاتمة القصيدة مُؤقَّتة ؛ أعنى أنها حين أعلنت « ذلك الليل مرَّ فانتظرى سواه » تركت الباب مفتوحاً للتقفية على آثارها بقصيدةٍ أُخرى ؛ ومثل هذا المبنى يُوفِّر وحدةً موضوعيَّةً ونفسيَّةً ؛ كما يكفل إيجاد جوٍّ عامٍ يُقوِّى هاتين الوحدتين ؛ ولكنه

لا يستطيع أن يُؤمِّن « وحدة ضرورة » ؛ أعنى نمو الحلقات نُمُوًّا حتميًّا ؛ إحداهما من الأُخرى.

وقد كان من المُمكن لهذا المبنى أن يكون مُركَّباً لو كانت الرجعات الخاطفة تنقُّلاً بين « المونولوج » الداخلىّ وتيَّار الحياة الخارجىِّ ؛ ولكن الشاعر آثر أن يُيسِّر على نفسه حين راوح بين القصص السَّردىِّ والتأمُّل الاستطرادىِّ ؛ حتى أنَّه ليستنفر الأُسلُوب الملحمىَّ فى سياق القصة نفسه :

«يا ذكريات علامَ جئتِ على العمى وعلى السُّهاد ؟!!

... ؛ لا تُمهليها فالعذاب بأن تمرى فى اتئاد

... ؛ قُصِّى عليها كيف مات وقد تضرَّج بالدماء . ».

فبدلاً من أن يتركها تعرض القصة من الداخل ؛ يأخذ هو دور الموجه للسياق القصصىِّ.

إذن ؛ فإن المبنى لا يجعل من قصيدة « المومس العمياء » قصيدة مُتميِّزة ؛ أو نُموذجاً للقصيدة

كما يُريدها الشِّعر الحديث.

فهل هُناك عناصر تكفُل لها القبول فى النطاق الشعرىِّ العام؟.

هُناك لُباب ؛ وأهداب :

أمَّا اللُّباب : فيتمثَّل فى الفكرة المحوريَّة ؛ وهى الصورة الداخليَّة القابعة وراء الانشغال بالصورة الجُزئيَّة : صُورة فتاةٍ مسكينةٍ جنت عليها ظُرُوف العيش.

وتقُول الصورة : إن المجتمع ـ من حيث الأخذ والعطاء ـ فريقان :

فريق المُسخَّرين ـ بفتح الخاء المُشدودة ـ : وهم هؤلاء الطيِّبون الذين يُؤجرون مُقابل الشِّبَع ؛ وهم يأنفون من لفظة « بَغِىّ » ؛ دُون أن يكون بينهم وبينها فرق فى طبيعة المُعاملة المُتسلِّطة التى تنحدر فوق رؤوسهم.

وفريق أرباب « السهام التبرية » التى تُصفِّر فى الهواء ؛ وبها قُتِلَ والد سليمة ؛ وباسمها قامت الحرب ؛ وبفعلها تم تحويل البنت الشريفة إلى بَغِىٍّ ؛ والرَّجُل العاطل إلى قَوَّاد ؛ والشُّرطىِّ إلى حارس على مُمارسة الزِّنا بعد دفع الثمن للدولة.

وعندما تحوَّل هذا المجتمع على هذا النحو ؛ انقسم أهله فى فريقين :

فريق السَّكارى : وهم الرجال العُمْى الذين يدفنون خروق جواربهم فى أحذيتهم ويُساومون

البَغِىَّ ليوفِّروا ثمن العُطُور.

وفريق البغايا : وَهُنَّ جميع النساء اللواتى يمارسن حياة البُؤس فى ظلِّ الزوج أو دون زوج.

وبين الفريقين سُور كسور يأجوج ومأجوج لا يفتحه إلا « الشاطر » المُسمَّى « ما شاء الله » .

وهذا هو القدر فى اعتقاد أولئك التُّعساء :

ومن الملومُ وتلك أقدارٌ كُتبنَ على الجبين؟!!

حتمٌ عليها أن تعيش بعرضها؟!!
واللهُ ـ عَـزَّ اللهُ ـ شاء
أن تقذف المُدُنُ البعيدة والبحارُ إلى العراق
آلاف آلاف الجنود ؟!!
اللهُ ـ عَـزَّ وَجَلَّ ـ شاء
ألا يكُنَّ سوى بغايا أو حواضن أو إماء
أو خادماتٍ يستبيح عفافهُنَّ المُترفون

هل يُريد الشاعر أن يُثير النِّقمة على « القدر » ؟!!

إنَّهُ يسرد ما يعتقده أُولئك البائسون دُون تلميحٍ ؛ ولكن ما شاء أن يأخذ التقرير مُوشَّحاً بِمُفارقاته : وجد فيه استهجاناً أو سُخريةً ؛ وهو أثرٌ تحجبه طبيعة الانهماك فى القصة وتفصيلاتها دُون إلماعٍ إلى رُؤيةٍ جليَّةٍ فى هذا الصدد.

ويتمشَّى مع الفكرة المحوريَّة ذلك التيَّارُ النقدىُّ فى القصيدة وهو يتناول : سيطرة المال ؛ وأثر الحرب فى المجتمع ؛ والتشبُّث بفكرة النسب الصريح ؛ وغمز الواقع المُتَّصل الاقتصادىِّ غمزاً جانبيَّاً سريعاً :

وَيْحَ العراقِ أكان عدلاً فيه أنك تدفعين !!
بسُهاد مقلتك الضريره !!
ثمناً لملء يديك زيتاً من منابعه الغزيره !!

كى يُثمر المصباح بالنور الذى لا تُبصرين؟!!

ولكن أعمق نقدٍ فى القصيدة هو ذلك الذى يُعالج العلاقة بين الحرفة والحياة: فالمرء يكدح للحياة فى خدمة إقطاعىٍّ مثلاً؛ ولكنه يخون الحياة من حيث لا يدرى؛ لأنه يُعينُ الظُّلم على الاستمرار؛ ويفتح الباب لعبوديَّة عشرات آخرين مثله.

وكذلك البَغِىُّ؛ فإن الطبيعة هيَّأتها لتكون أُمًّاً؛ ولكنها تُضاجع الرِّجال لتأكل؛ لا لتُبقى على استمرار النسل؛ بل تتعمَّد أن لا تُثمر تلك المُضاجعة؛ فتقطع بذلك حبل الحياة؛ وتضفر حبلاً سواه؛ فتُشنق فى النهاية بالحبل الذى تضفره.

ذلك هو لُباب القصيدة؛ وهو يمنحها قُوَّةً موضوعيَّةً وفكريَّةً.

أما الأهداب: فهى العلائق التجميليَّة والتخيُّلات الفنيَّة؛ ومنها: اعتماد الرُّموز والأساطير؛ فهذه أول قصيدة يتكئ فيها السَّيَّاب على الأساطير اليونانيَّة وغيرها بشدَّة؛ وكان من قبل لا يشتشير سوى قصة قابيل؛ أما الآن فهو يجمع إلى تلك القصة صورة ميدوزا وأوديب وأفروديت وفاوست وأبولو.

ولكن هذه الأساطير تدخل فى قصيدته مدخل الإشارات التاريخيَّة؛ والأُسطورة الوحيدة التى تحتل موضعاً راسخاً فى قصيدته هى التى تحدَّث فيها عن يأجوج ومأجوج والسُّور:

سُورٌ كهذا حدَّثوها عنه فى قصص الطفوله
يأجوج يغرز فيه من حَنَقٍ أظافره الطويله
ويعضُّ جندله الأصم ؛ وكف مأجوج الثقيله
تهوى كأعنف ما تكون على جلامده الضخام
والسور باقٍ لا يَكَلُّ... ؛ وسوف يبقى ألف عام
لكن : إن شاء الإله
طفلاً كذلك سمَّياه
سيهيبُّ ذات ضحى ويقلع ذلك السور الكبير

ومن تلك الأهداب : استغلاله المُفارقة الساخرة فى القصيدة : المُفارقة التى فيها الحارس ساهرٌ على اقتضاء حقِّ الدولة فى إجازة الخطيئة لا على حماية الناس منها !! ؛ وتجعل هذا الحارس نفسه وهو فى حىِّ البَغَايَا يُردِّد أُغنية :

« تصف السنابل والأزاهر والصبايا »

والمُفارقة التى تجعل الذُّباب شبعان من قمامة المدينة ؛ والخيول تجد غذاءها فى الحظائر والحقول ؛ وبينهما الإنسان جائع!!.

والمُفارقة التى جعلت « الشرف الرفيع » و « الإباء » و « العِزَّة القعساء » سلعاً تُعرض فى سوق الشهوات فلا تجد مُشترياً !!.

والمُفارقة التى تجعل عمياء تُنفق كسبها القليل لإضاءة مصباح.

ثم تلك المُفارقة الساخرة فى الأسماء : فالمرأة تُسمَّى سليمة وهى لديغةٌ

تسوطها الشهوات وترقع وهيها بالدهان !! ؛ وإذا عميت أصبح اسمها « صباح » ؛ وإذا رُزقت بنتاً سمَّتها « رجاء » ليموت رجاؤها جُملة!!.

وهُناك عُذوبة الاقتباس من حياة الناس فى أحاديثهم اليوميَّة وأغانيهم :

وتوسلته « فدى لعينك... ؛ خلِّنى بيدى أراها »

وصدىً يُوشوش : « يا سليمة !! يا سليمة !! »

نامت عُيُونُ الناس آهٍ !! فمن لقلبى كي يُنيمه »

ومُحاكاة الأُغنية الشعبيَّة بما يكسر من حِدَّةِ الاندفاع السَّردىِّ فى قوله :

كالقمح لونك يا ابنة العربِ

كالفجر بين عرائش العنبِ

أو كالفُرات على ملامحه

دِعَة الثرى وضراوة الذهبِ

لا تتركونى فالضحى نسبى

من فاتحٍ ومُجاهدٍ ونبى

وهذا الارتكاز على لُبابٍ جوهرىٍّ وأهداب : تُعتبر فى مُجملها علائق فنيَّة جميلة ؛ قد يعوض بعض تعويض عن التعسُّف الذى أدخل الحيف على المبنى الفنىِّ الكُلىِّ ؛ إذ نجد فى اللُّباب مطلباً أكبر من الحديث عن مومسٍ بائسةٍ ؛ كما نجد فى الأهداب مُكمِّلات ضروريَّة للبراعة فى السرد أو فى التصوير.

ومع أن القصيدة لا تتحمَّل بُعداً رمزيًّاً فى جميع شُخُوصها وأحداثها ؛ فإنها يُمكن أن تتخذ فى عُمُومها صورةً لوضعٍ اجتماعىٍّ عامٍ يسُودهُ : الاضطراب ؛ والفقر والتشبُّث بِمُثلٍ باليةٍ ؛ إلا أنها تصف أكثر مما تضرب جُذُور العِلَل والأدواء ؛ ولا تحمل المُسوِّغات حين تحشد الكوارث ؛ وتُطلق « الجبرية » من عِقَالِهَا ؛ وَتُغِلُّ يد الإنسان عن التغيير ؛ وتلقيه فى الانتظار ؛ ولعلَّ بواعثها الذاتيَّة إنما كانت نقمة الشاعر على المدينة وسأمه النفسىّ من تجاربه فى دُرُوبها المُظلمة.

وقد خضع السَّيَّاب فيها لمؤثرات خارجية :

أما فى الموضوع : فإنه كان مأخوذاً بسحر الرِّوايات الميلودراميَّة الشائعة التى تُهوِّل على المُشاهدين بما تُكدِّسه من فواجع ؛ لاعتقاد كُتَّابها أن ذلك يبتز العطف والرِّثاء ؛ ويستدر الدُّموع.

وأما فى السياق : فقد أراد أن تكون القصيدة شاهداً على اتِّساع الثقافة ؛ ولهذا حشد فيها كثيراً من الإشارات إلى الأساطير ـ كما رأينا ـ ؛ وقد بدت أكثر تلك الإشارات مُجتلبة ؛ ما عدا ذكر أوديب : توطئةً للحديث عن العمى ؛ ورمزاً للاستباحة العمياء التى لا تستطيع التفرقة بين الحلال والحرام ؛ ثم إن « أوديب » فى القصيدة شديد بروحها « الجبريَّة » التى تُشبه فكرة القدر اليونانيَّة ؛ وهى فكرة العقاب للبرىء أو المخطئ جهلاً دُون تقديم عِلَّة ؛ حتى ولا عِلَّة امتحان المؤمن ـ كما فى قصة أيوب ـ .

وقد كان السَّياب بحاجةٍ إلى أن يُدرك أن ترديد الأسماء الأُسطوريَّة أو التاريخيَّة محض ترديدٍ لا يصنع رُمُوزاً ؛ وأن صهر الإشارات فى سياق القصائد أكثر انسجاماً وأقدر على تحقيق حُسْنِ الظنِّ بالثقافة الواسعة.

ففى قوله :

إنك تقطعين

حبل الحياة لتنُقضيه وتضفرى حبلاً سواه

إشارة إلى بنيلوبه وهى تحيك غزلها ثم تنقضه فى انتظار عولس ؛ ولكنها انصهرت فى السياق ؛ وأصبحت تُومئ من بعيدٍ إلى قصةٍ قديمةٍ ؛ وهى على هذا النحو خيرٌ من التصريح بذكر بنيلوبه وفرضه على المُقرئ فرضاً.

وليس فى كُلِّ حينٍ يكون الاستمداد من النبع الثقافىِّ مُوفَّقاً.

كيف كانت فى الصبا ؛ حتى تُنكر من نفسها ما صارت إليه :

تلك المُعابثة اللعوب !! كأنها امرأةٌ سواها !!

كالجدولين تخوض ماءهما الكواكب ؛ مُقلتاها !!

والشعر يلهث بالرغائب والطراوة والعبير

كانت إذا جلست إلى المرآة يفتنها صباها

فتظل تعصر نهدها بيدٍ ؛ وتحملها رؤاها

من مخدع الآثام فى المنفى ... ؛ إلى قصر الأمير

تقتات بالعسل النقىِّ وترتدى كسل الحرير

وهذه اللفتة مُستمدةٌ من ثقافة السَّيَّاب ؛ فقد قرأ لعُمر أبو ريشه قصيدته جان دارك ـ فيما أحسب ـ

... ؛ وقد ضلَّ السياب حين تابع أبو ريشة ؛ كما ضلَّ صاحبه من قبل ؛ وكلاهما غَرِفَ من شهوات نفسه ما سكبه على « بطلة » قصيدته ؛ لا لأنَّ « جان دارك » لم تكن فتاة جميلة ريَّانة العود مُفعمة بالشهوة ؛ ولا لأنَّ « سليمة » لم تكن مُكتملة الأنوثة صاخبة النفس بأحلام الجنس ؛ ولكن لأنَّ من يُريد أن يتحدَّث عن « قِدِّيسة » فى قصيدة لا فى سيرة حياة ؛ لا يتحدث عن لبؤة قد تضرَّمت بها نيران الشهوة ؛ ومن يُريد أن يُثير عطف الناس على مُومسٍ أذلَّتها الحياة لا علاقة له بالحديث عن سُعار الجنس الذى كان يستبد بها فى شبابها ؛ إذ كيف يُصدِّق الناس أن حاجتها هى التى دفعتها إلى ذلك المُنحدر دُون تركيبها الشهوانىِّ المُستعر بشبقٍ جارفٍ ؟!!. ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ نِزَار شَاهِين:

كُنْتُ بَعْدَمَا فَرَغْتُ مِن تَصْنِيفِ كِتَابِى « النَّقْدُ الأَدَبِىُّ » ـ المَنْشُورُ بِمُؤسَّسَة دَار أَطْلَس لِلنَّشْرِ وَالإِنْتَاجِ الإِعْلامِىِّ بِالقَاهِرَة ـ ؛ تَحَدَّثْتُ فِى القِسْمِ الثَّانِى مِن هَذَا الكِتَابِ عَن نَظَرِيَّتِى الجَدِيدَةِ وَالمَوْسُومَةِ بِـ: « نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ الصَّوْتِىِّ » ؛ ثُمَّ أَتْبَعْتُهَا بِقَصَائِدِى الَّتِى تَتَوَافَقُ وَهَذَا النَّمَطُ الشِّعْرِىُّ الجَدِيد ... ؛ وَمَازِلْتُ أَقُول: أَنَّ أَرْوعَ أَنْمَاطِ الشِّعْرِ الصَّوْتِىِّ ؛ هُوَ ذَلِكَ الَّذِى يَخْضَعُ لِقَوَانِينِ وَأُصُولِ الهَمْسِ الشِّعْرِىِّ ؛ والَّذِى نَادَى بِهِ الدُّكْتُور مُحَمَّد مَنْدُور ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ ... ؛ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِك ؛ فَهَا هِىَ قَصَائِدِى ﴿الصَّوْتِيَّة الهَمْسِيَّة﴾ ؛ انْتَخَبْتُهَا مِن دِيوَانِى المَوْسُومِ بِـ: ﴿ عِنْدَمَا نَجْلِسُ سَوِيًّا ﴾ ؛ رَغْبَةً مِنِّى فِى تَدْعِيمِ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ الجَدِيدَةِ عَن طَرِيقِ أَشْعَارِى وَقَصَائِدِى الَّتِى نَسَجْتُهَا يَرَاعَتِى.

وَكَتَب:

محمد محمود دحروج

﴿ نِزَار شَاهِين المِصْرِى ﴾

ـ المُنْتَخَب مِن دِيوان :

عندما نجلس سويًّا

لِشَاعِـرِ الشَّمَـال

محمـد محمـود دحـروج

الشَّهِيرِ بِـ :

« نِـزَار شَـاهِين المِصْرِى »

اخْفِض يَدَاك

اخْفِض يَدَاك !!... ؛ اخْفِض يَدَاك!!... ؛ فَلَيْسَ مِن أَحَدٍ هُنَاك؟!!... ؛ لا صَحْبَ لا إِخْوَانَ لا أَحَداً أَرَى!!... ؛ فَلِمَن تُشِيرُ وَتَبْتَغِى بَيْنَ الوَرَى؟!!... ؛ وَلِمَا مَجِيئُكَ وَالرِّيَاحُ الهُوجُ عَاصِفَةٌ؟!!... ؛ وَلِمَا وُقُوفُكَ بَيْنَ أَسْتَارِ الظَّلام؟!!... ؛ فَتَنَهَّدَ القَلْبُ الخَفُوقُ مُرَدِّداً لَحْنَاً جَمِيلاً لا يُصَوِّرُهُ الكَلام!!... ؛ وَأَجَبْتُهُ : ... ؛ لا صَحْبَ لا إِخْوَانَ جِئْتُ لأَنْتَظِر!!... ؛ بَل جِئْتُ مُنْتَظِراً لِقَادِمَ مِن سَفَر!!... ؛ فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ العَجُوزُ وَقَد تَهَدَّمَ مِن كِبَر!!... ؛ قَالَ ابْنُ عَمِّكَ جِئْتَ تَرْقُبُهُ؟!! ... ؛ قُلْتُ ابْنُ عَمِّى مِن لَيَالٍ قَد حَضَر!!... ؛ أَنَا جِئْتُ كَى أَرْقُب أَبِى إِى قَالَ فِى هَذَا المَسَاءِ أَنَا أَعُود!!... ؛ وَتَحَيَّرَ الشَّيْخُ العَطُوفُ بِفَجْأَةٍ عَصَفَت رِيَاحٌ وَسْطَ صَرْخَاتِ الرُّعُود!!... ؛ وَبِصَوْتِهِ الفَانِى ابْتَدَر!!... ؛ اخْفِض يَدَاك !! ... ؛ اخْفِض يَدَاكَ فَلَيْسَ مِن أَحَدٍ هُنَاك؟!!... ؛ اخْفِض يَدَاك !!... ؛ قَد مَاتَ مُذ عَامٍ !!... ؛ فَبَعْدَ اليَوْمِ !!... ؛ لا تَرْقُب أَبَاك !!.

فِى بَلْدَةِ الصَّمْتِ اللَّعِين !!

فِى بَلْدَةٍ ظَلْمَاءَ فِى البَرْدِ اللَّعِين !!... ؛ فِى بَلْدَةٍ تَحْيَا بِوَسْطِ الصَّمْتِ لَم تَعْرِف بِيَوْمٍ سِرَّ أَطْيَافِ الحَيَارَى الحَالِمِين !!... ؛ فِى قَلْبِ مَمْلَكَةِ الجَنُوبِ العَابِثَه ... ؛ حَيْثُ المَدَائِنُ وَالقُرَى لَم تَدْرِ يَوْمَاً مَا البَرَاءَةُ مَا الحَنِين !!... ؛ فِى بَلْدَةٍ قَتَلَت أَبِى !!... ؛ وَإِذَا نَظَرْتُ بِلَيْلِ وَحْشَتِهَا أَرُومُ جَوَابَهَا ؟!!... ؛ قَالَت سُؤالُ بِلا جَوَابُ الدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبِ !!... ؛ وَكَذَا قَضَيْتُ عَلَيْكَ بِالتُّعْسِ اللَّعِينِ فَلا سَبِيلَ وَلا هُنَا مِن مَهْرَبِ !!... ؛ وَبَقِيتُ فِى قَهْرِ المَسَالِكِ سَائِرَا !!... ؛ عَيْنَاىَ كَاللَّهَبِ الحَزِينِ وَأَمَّا قَلْبِى فَهُوْ يُزَلْزِلُ ذَا الكَيَانِ يَصِيحُ فِى طَيْشٍ بِكُلِّ جَوَانِبِى !!... ؛ وَبُعَيْدَ سَبْعٍ مِن سِنَى عُمْرِى جَنِيتُ شَقَاوَتِى !!... ؛ وَذَهَبْتُ لِلنَّهْرِ البَعِيدِ لِكَى أَعُود ... ؛ فَرَأَيْتُ أَشْرِعَتِى كَذِكْرَى !!... ؛ وَسْطَ نِيرَانِ الجَحِيمِ سَفَائِنِى !!... ؛ وَهُنَاكَ أَشْلاءٌ لِبَعْضِ مَرَاكِبِى !!... ؛ وَبِلَحْظَةٍ رَعْدُ السَّمَاءِ يَهُزُّنِى !!... ؛ كُلُّ النُّجُومِ تَنَاثَرَت !!... ؛ غَارَت هُنَاكَ كَوَاكِبِى !!... ؛ وَرَجَعْتُ أَعْدُو نَحْوَ قَافِلَةِ القِطَار ... ؛ وَقُبَيْلَ طَرْفِ العَيْنِ قَد وَلَّى !!.... ؛ وَسَار !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى عَالِقَا !!... ؛ أَنْظُر فَلا أُبْصِر سِوَى غَيْمِ السَّمَاءِ وَلا أَرَى غَيْرَ السَّوَادِ بِلَيْلِ أَوْدِيَةِ المَرَار !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى وَسْطَ صَوْتِ البُومِ أَشْبَاحٌ تُطَارِدُنِى تَحُومُ وَوَسْطِ صَيْحَاتِ الرِّيَاح !!... ؛ أَمْشِى يُوَاجِهُنِى الفَنَاءُ حَقِيبَتِى مَلأى مِنَ الخَوْفِ المُفَزِّعِ !!... ؛ وَالمَآسِى !!... ؛ وَالجِرَاح !!.

العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى

«العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى... ؛ كُلُّ اللَّيَالِى الخَالِيَه... ؛ عَبَرَت وَقَالَت فِى أَسَى ... ؛ بَل عِشْ بِحُزْنِكَ يَا فَتَى... ؛ العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى.

العِشْقُ حُلْمٌ لَم يَكُن ... ؛ إِلاَّ كَأَشْعَارٍ غَدَت ... ؛ وَكَأَنَّهَا فِى حَسْرَةٍ وَبِدَمْعِ رَاهِبَةٍ تُنَادِى : ...إِلَى مَتَى ؟!!... ؛ اليَوْمَ لا أَمَلٌ هُنَاكَ فَمَا عَسَى ؟!! ... ؛ العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى.

العِشْقُ أَضْحَى مِن أَمَد ... ؛ أُضْحُوكَةَ الرِّيحِ الَّتِى... ؛ جَعَلَتْهُ يَحْيَا عَاجِزَاً... ؛ بَيْنَ التَّعَاسَةِ وَالكَمَد ... ؛ يَحْيَا بِعُزْلَةِ قَهْرِهِ ... ؛ مِن غَيْرِ آمَالِ الزَّمَانِ وَلا أَحَد ... ؛ صَوْتٌ يُنَادِى مِن بَعِيد... ؛ صَوْتٌ كَقَهْرِ اليُتْمِ بَيْنَ رِفَاقِهِ فِى يَوْمِ عِيد ... ؛ صَوْتٌ يُبَاعِدُ بَيْنَ أَيَّامِى وَبَيْنِى... ؛ صَوْتٌ يُذَكِّرُنِى بِعَهْدِ الحُلْمِ فِى لَيْلِ التَّمَنِّى ... ؛ أَحْبَابَ رُوحِى غِبْتُمُ... ؛ وَسَكَنْتُمُ قَلْبِى وَمَا... ؛ يُغْنِى الخَيَالُ المُشْتَهَى... ؛ وَغَدَاً أَسِيرُ بِلا رُجُوع ... ؛ أَمْضِى بِحَيْثُ أَقِف !!... ؛ بِيَوْمِ المُنْتَهَى.

إِى هَكَذَا ... ؛ إِى هَكَذَا كَانُوا المُنَى... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى فِى جِوَارِ الصَّمْتِ فِى لَيْلِ العَنَا... ؛ رَحَلُوا كَطَيْفٍ قَد عَبَر ... ؛ صَارُوا هُنَاكَ وَكَانُوا فِى عَهْدٍ مَضَى !!... ؛ أَو قَد غَبَر... ؛ ذَهَبُوا فَلا يُجْدِى التَّوَهُّمُ... ؛ وَالرَّجَاءُ المُنْتَظَر... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى وَاقِفَا... ؛ رَحَّالَةٌ نَبَذَ المَسِيرَ وَفَاضَ مِن فَرْطِ

السَّأَم... ؛ وَلِذَا تَرَاهُ عَنِ البَوَارِقِ وَالخَوَاطِفِ وَالمَطَامِعِ ؟!!... ؛ عَازِفَا ... ؛ إِى هَكَذَا... ؛ مَا عُدتُ أَعْبَأُ فِى حَيَاتِى بِمَن وَذَا ... ؛ فَوْقَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَد دَمِيَت خُطَاه ... ؛ وَطَرِيقُهُ مِثْلُ الجَحِيمِ مِنَ المُحَالِ بِأَن تَرَى يَوْمَاً مَدَاه !! ... ؛ عَيْنِى الضَّعِيفَةُ لا تَرَى غَيْرَ السُّكُونِ وَبَعْضِ أَجْبَالِ السَّحَابِ القَاتِمِ ... ؛ وَالكَوْنُ وَجْهٌ ؟!!... ؛ مِثْلُ مَلْعُونٍ كَئِيبٍ وَاجِمِ ... ؛ وَأَنَا هُنَا ... ؛ وَأَنَا هُنَا فِى الأَرْضِ مَا فِى جُعْبَتِى ؟!!... ؛ غَيْرُ الرَّجَاءَاتِ الَّتِى صَارَت سُدَى ... ؛ وَلَّت وَضَاعَت فِى المَدَى... ؛

أُذُنِى تَسَمَّعُ صَوْتَ بُومٍ قَد أَتَى ... ؛ يُخْبِر

وَيُنْذِر قُرْبَ سَاعَاتِ الرَّدَى... ؛ ذَهَبَت نُجُومُ اللَّيْلِ

وَاعْتَذَرَ القَمَر... ؛ أَمَّا أَنَا ؟!! ... ؛ شَبَحٌ يَجُوبُ

الدَّرْبَ لا أَحَدٌ سِوَى !!... ؛ وَقْعِ المَطَر.

... ؛ هَذَا أَنَا !!... ؛ هَذَا أَنَا !!... ؛

وَكَأَنَّنِى حَتَّى نِهَايَةِ رِحْلَتِى !!... ؛

سَأَظَلُّ مَأْسُوراً هُنَا !!.».

أَبْنَاءُ حِيلِى كُلُّهُم !!

أَبْنَاءُ حِيلِى كُلُّهُم يَضْحَك هُنَالِكَ
فِى مَوَاسِمِ الحَصَاد !!
كُلُّهُم يَجْنِى الزُّهُورَ بِنَشْوَةٍ ... ؛ لَم يَعْرِفُوا
يَوْمَاً شَقَاءَ الدَّهْرِ لَم تُبْصِر عُيُونُهُمُ ذُبُولَ
النَّفْسِ فِى لَيْلِ التَّعَاسَةِ وَالعِنَاد !!
وَأَنَا هُنَا !!... ؛ مَجْهُولُ مَالِى مِن وَطَن !!
... ؛ مَجْهُولُ مَالِى مِن بِلاد !!... ؛ فَاللَّعْنَةُ
الشَّوْهَاءُ تَرْقُبُ رِحْلَتِى !!... ؛ وَأَنَا هُنَا فِى عُزْلَتِى !!
... ؛ أَمْشِى بِوَادِ التِّيهِ لا حَقٌّ هُنَاكَ !!... ؛ وَلا رَشَاد !!
أَبْنَاءُ حِيلِى كُلُّهُم فِى بَرْدِ أَزْمِنَةِ العَنَا يَنْعَم بِدِفءِ
الحُبِّ يَجْلِسُ بَيْنَ أَطْفَالٍ صِغَار !!
وَأَنَا هُنَا فِى وِحْدَتِى حَظِّى التَّعَاسَةُ وَالكَآبَةُ وَالمَرَار !!
أَبْنَاءُ حِيلِى كُلُّهُم يَجْلِس هُنَاكَ بِوَسْطِ لَيْلٍ فِى
أَحَادِيثِ السَّمَر !!
وَأَنَا هُنَا ضَاعَت بَقَايَا قُوَّتِى !!... ؛ أَمْشِى بِحُزْنِى
تَحْتَ أَجْبَالِ المَطَر !!
أَبْنَاءُ حِيلِى كُلُّهُم قَضَّى العُمُرْ مَا بَيْنَ أَعْرَاسٍ

وَأَعْيَادٍ وَبَيْنَ مَلاعِبِ !!
وَأَنَا هُنَا !!... ؛ لا تَنْقَضِى مِن طُولِ أَيَّامِ الشَّقَاءِ
عَجَائِبِى !!
آمَالُ عُمْرِى فِى سُقُوطِ دَائِمٍ !!... ؛ وَالقَحْطُ
مَنْثُورٌ !!... ؛ بِأَرْضِ رَغَائِبِى !!
كُلُّهُم يَرْشُف رَحِيقَ الحُبِّ فِى أَرْضِ الهَوَى !!
... ؛ وَأَنَا هُنَا أَرْثِى لِعِشْقٍ قَد تَهَالَكَ أَو تَوَلَّى
أَو غَوَى !!
كُلُّهُم يَعْلَم مَتَى يَمْضِى !!... ؛ وَكَيْفَ تَعُودُ فِى
نَصْرٍ خُطَاه !!
وَالشَّاعِرُ الحَيْرَانُ يَجْهَدُ فِى الفَيَافِى وَالقِفَار !!
... ؛ يَجْنِى الخَرَائِبَ وَالشَّدَائِدَ !!... ؛ لَم يَرَ !!
... ؛ يَوْمَاً مُنَاه !!

«سَأَلَتْنِى مَن؟!!»

«سَأَلَتْنِى مَن؟!! ... ؛ إِى أَنْتَ يَا ابْنَ الصَّمْتِ قُل ؟!!... ؛ قُل أَنْتَ مَن ؟!! ... ؛ فَخَجِلْتُ مِن عَجْزِى... ؛ وَلَم أَنْطِق... ؛ وَاهْتَزَّت الأَرْضُ الَّتِى حَمَلَتْنِى أَقْدَامِى عَلَيْهَا مِن سِنِين !! ... ؛ أَنَا مَن أَكُون ؟!!... ؛ فَلْتَسْأَلُوا عَنِّى دُرُوبَاً فِى ظَلامٍ لَم تَزَل ... ؛ فَلْتَسْأَلُوا عَنِّى بِأَوْدِيَةِ الحَيَارَى التَّائِهِين !!.

قَالَت أَجِب !!... ؛ فَإِلَى مَتَى تَبْقَى بِحِصْنِكَ قَابِعَاً وَسْطَ السُّكُون ؟!! ... ؛ قَالَت أَجِب !!... ؛ مَا مِن فَتَىً إِلاَّ وَيَعْرِفُ مَن يَكُون ؟!!.

فَأَجَبْتُهَا : أَنَا شَاعِرٌ... ؛ أَنَا شَاعِرٌ أَوْطَانُهُ الوَهْمُ اللَّعِين ... ؛ إِرْثِى مِنَ الحِرْمَانِ وَالخَوْفِ المُفَزِّعِ وَالشَّجَن ... ؛ لِى ذِكْرَيَاتٌ !!... ؛ إِنَّمَا أَنَا فِى الحَقِيقَةِ لَسْتُ أَذْكُرُهَا... ؛ وَقَفَت هُنَاكَ بِخَلْفِ أَبْوَابِ الزَّمَن !!... ؛ قَد كَانَ لِى بِالأَمْسِ أَرْضٌ كُنْتُ أُبْصِرُهَا !!... ؛ اليَوْمَ مَا أَذْكُر سِوَى ... ؛ أَحْيَا بِلا أَرْضٍ بِلا أَهْلٍ بِلا حُبٍّ ... ؛ وَمَا عِنْدِى وَطَن !!... ؛ هَاذِى حَقِيقَةُ قِصَّتِى.

قَالَت فَمَا تَرْجُو ؟!!... ؛ وَمَا تَبْغِى بِسَعْيِكَ فِى بِلادٍ لَسْتَ تَعْرِفُهَا ؟!! ... ؛ وَلِمَا مَجِيئُكَ مِن دِيَارِكَ يَا تُرَى ؟!!... ؛ أَلَدَيْكَ أَحْلامٌ وَآمَالٌ وَأَفْكَارٌ ... ؛ وَشَىْءٌ مِن رُؤى ؟!!.

فَأَجَبْتُهَا : أَنَا مَا أُؤَمِّلُ أَىَّ شَىْء !!... ؛ حُلْمِى البَقَاءُ بِدَيْرِ صَمْتِى لا أَعِيشُ بَعَالَمِ الأَحْقَادِ فِى دُنْيَا البَشَر... ؛ أَمَلِى مِنَ الدُّنْيَا اللَّعِينَةِ هُوْ سُكُونِى وَعُزْلَتِى ... ؛ مَحْضُ التَّنَائِى عَن مَدَائِنَ أَهْلُهَا صُنِعَت قُلُوبُهُمُ هُنَالِكَ مِن جَلامِيدِ

الصَّخَر !!... ؛ أَنَا لَيْسَ عِنْدِى مِن رُؤى ... ؛ أَنَا لَسْتُ أَعْبَأُ بِالأُمُورِ يَكُونُ مِنْهَا وَمَا جَرَى... ؛ مُتَشَابِهٌ ذَا المَوْتُ عِنْدِى وَالكَرَى... ؛ مُتَسَاوِيَانِ... ؛ مُتَسَاوِيَانِ السَّيْرُ فِى ظِلِّ النَّعِيمِ بِطُولِ سَاحَاتِ المَدَى... ؛ وَوُقُوفُ حَيْرَانٍ هُنَاكَ عَلَى شَوَاطِىءَ لا تَرَى غَيْرَ الرَّدَى !!.

فَأَجَبْتُهَا : لا تَسْأَلِى كَيْفَ المَجِىءُ وَأَنْتَ مَن ؟!!... ؛ أَنَا مَن أَكُون ؟!!... ؛ أَنَا مَحْضُ قَلْبٍ مَا عَلَى الأَرْضِ اطْمَأَن !! ... ؛ لا تَسْأَلِينِى مَا أُرِيد ... ؛ أَنَا جِئْتُ مِن مَاضٍ تَلاشَى وَهَا أَسِيرُ بِنَحْوِ مَرْهُوبٍ بَعِيد... ؛ لا تَسْأَلِينِى مَا الَّذِى قَد كَانَ فِى يَوْمِ الفِرَار ... ؛ يَوْمِ الخِيَانَاتِ الَّتِى مَاجَت بِهَا بَلَدِى هُنَاكَ بِوَسْطِ أَوْدِيَةِ الحِصَار ... ؛ أَنَا كُلُّ مَا أَذْكُر... ؛ أَنَا كُلُّ مَا أَذْكُر خُرُوجِى لاهِثًا خَوْفَ الغُدُوِّ كَجُثَّةٍ مَطْرُوحَةٍ كَانَت لِبَعْضِ رِفَاقِنَا... ؛ خَلَّفْتُهَا!!... ؛ خَلَّفْتُهَا نَهْبًا مُقَسَّمَةً لأَنْيَابِ النُّسُور... ؛ وَخَرَجْتُ تَحْتَ ظَلامِ لَيْلِ رِحَابِهَا... ؛ وَتَرَكْتُهَا!!... ؛ وَتَرَكْتُهَا كَمَدِينَةٍ مَلْعُونَةٍ ضَاعَت هُنَاكَ!! ... ؛ بِوَسْطِ مَجْهُولِ العُصُور.!!. »».

المُنْتَخَب

مِن رَوَائِعِ الأَشْعَار

﴿ وَهِىَ القَصَائِدُ وَالأَشْعَارُ الَّتِى تَمَثَّلْتُ
بِهَا فِى مُؤَلَّفَاتِى الَّتِى أَخْرَجْتُهَا مِن قَبْل ﴾

obeikandl.com

أَحْمَدُ اللهَ حَمْـدَ شَاكِـرِ نُعْمَى
قَـابِـلٍ شُكْـرَ رَبِّـهِ غَيْـرَ آبِ .
طَـارَ قَـوْمٌ بِخِـفَّةِ الـوَزْنِ حَتَّى
لَـحِقُـوا خِـفَّـةً بِقَابِ العُقَـابِ .
وَرَسَـا الـرَّاجِحُـونَ مِن جِلَّةِ النَّا
سِ رُسُـوَّ الـجِبَالِ ذَاتِ الـهِضَابِ .
وَمَـا ذَاكَ لِـلـئَـامِ بِـفَخْـرٍ
لا ؛ وَلا ذَاكَ لِـلـكِـرَامِ بِعَـابِ .
هَكَذَا الصَّخْرُ ؛ رَاجِحُ الوَزْنِ رَاسٍ
وَكَـذَا الـذَّرُّ ؛ شَائِلُ الوَزْنِ هَابِ .
فَلْيَطِـر مَعْشَـرٌ وَيَعْلُـو فَـإِنِّـى
لا أَرَاهُـم إِلاَّ بِـأَسْفَلَ قَـابِ .
لا أَعُـدُّ العُلُـوَّ مِنْهُـم عُـلُـوًّا
بَل طُفُوًّا ؛ يَمِينَ غَيْرَ كِـذَابِ .
جِيفٌ أَنْتَنَت فَأَضْحَت عَلَى الـ
ـلُّجَّـةِ وَالـدُّرُ تَحْتَهَا فِى حِجَابِ .

وَغُثَاءٌ عَلا عُبَاباً مِنَ اليَمِّ
مِّ وَغَاصَ المَرْجَانُ تَحْتَ العُبَابِ .
وَرِجَالٌ تَغَلَّبُوا بِزَمَانٍ
أَنَا فِيهِ وَفِيهِمُ ذُو اغْتِرَابِ .

تَمَنَّيْتُ مَن أَهْوَى فَلَمَّا لَقِيتُهُ.....
.. ؛ بُهِتُّ فَلَم أُعْمِل لِسَانًا وَلا طَرْفَا !.
..... ؛ فَأَغْضَيْتُ إِجْلالاً لَهُ وَمَهَابَةً
وَحَاوَلْتُ أَن يَخْفَى الَّذِى بِى ؛ فَلَم يخفى !.

مَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِن تِلْقَاءِ أَرْضِكُمُ
إِلاَّ وَجَدْتُ لَهَا بَرْدَاً عَلَى كَبِدِى.
وَلا تَنَسَّمْتُ أُخْرَى أَسْتَفِيقُ لَهَا
إِلاَّ وَجَدْتُ خَيَالاً مِنْكَ بِالرَّصَدِ !.

بِأَهْلِى وَنَفْسِى مَن تَجَنَّبْتُ دَارَهُ
وَمَن لا أَرَى لِى مِن زِيَارَتِهِ بُدَّا.

وَمَـن رَدَّنِى إِذ جِئْتُ زَائِرَ بَيْتِهِ
وَلَـو زَارَ بَيْـتِى مَا أُهِينَ وَلا رُدَّا !.
وَمَن لا تَهُبُّ الرِّيحُ مِن شِقِّ أَرْضِهِ
فَتَـبْلُغَنِى إِلاَّ وَجَـدْتُ لَـهَا بَرْدَا !.

أَوَمَا رَأَيْتَ مَنَازِلَ ابْنَةَ مَالِكٍ
رَسَمَت لَهُ كَيْفَ الزَّفِيرُ رُسُومُهَا؟.
وَالحَادِثَاتُ وَإِن أَصَابَكَ بُؤْسُهَا
فَهُـوَ الَّذِى أَدْرَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا.

إِسَاءَةُ دَهْـرٍ أَذْكَرَت حُسْنَ فِعْلِهِ
وَلَوْلا الشَّرَى لَم يَعْرِفِ الشَّهْدَ ذَائِقُهْ.

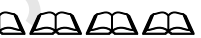

وَلا تجْزَع وَإِن أَعْسَرْتَ يَـوْمَاً
فَقَد أَيْسَرْتَ فِى الدَّهْرِ الطَّوِيلِ.
وَلا تَـيْأَس ؛ فَإِنَّ اليَأْسَ كُـفْرٌ
لَـعَلَّ اللَّـهَ يُـغْنِى عَـن قَلِـيلِ.

وَلا تَظْنُن بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالجَمِيلِ.
رَأَيْتُ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ
وَقِيلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلُّ قِيلِ.

عَسَى جَابِرُ العَظْمِ الكَسِيرِ بِطَوْلِهِ
يُهيئُ لِلعَظْمِ الكَسِيرِ فَيُجْبَرُ.
عَسَى اللَّهُ ؛ لا تَيْأَس مِنَ اللَّهِ إِنَّهُ
يَهُونُ لَدَيْهِ مَا يَجِلُّ وَيَكْبُرُ.

أُعَلِّلُ بِالمُنَى قَلْبِى لَعَلِّى
أُرَوِّحُ بِالأَمَانِى الهَمَّ عَنِّى.
وَأَعْلَمُ أَنَّ وَصْلَكِ لا يُرَجَّى
وَلَكِن لا أَقَلَّ مِنَ التَمَنِّى.

فَيَا قَلْبُ مُت حَزَنَاً وَلا تَكُ جَازِعَاً
فَإِنَّ جُزُوعَ القَوْمِ لَيْسَ بِخَالِدِ.

هَوَيْتَ فَتَاةً نَيْلُهَا الخُلْدُ فَالتَمِس
سَبِيلاً إِلَى مَا لَسْتَ يَوْمَاً بِواجِدِ.

. ؛أَحُنُّ إِلَى نَجْدٍ وَإِنِّى لَيَائِسٌ
طُوالَ اللَّيالِى مِن قُفُولٍ إِلى نَجَدِ.
وَإِنَّكَ لا لَيْلَى وَلا نَجْدَ فَاعْتَرِف
بِهَجْرٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَالوَعْدِ.

جَنَت عَلَىَّ اللَّيَالِى غَيْرُ ظَالِمَةٍ
إِنِّى لأَهْلٌ لِمَا أَلْقَاهُ مِن زَمَنِى.
فَمَا لَمَحْتُ مِن الآمَالِ بَارِقَةً
إِلاَّ بَنَيْتُ عَلَى أَجْوَازِهَا سَكَنِى.
وَمَا رَأَيْتُ مِن الأَخْطَارِ عَادِيَةً
إِلاَّ تَقَحَّمْتُ مَا تَجْتَازُ مِن فِتَنِ !!.

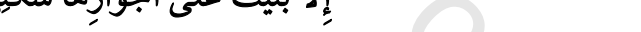

وَخَبَّرْتَنِى يَا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ
عَلَى الهَجْرِ مِن لُبْنَى فَسَوْفَ تَذُوقُ. !

فَمُت كَمَدَاً أَو عِش سَقِيمَاً فَإِنَّمَا
.....؛ تُكَلِّفُنِى مَالا أَرَاكَ تُطِيقُ.!

أَيَا كَبِدِى كَادَت عَشِيَّةَ غُرَّبٍ
مِنَ الوَجدِ إِثْرَ الظَّاعِنِينَ تصَدَّعُ.!
عَشِيَّةَ مَا فِيمَن أَقَامَ بِغُرَّبٍ
مُقَامٌ وَلا فِيمَن مَضَى مُتَسَرَّعُ.!
عَشِيَّةَ مَا لِى حِيلَةٌ غَيْرَ أَنَّنَى
بِلَقْطِ الحَصَى وَالخَطِّ فِى الدَّارِ مُولَعُ.!
أَخُطُّ وَأَمْحُو كُلَّ خَطٍّ خَطَطْتُهُ
بِكَفِّىَ وَالغِرْبَانُ فِى الدَّارِ وُقَّعُ.!
كَأَنَّ سِنَانَاً فَارِسِيَّاً أَصَابَنِى
عَلَى كَبِدِى ؛بَل لَوْعَةُ الحُبِّ أَوْجَعُ.!
وَمَا يُرْجِعُ الشَّوْقُ الزَّمَانَ الَّذِى مَضَى
وَلا لِلْفَتَى فِى دِمْنَةِ الدَّارِ مَجْزَعُ.!

إِذَا مَا شِئْتَ أَن تَسْلُو حَبِيبَاً
فَأَكْثِر دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِى.

رَمَتْنِى بَنَاتُ الدَّهْرِ مِن حَيْثُ لا أَرَى

. ؛ فَكَيْفَ بِمَن يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِ؟!.

..... ؛ فَلَو أَنَّهَا نَبْلٌ إِذَاً لاَتَّقَيْتُهَا

..... ؛ وَلَكِنَّمَا أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ!!.

وَأَفْنَى وَمَا أُفْنِى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً

وَلَم يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سَلْكَ نِظَامِ!!.

... ؛ وَأَهْلَكَنِى تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

..... ؛ وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ!!.

هِىَ الدَّارُ الَّتى تَعْرِ

فُ أَو لا تَعْرِفُ الدَّارَا ؟!.

تَرَى فيها لأَحبابِ

كَ.. ؛ أَعْلامَاً وَآثَارَا.

فَيُبْدِى القَلْبُ عِرْفَانَاً

وَيُبدِى الطَّرْفُ إِنْكارَا !.

أَمِن آلِ هِنْدٍ عَرفْتَ الرُّسُومَا

بِحُمْرَانَ قَفْراً أَبَت أَن تَرِيمَا.

.. ؛ تَخَالُ مَعَارِفَهَا بَعْدَمَا
أَتَت سِنْتَانِ عَلَيْهَا الوُشُومَا.
.. ؛ وقَفْتُ أُسَائِلُهَا نَاقَتِى
وَمَاذَا يَرُدُّ سُؤالِى الرُّسُومَا.
..... ؛ وَذَكَّرَنِى العَهْدَ آيَاتُهَا
فَهَاجَ التَّذَكُّرُ قَلْباً سَقِيمَا.

هَاتِيكِ دَارِهُمُ فَعَرِّجْ وَاسْأَلِ
مَقْسُومَةً بَينَ الصَّبَا والشَّمْأَلِ.
فَكَأَنَّنَا لَم نَغْنَ بَينَ عِرَاصِهَا
فِى غِبْطَةٍ وَكَأَنَّهَا لَم تُحْلَلِ.
لَجَّت جُفُونُكَ بِالبُكَاءِ فَخَلِّهَا
تَسْفَح عَلَى طَلَلٍ لِشِرْوَةَ مُحْوِلِ.

شَيَّعْتُهُم مِن حَيْثُ لَم يَعْلَمُوا
وَرُحْتُ ؛ وَالقَلْبُ بِهِم مُغرَمُ.
سَأَلْتُهُم تَسْلِيمَةً مِنْهُمُ
عَلَىَّ إِذْ بَانُوا ؛ فَمَا سَلَّمُوا.

سَارُوا ؛ وَلَم يَرْثُوا لِمُسْتَهْتَرٍ
وَلَم يُبَالُوا قَلْبَ مَن تَيَّمُوا.
وَاسْتَحْسَنُوا ظُلْمِى ؛ فَمِن أَجْلِهِم
أَحَبَّ قَلْبِى كُلَّ مَن يَظْلِمُ.

📖📖📖📖📖

لَّما أَنَاخُوا ؛ قُبَيْلَ الصُّبْحِ عَيْسَهُمُ
وَرَحَّلُوهَا ؛ فَسَارَت بِالهَوَى الإِبِلُ.
وَقَلَّبَت مِن خِلالِ السِّجْفِ نَاظِرَهَا
تَرْنُو إِلَىَّ وَدَمعُ العَيْنِ مُنْهمِلُ.
فَوَدَّعَت بِبَنانٍ عَقْدُهَا عَنَمٌ..... ؛
نَادَيْتُ لا حَمَلَت رِجْلاكَ يَا جَمَلُ!.
وَيْلِى مِنَ البَيْنِ ! مَاذَا حَلَّ بِى وَبِهَا ؟! ؛
يَا نَازِحَ الدَّارِ حَلَّ البَيْنُ وَارْتَحَلُوا!.
يَا رَاحِلَ العِيسِ عَرِّجْ كَى أُوَدِّعَهَا
يَا رَاحِلَ العِيسِ فِى تَرْحَالِكَ الأَجَلُ !.
إِنِّى عَلَى العَهْدِ لَم أَنْقُض مَوَدَّتَكُم
فَلَيْتَ شِعْرِى ؛ وَطَالَ العَهْدُ ؛ مَا فَعَلُوا ؟.

📖📖📖📖📖

إذا حَبَسْتُ عَلَى قَلْبِى يَدِى بِيَدِى
وَصِحْتُ فِى اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ وَاكَبِدِى!!.
ضَجَّت كَوَاكِبُ لَيْلِى فِى مَطَالِعِهَا
وَذابَتِ الصَّخْرَةُ الصَّمَّاءُ مِن كَمَدِى!!.

📖📖📖📖📖

ضَعُفْتُ عَن التَّسْلِيمِ يَوْمَ فِرَاقِهَا
فَوَدَّعْتُهَا بِالطَّرْفِ وَالعَينُ تَدْمَعُ!!.
وَأَمْسَكتُ عَن رَدِّ السَّلامِ ؛ فَمَن رَأَى
مُحِبَّاً بِطَرْفِ العَينِ قَبْلِى يُوَدِّعُ؟!.
رَأَيْتُ سُيوفَ البَيْنِ عِنْدَ فِرَاقِهَا
بِأَيْدِى جُنُودِ الشَّوْقِ بِالمَوْتِ تَدْفَعُ.
عَلَيْكِ سَلامُ اللَّهِ مِنِّى مُضَاعَفَاً
إِلَى أَن تَغِيبَ الشَّمْسُ مِن حَيْثُ تَطْلَعُ!!.

📖📖📖📖📖

كَتَبْتُ وَعِنْدِى مِن فِرَاقِكَ لَوْعَةٌ
تُزِيدُ بُكَائِى أَو تُقِلُّ هُجُوعِى.
فَلَو أَبْصَرَت عَيْنَاكَ حَالِى كَاتِبَاً
إِذَاً كُنْتَ تَرْثِى فِى الهَوَى لِخُضُوعِى.

أَخُطُّ وَدَاعِى الشَّوْقِ يُمْلِى ؛ وَكُلَّمَا
تَعَدَّيْتُ سَطْرَاً رَمَّلَتْهُ دُمُوعِى.

حَيْثُ اللِّقَا وَالنَّوَى حِلٌّ وَمُرْتَحَلٌ
وَالدَّهْرُ يَقْضِى لَنَا مِن وَصْلِكَ الغَرَضَا.
لَئِن تَعَوَّضتَ عَنِّى غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
فَعَنْكَ مَا دُمْتُ حَيَّاً لَم أَجِد عِوَضَا.

سَارُوا وَسِرُّ الوَجْدِ قَلْبِى أَوْدَعُوا
يَا لَيْتَهُم يَوْمَ النَّوَى لَو وَدَّعُوا !!.

رَحَلُوا عَنِ الأَوْطَانِ لَكِن فِى الحَشَا
نَزَلُوا ؛ وَمَا رَاعُوا ؛ وَلَكِن رَوَّعُوا.

يَا صَاحِ إِنَّ ظِبَاءَ جِيرَانِ النَّقَا
جَارُوا عَلَىَّ ؛ فَدُلَّنِى مَا أَصْنَعُ؟!.

قَسَمَاً بِهِم مَالِى غِنَىً عَنْهُم وَلَو
أَمْسَيْتُ كَاسَاتِ الأَسَى أَتَجَرَّعُ.

بَـكَيْتُ فَـلامُـونِى وَمَا حِيلَتِى إِذَا
بَـكَيْتُ وَفِى قَـلْبِى شُجُونِى وَآلامِى .
عَـلامَ تَلُومُونَ الجَرِيحَ عَلَى البُكَا
أَمَا كَانَ أَحْرَى أَن تَلُومُوا يَدَ الرَّامِى؟.
نَـشَـأْتُ فَـلَم أَنْعَم بِصَدْرٍ يَضُمُّنِى
إِلَيْهِ .. فَـضَـمَّـتْنِى مَـرَاضِعُ أَسْقَامِى .
كَـأَنِّىَ لَـم أَخْـلَق لِنُعْمَاىَ ؛ إِنَّمَا
خُـلِقْـتُ لأَحْـيَا بَـاكِيَـاً طُـولَ أَيَّامِى .
حَـيَـاتِىَ إِعْـصَـارٌ عَنِيفٌ وَمِحْنَةٌ
وَعَصْفٌ مِنَ البَلْوى يُعَكِّرُ أَحْلاَمِى .
هُـنَا فِى فُـؤَادِى آهَةٌ كَم حَبَسْتُهَا
هُنَا فِى طَرِيقِى يُطْبِقُ الهَوْلُ قُدَّامِى!!.

حَظِّى وَمَـصْرَعُـهُ فِى لِـينِ أَخْلاَقِى
وَفَيْـضُ عَطْفِى عَلَى قَوْمِى وَإِشْفَاقِى.
بَـيْـنَ النُّـجُـومِ أُنَـاسٌ قَـدْ رَفَـعْـتُهُمُو
إِلَى السَـمَـاءِ فَسَـدُّوا بَـابَ أَرْزَاقِى.

يَا أُمَّةً جَهِلَتْنِى وَهِىَ عَالِمَةٌ

أَنَّ الكَوَاكِبَ مِن نُورِى وَإِشْرَاقِى.

وَلَيْسَ لِى مِن حَبِيبٍ فِى دِيَارِكُمُ

إِلاَّ الحَبِيبَيْنِ إِمَاقِى وَأَوْرَاقِى.

لَم أَدْرِ مَاذَا طَعِمْتُم فِى مَوَائِدِكُم

لَحْمَ الذَّبِيحَةِ أَم لَحْمِى وَأَخْلاَقِى؟!!.

📖📖📖📖📖📖

سَكِّن فُؤَادَكَ ؛ ضَاعَتِ الأَحْلاَمُ

وَتَكَشَّفَت حُجُبٌ وَزَالَ ظَلاَمُ.

وَبَقِيتَ وَحْدَكَ تَسْتَعِيدُ مَشَاهِدًا

مِن حُبِّهَا حَفِلَت بِهَا الأَيَّامُ.

كَانَتْ هُنَا مِلءَ المَشَاعِرِ ؛ كُنْهُهَا

صَافٍ تُضَاءُ بِنُورِهِ الأَفْهَامُ.

كَانَتْ هُنَا مِلءَ النَّوَاظِرِ فِتْنَةً

جَبَّارَةً وَلِسِحْرِهَا أَحْكَامُ.

كَانَتْ هُنَا مِلءَ المَسَامِعِ نَغْمَةً

دَفَّاقَةً ؛ مَا خَانَهَا إِلْهَامُ.

كَانَتْ هُنَا حِصْنَاً وَصَدْرَاً حَانِياً
لا الخَوْفُ يَعْرِفُهَا وَلا الإِحْجَامُ.
لَكَأَنَّهَا بِالمَرْجِ ابْنَةُ سَابِحٍ
مَا نَالَهَا قَيْدٌ وَلاَ إِلْجَامُ.
كَانَتْ هُنَا مِلءَ الدُّنَا إِشْرَاقُهَا
وَلَهَا عَلَى عَرْشِ الفُؤَادِ مَقَامُ.
كَانَتْ هُنَا يَالَيْتَهَا دَامَت لَنَا
بِدَوَامِهَا فِتَنٌ لَهُنَّ عُرَامُ.

أَبَى الصَّبْرُ آياتٌ أَرَاهَا وَإِنَّنِى
أَرَى كُلَّ حَبْلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
وَإِنِّى مَتَى مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لا تُجِبْ
وَكُنْتَ حَرِيَّاً أَنْ تُجِيبَ وَتَسْمَعَا
تَحِيَّتُهُ مِنِّى وَإِنْ كَانَ نَائِياً
وَأَمْسَى تُرَابَاً فَوْقَهُ الأَرْضُ بَلْقَعَا
فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا
فَقَدْ بَانَ مَحْمُودَاً أَخِى حِينَ وَدَّعَا

وَكُنَّا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّى وَمَالِكَاً
لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

📖📖📖📖📖

بَيْنَ العَقِيقِ وَحَاجِرِ
أَفْنَيْتُ مَاءَ محَاجِرِى.
كَم لِى بِذَاكَ المُنْحَنَى
مِن طِيبِ عَيْشٍ نَاضِرِ.
أَيَّامَ أَرْتَعُ لِلصِّبَا
فِى كُلِّ رَوْضٍ زَاهِرِ.
وَأَرُودُ كُلَّ غَضَارَةٍ
لِلْعَيْشِ غَيْرَ محَاذِرِ.
أَحْبَابَ قَلْبِى غِبْتُمُ
وَسَكَنْتُمُ فِى خَاطِرِى.
وَجَفَوْتُمُ وَخَيَالُكُم
مِن رَحْمَةٍ لِى زَائِرِى.

📖📖📖📖📖

أَنَامُ عَلَى سَهْوٍ وَتَبْكِى الحَمَائِمُ
وَلَيْسَ لَهَا جُرْمٌ وَمِنِّى الجَرَائِمُ.
كَذَبْتُ وَبَيْتِ اللهِ لَوْ كُنْتُ عَاقِلاً
لَمَا سَبَقَتْنِى بِالبُكَاءِ الحَمَائِمُ.

📖📖📖📖📖

لابُدَّ مِن تَلَفٍ مُقِيمٍ فَانْتَظِر
أَبِأَرْضِ قَوْمِكَ أَم بِأُخْرَى المَصْرَعُ .
وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ البُكَاءَ سَفَاهَةٌ
وَلَسَوْفَ يُولَعُ بِالبُكَا مَن يُفْجَعُ .
وَلَيَأتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمٌ مَرَّةً
يُبْكَى عَلَيْكَ مُقَنَّعَاً لا تَسْمَعُ .

📖📖📖📖📖

إِن كُنْتَ نِلْتَ مِنَ الحَيَاةِ وَطِيبَهَا
مَع حُسْنِ وَجْهِكَ عِفَّةً وَشَبَابَا.
فَاحْذَر لِنَفْسِكَ أَن تُرَى مُتَمَنِّيَاً
يَوْمَ القِيَامَةِ أَن تَكُونَ تُرَابَا.

📖📖📖📖📖

يَقُولُونَ: حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نُفُوسُهُم
وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالجِبَالُ جُنُوحُ؟!.

وَلَم تَلْفِظ المَوْتَى القُبُورُ وَلَم تَزَل
نُجُومُ السَّمَاءِ وَالأَدِيمُ صَحِيحُ؟!.

فَإِن تَكُ أَفْنَتْهُ اللَّيَالِى فَأَوْشَكَت
فَإِنَّ لَهُ ذِكْرَاً سَيُفْنِى اللَّيَاليَا !!.

وَيَقُولُ دَارِى مَن يَقُولُ ؛ وَأَعْبُدِى!
مَهْ ! ؛ فَالعَبِيدُ لِرَبِّنَا وَالدَّارُ.
يَا إِنْسَ ؛ كَم يَرِدُ الحَيَاةَ مَعَاشِرٌ ؛
وَيَكُونُ مِن تَلَفٍ لَهُم إِصْدَارُ!.
أَتَرُومُ مِن زَمَنٍ وَفَاءً مُرْضِيَاً؟!
إِنَّ الزَّمَانَ ؛ كَأَهْلِهِ ؛ غَدَّارُ.
تَقِفُونَ ؛ وَالفُلْكُ المُسَخَّرُ دَائِرٌ
وَتُقَدِّرُونَ ؛ فَتَضْحَكُ الأَقْدَارُ.

أَبْلَيْتُ جِسْمِى مِن بَعدِ جِدَّتَهِ
... ؛ فَمَا تَكَادُ العُيُونُ تُبْصِرُهُ.
.... ؛ كَأَنَّهُ رَسْمُ مَنْزِلٍ خَلِقٍ
تَعْرِفُهُ العَيْنُ!! .... ؛ ثُمَّ تُنْكِرُهُ.

وَرُوِّعْتُ حَتَّى مَا أُرَاعُ مِنَ النَّوَى

.....؛ وَإِن بَانَ جِيرَانٌ عَلَىَّ كِرَامُ.

فَقَد جَعَلَت نَفْسِى عَلَى النَّأْى تَنْطَوِى

..؛ وَعَيْنِى عَلَى فَقْدِ الحَبِيبِ تَنَامُ.

📖📖📖📖📖

يَا ظَامِئَ العَيْنِ مِن جُوعٍ وَمِن ظَمَأٍ

مَاذَا بَقَاؤُكَ ؟! وَالإِخْلاصُ قَتَّالُ !.

هَذَا المُشَعَّثُ ذُو الأَحْلامِ...صُحْبَتُهُ

هَمٌّ ؛ وَخَوْفٌ ؛ وَحِرْمَانٌ ؛ وَإِقْلالُ .

يَعِيشُ فِى الأَرْضِ جُثْمانَاً وَنَاظِرَةً

وَرُوحُهُ لِلعَوَالِى الشُّمِّ تَحْتَالُ .

قَدْ نَابَذَ الزَّمَنَ العَاتِى فَنَابَذَهُ

تَصَاولا ... وَكِلا القِرْنَيْنِ صَوَّالُ!.

وَعَاشَ فِى وِحْدَةِ الرُّهْبَانِ مُعْتَزِلاً

لَهُ رَفِيقَانِ..... آلامٌ وَأَوْجَالُ .

هَمَاهِمٌ ؛ وَمُنَى نَفْسٍ ؛ وَتَمْتَمَةٌ

وَلَوْعَةٌ ؛ كَبَنَاتِ السُّحْبِ تَنْثَالُ .

مَـا انْفَكَّ يُـرْسِلُ مِـنْ نَفْسٍ مُـعَـذَّبَةٍ
نَـارَاً تَـؤُجُّ... لَهَا فِـى الجَـوِّ إِشْعَـالُ .
لَهَا نَقِيـضٌ ؛ وَتَـرْجِيـعٌ ؛ وَغَمْغَمَـةٌ
كَـأَنَّمَـا لاقَـتِ الأَبْـطَـالَ أَبْطَالُ .
يُـثِيرُ حَـوْلَـكَ ذُعْـرَاً لا يُـنَهْنِهُـهُ
خَـوْفُ الحَيـاةِ ؛ وَلا تَـنْـهَاهُ آمَـالُ .
بَـيْـنَـا تَـرَاهُ عَـلَيْهَا سَـاكِـنَـاً.. قَـلِقَـاً
كَـأَنْ بِهِ رَبَضَت فِـى الأَرْضِ أَغْـلالُ .
إِذَا السَّمـاءُ قَـدْ انْـشَـقَّـت بِـصَاعَقَةٍ
رَعْدٌ ؛ وَبَـرْقٌ ؛ وَتَخْـطِيـفٌ ؛ وَإِذهَـالُ !... .(١).

أُكَاتِمُ وَجْدِى وَمَا يَنْكَتِمْ
فَمَن لَو شَكَيْتُ إِلَيْهِ رَحِمْ.
وَإِنِّى عَلَى حُسْنِ ظَنِّى بِهِ
لأَحْذَرُ إِن بُحْتُ أَن يحَتَشِمْ.

(١) - القصيدة لأبى فهـرمحمود محمد شاكر ـ رحمه الله تعالى ـ .

وَقَـد عَـلِـمَ النَّـاسُ أَنِّـى لَـهُ
مُـحِـبٌّ وَأَحْسَـبُهُ قَـد عَـلِـمْ.

ذَكَـرْتُـكِ بَيْنَ ثَـنَايَـا السُّـطُورِ
وَأَضْـمَرْتُ قَـلْـبِـىَ بَـيْنَ الكَـلِـمْ.
وَلَـسْـتُ أَبُـوحُ بِـمَـا قَـد كَتَـمْـتُ
وَلَـوْ حَـزَّ فِـى النَّـفْسِ حَـدُّ الأَلَـمْ.
تُـمَـزِّقُـنِـى مَـا حَـيِـيتُ المُـنَـى .....
..... ؛ فَـأَرْقَـعُ مَـا مَـزَّقَـت بِـالظُّـلَـمْ.
فَـكَـم كَـتَـمَ اللَّـيْـلُ مِـن سِـرِّنَـا ... ؛
وَفِـى اللَّـيْـلِ أَسْـرَارُ مَـن قَـد كَـتَـمْ.
تَـشَـابَـهَ فِـى كَـتْـمِ مَـا نَسْـتَسِـرُّ .... ؛
سَـوَادُ الـدُّجَـى ؛ وَسَـوَادُ القَـلَـمْ.(١).

مَـن كَـانَ لَـم يَـدْرِ مَـا حُـبٌّ وَصَـفْـتُ لَـهُ
إِن كَـانَ فِـى غَـفْـلَـةٍ ؛ أَو كَـانَ لَـم يَـجَـدِ.

(١) ـ مِن رَوَائِعِ العَلاَّمَةِ الأَدِيب مَحْمُود مُحَمَّد شَاكِر ـ رَحِمَهُ الله ـ .

الـحُبُّ أَوَّلُـهُ عَـذْبٌ ؛ وَآخِـرُهُ.....

. ؛ مِثْلُ الحَـزَازَةِ بَيْنَ القَلْبِ وَالكَبِـدِ.

لَيْتَ الهَوَى لِذَوِى الهَوَى لَم يُخْلَقِ

... ؛ بَلْ لَيْتَ قَلْبِى بِالهَوَى لَم يَعْلَقِ.

إِنَّ الَّـذِى عَلِقَ الهَـوَى بِفُـؤَادِهِ.....

..... ؛ كَمُـنَوَّطٍ دُونَ السَّمَاءِ مُعَلَّقِ.

لا يَسْتَـطِيعُ نُـزُولَـهُ لِشَـقَائِـهِ.....

..... ؛ لَكِن إِلَيْهِ كُلُّ هَـمٍّ يَـرْتَقِى.

إِنَّ الهَـوَى لَهُـوَ الهَـوَانُ بِعَـيْنِـهِ.....

.. ؛ مَا ذَاقَ طَعْمَ الذُّلِّ مَن لَم يَعْشَقِ.

وَكُنْتُ أَرَى مِن وَجْهِ مَيَّةَ لمحَةً

. ؛ فَأُبْـرِقُ مَغْشِيًّـاً عَلَىَّ مَكَانِيَا.

وَأَسْمَعُ مِنْهَا لَفْظَةً فَكَأَنَّـمَا .. ؛

يُصِيبُ بِهَا سَهْمٌ طَـرِيـقَ فُؤادِيَا.

عَـرِفْتُ بِهَا الأَشْجَـانَ وَهِىَ خَـلِيَّةٌ

مِنَ الحُبِّ لا وَصْلٌ لَدَيْهَا وَلا هَجْرُ.

أَرَاهَا فَأَطْوِى لِلنَّصِيحِ عَدَاوَةً . ؛
وَأَحْمَدُ عُقْبَى مَا جَنَى النَّظَرُ الشَّزْرُ.
شَكَوْتُ فَقَالُوا ضِقْتَ ذَرْعَاً بِحُبِّهَا !!
مَتَى تُمْلَكُ الشَّكْوَى إِذَا غُلِبَ الصَّبْرُ. ؟!.

إِنَّ الَّذِينَ بِخَيْرٍ كُنْتَ تَذْكُرُهُم
هُم أَهْلَكُوكَ وَعَنْهُم كُنْتُ أَنْهَاكَا.
لا تَطْلُبَنَّ حَيَاةً عِنْدَ غِيْرِهُمُ ...
... ؛ فَلَيْسَ يُحْيِيكَ إِلاَّ مَن تَوَفَّاكَا.

وَمَا ذَرِفَت عَيْنَاكِ إِلاَّ لِتَضْرِبِى
بِسَهْمَيْكِ فِى أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ !!.

عَفَا اللهُ عَن لَيْلَى وَإِن سَفَكَت دَمِى
فَإِنِّى وَإِن لَم تُجْزِنِى غَيْرُ عَاتِبِ.
.....؛ عَلَيْهَا وَلا مُبْدٍ لِلَيْلَى شِكَايَةً
وَقَد يُشْتَكَى المُشْكِى إِلى كُلِّ صَاحِبِ.
يَقُولُونَ تُبْ عَن حُبِّ لَيْلَى وَذِكْرِهَا
وَمَا خِلْتُنِى عَن حُبِّ لَيْلَى بِتَائِبِ.

مَا تَنْقَضِى حَسْرَةٌ مِنِّى وَلا جَزَعُ !!
... ؛ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابَاً لَيْسَ يَرْتَجِعُ.
مَا كُنْتُ أُوفِى شَبَابِى كُنْهَ غِرَّتِهِ
حَتَّى انْقَضَى ... ؛ فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ.
إِن كُنْتِ لَم تَطْعَمِى ثُكْلَ الشَّبَابِ وَلَم
تَشْجِى بِغُصَّتِهِ ... ؛ فَالعُذْرُ لا يَقَعُ.
أَبْكِى شَبَابَاً سُلِبْنَاهُ وَكَانَ .... ؛ وَلاَ
تَفِى بِقِيمَتِهِ الدُّنْيَا !! ؛ وَمَا تَسَعُ !!.

لَمَنْ دَارٌ... ؛ وَرَبْعٌ قَد تَعَفَّى
بِنَهْرِ الكَرْخِ مَهْجُورُ النَّوَاحِى؟! .
إِذَا مَا القَطْرُ حَلاَّهُ تَلاقَت
عَلَى أَطْلالِهِ أَيْدِى الرِّيَاحِ.
مَحَاهُ كُلُّ هَطَّالٍ مُلِحٍّ .....
؛ بِوَبْلٍ مِثْلِ أَفْوَاهِ الجِرَاحِ.
فَبَاتَ بِلَيْلِ بَاكِيَةٍ ثَكُولٍ ؛
ضَرِيرِ النَّجْمِ مُتَّهَمِ الصَّبَاحِ !!.

هَذِهِ الكَعْبَةُ كُنَّا طَائِفِيهَا .....

..... ؛ وَالمُصَلِّينَ صَبَاحاً وَمَسَاءَ.

كَم سَجَدْنَا وَعَبَدْنَا الحُسْنَ فِيهَا

..... ؛ كَيْفَ بِاللهِ رَجَعْنَا غُرَبَاءَ.

دَارُ أَحْلامِى وَحُبِّى لَقِيتِنَا.....

فِى جُمُودٍ مِثْلَمَا تَلْقَى الجَدِيدْ.

أَنْكَرَتْنَا ؛ وَهِىَ كَانَت إِن رَأَتْنَا

. ؛ يَضْحَكُ النُّورُ إِلَيْنَا مِن بَعِيدْ.

رَفْرَفَ القَلْبُ بِجَنْبِى كَالذَّبِيحْ

..... ؛ وَأَنَا أَهْتُفُ يَا قَلْبُ اتَّئِدْ.

فَيُجِيبُ الدَّمْعُ وَالمَاضِى الجَرِيحْ

.. ؛ لِمَ عُدْنَا ؛ لَيْتَ أَنَّا لَم نَعُدْ !!.

لِمَ عُدْنَا ؟!! أَولَم نَطْوِ الغَرَامْ

... ؛ وَفَرَغْنَا مِن حَنِينٍ وَأَلَمْ ؟!!.

..... وَرَضِينَا بِسُكُونٍ وَسَلامْ

..... وَانْتَهَيْنَا لِفَرَاغٍ كَالعَدَمْ.

أَيُّهَا الوَكْرُ إِذَا طَارَ الأَلِيفْ

لا يَرَى الآخَرُ مَعْنَىً لِلسَّمَاءْ.

وَيَرَى الأَيَّامَ صُفْرَاً كَالخَرِيفْ
نَائِحَاتٍ كَرِيَاحِ الصَّحْرَاءْ.
رُكْنِىَ الحَانِى وَمَغْنَاىَ الشَّفِيقْ
وَظِلالُ الخُلْدِ لِلعَانِى الطَّلِيحْ.
.....عَلِمَ اللهُ لَقَد طَالَ الطَّرِيقْ
..... وَأَنَا جِئْتُكَ كَيمَا أَسْتَرِيحْ.
..... وَعَلَى بَابِكَ أُلْقِى جُعْبَتِى
كَغَرِيبٍ آبَ مِن وَادِى المِحَنْ.
.... فِيكَ كَفَّ اللهُ عَنِّى غُرْبَتِى
وَرَسَا رَحْلِى عَلَى أَرْضِ الوَطَنْ.
..... وَطَنِى أَنْتَ وَلَكِنِّى طَرِيدْ
أَبَدِىُّ النَّفْى فِى عَالَمِ بُؤْسِى.
... ؛ فَإِذَا عُدتُ فَلِلنَّجْوَى أَعُودْ
ثُمَّ أَمْضِى بَعْدَمَا أُفْرِغُ كَأْسِى.

أَلا لا يَذُمُّ الدَّهْرَ مَنْ كَانَ عَاجِزَاً
وَلا يَعْذِلُ الأَقْدَارَ مَنْ كَانَ وَانِيَا.

فَمَنْ لَمْ تُبَلِّغْهُ الْمَعَالِىَ نَفْسُهُ
فَغَيْرُ جَدِيرٍ أَنْ يَنَالَ الْمَعَالِيَا.

أَلَم تَرَهَا لا يُبْعِدِ اللهُ دَارَهَا ... ؛
إِذَا مَرِحَت فِى صَوْتِهَا كَيْفَ تَصْنَعُ.
تَمُدُّ نِظَامَ القَوْلِ ثُمَّ تَرُدُّهُ .....
؛ إِلَى صَلْصَلٍ فِى حَلْقِهَا فَتُرَجِّعُ.

قَلْبِى بِنَارِ الهَوَى مُعَذَّبْ
شَوْقَاً إِلَى حَضْرَةِ المُهَذَّبْ.
شَوْقَاً إِلَى مَاجِدٍ كَرِيمٍ
يَخْطُرُ لِى ذِكْرُهُ فَأَطْرَبْ.

كُلُّ شَىْءٍ مِنَ الحَبِيبِ مَلِيحُ
غَيْرَ أَنَّ الصُّدُودَ مِنْهُ قَبِيحُ.

إِذَا لَم يَكُن فِى الحُبِّ سُخْطٌ وَلا رِضَا
فَأَيْنَ حَلاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالكُتُبِ ؟!!.

نَعِبَ الغُرَابُ بِمَا كَرِهْـ

ـتُ وَلا إِزَالَـةَ لِلقَـدَرْ.

تَبْكِى وَأَنْـتَ قَتَلْتَهَا

فَاصْبِرْ وَإِلاَّ فَانْتَحِرْ!!.

سَلامٌ عَلَيْكُم مَا أُحِبُّ وِصَالَكُم

وَغَـايَةُ مَجْهُـودِ المُقِـلِّ سَـلامٌ.

وَإِنِّى إِذَا جَـادَ الزَّمَانُ بِفَرْحَةٍ

عَلَىَّ وَكَانَ اليَـوْمُ يَلْـمَعُ فَتَّانَـا.

أُفَكِّـرُ فِى لَيْلٍ يَجِيئُ وَرَاءَهُ ؛

فَتَنْقَلِبُ الأَفْرَاحُ عِنْدِىَ أَحْزَانَا.

قَد كُنْتُ أَعْذِلُ فِى السَّفَاهَةِ أَهْلَهَا

..... ؛ فَاعْجَب لَمَا تَأْتِى بِهِ الأَيَّامُ.

فَـاليَـوْمَ أَرْحَـمُـهُـم وَأَعْـلَـمُ أَنَّـمَـا

... ؛ سُبُلُ الغُوَايَةِ وَالهُدَى أَقْسَامُ !!.

دُخُولُكَ مِن بَابِ الهَوَى إِن أَرَدتَهُ

يَسِيرٌ ... ؛ وَلَكِنَّ الخُرُوجَ عَسِيرُ !!.

طَوْعَاً لِقَاضٍ أَتَى فِى حُكْمِهِ عَجَبَا
أَفْتَى بِسَفْكِ دَمِى فِى الحِلِّ وَالحَرَمِ !!.

وَجَدْتُ الحُبَّ لا يَشْفِيهِ إِلاَّ
.....؛ لِقَاءٌ يَقْتُلُ الغُلَلَ النِّهَالا.
أُحِبُّ مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَهُنَّ شَتَّى
حَدِيثَ النَّزْرِ ؛ وَالحِدَقَ الكِلالا.
مَوَانِعُ لِلحَرَامِ بِغَيْرِ فُحْشٍ..
... ؛ وَتَبْذُلُ مَا يَكُونُ لَهَا حَلالا.

أَلِمَّا بِى إِلَى الأَبْيَا
تِ بِالخَيْفِ أَزُر هَنَّهْ.
غَزَالٌ مَا رَأَيْتُ اليَوْ
مَ فِى دُورِ بَنِى كنَّهْ.
غَزَالٌ أَكْحَلُ العَيْنِ
وَفِى مَنْطِقِهِ غُنَّهْ.

إِنَّ بَعْضَاً مِنَ الظُّنُو
نِ لَكَالفَجْرِ صَادِقْ.

حَبَّذَا لَو تَكَشَّفَت

بِالتَّمَامِ الحَقَائِقْ.

بَلَى!! ؛ كُنْتِ فِى قَلْبِى سِرَاجَاً يُضِيئُهُ

..... ؛ فَيَفْتَرُّ عَن أَنْوَارِهِ كُلُّ جَانِبِ.

وَكُنْتِ حَيَاةً لِلحَيَاةِ تُمِدُّهَا.....

.... ؛ بِأَفْرَاحِهَا فِى عَاسِلَاتِ المَصَائِبِ.

وَكُنْتِ لِىَ البَرَّ الوَدِيعَ إِذَا غَلَت.....

بِأَمْوَاجِهَا ..... ؛ وَادَّافَعَت بِالمَنَاكِبِ.

وَكُنْتِ نَسِيمَاً وَاللَّظَى يَنْشِفُ اللَّظَى

.... ؛ وَيَتْرُكُ ظِلَّ الدَّوْحِ ظِلَّ اللَّوَاهِبِ.

وَكُنْتِ مَلاذِى وَالشُّؤونُ كَأَنَّهَا.....

.... ؛ مِن الدَّمْعِ يُنْبُوعٌ يَجِيشُ بِغَارِبِ.

وَكُنْتِ إِذَا مَا العَيْنُ مَدَّت هُيَامَهَا.....

إِلَيْكِ..... ؛ تَلَقَّتْهَا أَحَنُّ التَّرَائِبِ.

وَكُنْتِ كَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ ؛ عَبِيرُهَا....

.... ؛ عَلَى الفَاقِدِ المَحْزُونِ فَرْحَةُ آيبِ.

بَلَى كُنْتِ ؛ كُنْتِ السِّحْرَ تَبْدُو صُدُورُهُ
مِنَ الخَيْرِ تُخْفِى مِنْهُ شَرَّ العَوَاقِبِ.
أَرَى الحَيَّةَ الرَّقْطَاءَ أَجْمَلَ مَنْظَرًا.....
..... ؛ وَأَلْيَنَ مَسًّا مِن نُدِىِّ الكَوَاعِبِ.
إِذَا مَا تَرَاءَتْهَا العُيُونُ بَرِيئَةً.....
مِنَ الخَوْفِ..... ؛ خَالَتْهَا دُعَابَةَ لاعِبِ.
تَدَانَى إِلَى اللاَّهِى دُنُوَّ مُقَارِبٍ.....
فَيَدْنُو..... ؛ وَيُدْنِى كَفَّهُ كَالمُلاعِبِ.
أَلا ارْفَعْ يَدًا ؛ وَادْهَبْ بِنَفْسِكَ رَهْبَةً
.... ؛ فَمِن حُسْنِهَا نَابٌ شَدِيدُ المَعَاطِبِ.
بَلَى كُنْتِ ؛ إِذْ عَيْنِى عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ.....
..... ؛ وَإِذ أَتَرَدَّى مِن سَوَادِ الغَيَاهِبِ.
وَأُخْرَى عَلَى عَيْنِ البَصِيرَةِ خَيَّلَت
.... ؛ لِنَفْسِى هُدَاهَا بِالأَمَانِى الكَوَاذِبِ.
أُرَى مِن تَكَاذِيبِ الخَيَالِ كَأَنَّنِى
... ؛ إِلَى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ أَحْدُو رَكَائِبِى.
أُغَنِّى لآمَالِى لأَبْلُغَ غَايَتِى.....
..... ؛ وَأُدْرِكَ لَذَّاتِى ؛ وَأَجْنِى مَطَالِبِى.

وَمَا ذَاكَ إِلاَّ رَاحَةُ القَلْبِ بِالهَوَى
وَبِالوِدِّ فِى عَيْشٍ شَدِيدِ المَتَاعِبِ.
وَأَن أَرِدَ المَاءَ الزُّلالَ - وَلَم أَرِد.....
وَقَد عِشْتُ دَهْرَاً - غَيْرَ رَنْقِ المَشَارِبِ.
أَلا فَاعْلَمِى أَنِّى ظَمِئْتُ ؛ وَأَنَّنِى.....
... ؛ تَجَنَّبْتُ جَهْدِى المَاءَ جَمَّ الشَّوَائِبِ.
فَحِئْتُكِ ظَمْآنَاً يَمُوتُ بِغُلَّةٍ.....
فَأَغْرَيْتِ بِى الغُلاَّتِ مِن كُلِّ جَانِبِ.
لَقَد كُنْتُ خِلْوَاً أَنْتَحِى حَيْثُ أَشْتَهِى
.... ؛ وَأَرْضَى وَآبَى ؛ مُقْدِمَاً غَيْرَ هَائِبِ.
تُسَهِّلُ لِى الصَّعْبَ الأَبِىَّ عَزِيمَتِى.....
..... ؛ وَيَكْفُلُ لِى صِدْقِى قَضَاءَ مَآرِبِى.
وَأَرْمِى بِنَفْسِى فِى المَهَالِكِ بَاسِمَاً.....
..... ؛ لأَنْفُذَ مِنْهَا بَاسِمَاً غَيْرَ خَائِبِ.
فَوَاحَزَنَاً ؛ أَضْلَلْتُ عَزْمِى وَهِمَّتِى.....
... ؛ وَأَيْتَمْتُ أَفْكَارِى ؛ وَضَيَّعْتُ وَاجِبِى.
تَخَشَّعْتُ تَحْتَ الحُبِّ وَالوَجْدِ وَالجَوَى
وَطُولِ اضْطِرَابِى فِى الهُمُومِ الغَوَالِبِ.

أَذَلَّ شَبَابِى الحُبُّ حَتَّى رَأَيْتُنِى.....

.....؛ أَمُرُّ بِأَتْرَابِى مُرُورَ المُجَانِبِ.

وَأَحْسُدُهُم مِمَّا لَقِيتُ؛ وَإِنَّنِى.....

....؛ لأَخْشَى عَلَيْهِم مِحْنَتِى وَتَجَارِبِى.

📖📖📖📖📖

قَد عُدتَ بَعْدَ ذَهَابِ مِنْكَ يَا عِيدُ

....؛ إِذْ كُلُّ شَىْءٍ يَسُرُّ النَّفْسَ مَفْقُودُ.

أَأَنْتَ عِيدٌ بِهِ الأَفْرَاحُ شَامِلَةٌ.....

...؛ أَم مَأْتَمٌ فِيهِ لِلأَحْزَانِ تَجْدِيدُ؟!.

عِيدٌ أَلَمَّ عَلَى يَأْسٍ بِمَمْلَكَةٍ.....

..؛ وَلَيْسَ فِيهِ لِجُرْحٍ سَالَ تَضْمِيدُ.

📖📖📖📖📖

تَنَكَّرَت الحَيَاةُ كَأَنَّ دَهْرَاً

يجِىءُ وَيَنْقَضِى فِى كُلِّ سَاعَهْ.

📖📖📖📖📖

إِنَّ الأُمُورَ إِذَا التَوَت وَتَعَقَّدَت

جَاءَ القَضَاءُ مِنَ الكَرِيمِ فَحَلَّهَا.

📖📖📖📖📖

أَقْبَلَ العِيدُ؛ وَلَكِن لَيْسَ فِى النَّاسِ المَسَرَّهْ.

.....؛ لا أَرَى إِلاَّ وُجُوهَاً كَالحَاتٍ مُكْفَهِرَّهْ.

.. ؛ كَالرَّكَايَا لَم تَدَعْ فِيهَا يَدُ المَاتِحِ قَطْرَهْ.
أَو كَمِثْلِ الرَّوْضِ لَم تَتْرك بِهِ النَّكْبَاءُ زَهْرَهْ.
.... ؛ وَعُيُونَاً دَنِقَت فِيهَا الأَمَانِى المُسْتَحِرَّهْ.
فَهْىَ حَيْرِى ذَاهِلاتٌ فِى الَّذِى تَهْوَى وَتَكْرَهْ.
وَخُدُوداً بَاهِتَاتٍ قَد كَسَاهَا الهَمُّ صُفْرَهْ.
وَشِفَاهَاً تَحْذَرُ الضِّحْكَ كَأَنَّ الضِّحْكَ جَمْرَهْ.
لَيْسَ لِلقَوْمِ حَدِيثٌ غَيْرُ شَكْوَى مُسْتَمِرَّهْ.
قَد تَسَاوَى عِنْدَهُم لِلْيَأسِ نَفْعٌ وَمَضَرَّهْ.
لا تَسَل مَاذَا عَرَاهُم ؟! ... ؛ كُلُّهُم يَجْهَلُ أَمْرَهْ.

📖📖📖📖📖

يَا هَجْرُ كُفَّ عَن الهَوَى ؛ وَدَع الهَوَى
لِلعَاشِقِينَ يَطِيبُ ..... ؛ يَا هَجْرُ !!.
مَاذَا تُرِيدُ مِنَ الَّذِينَ جُفُونُهُم
قَرْحَى ... ؛ وَحَشْوُ صُدُورِهِم جَمْرُ ؟!.
وَسَوَابِقُ العَبَرَاتِ فَوْقَ خُدُودِهِم
هُطْلاً تَلُوحُ !!.... ؛ كَأَنَّهَا القَطْرُ ؟!.
صَرْعَى عَلَى جِسْرِ الهَوَى لِشَقَائِهِم
..... ؛ يُنُفُوسِهِم يَتَلاعَبُ الدَّهْرُ ؟!.

📖📖📖📖📖

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظَرِ
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِن مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ.
كَم نَظْرَةٍ فَتَكَت فِى قَلْبِ صَاحِبِهَا
فَتْكَ السِّهَامِ بِلا قَوْسٍ وَلا وَتَرِ.
وَالمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ؛
فِى أَعْيُنِ النَّاسِ مَوْقُوفٌ عَلَى الخَطَرِ.
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ.. ؛
لا مَرْحَبَاً بِسُرورٍ جَاءَ بِالضَّرَرِ.

📖📖📖📖📖

نَظَرُ العُيُونِ إِلَى العُيُونِ هُوَ الَّذِى
جَعَلَ الهَلاكَ إِلَى الفُؤادِ سَبِيلا.
مَا زَالَت اللَّحَظَاتُ تَغْزُو قَلْبَهُ
.... ؛ حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلا.

📖📖📖📖📖

أَرَى الطَّرِيقَ قَرِيباً حِينَ أَسْلُكُهُ
إِلَى الحَبِيبِ ؛ بَعِيداً حِينَ أَنْصَرِفُ!!.

📖📖📖📖📖

أَهَابُكَ أَن أَقُولَ بَذَلْتُ نَفْسِى
وَلَو أَنِّى أُطِيعُ القَلْبَ قَالا.

حَيَاءً مِنْكِ حَتَّى شَفَّ جِسْمِى
وَشَقَّ عَلَىَّ كِتْمَانِى وَطَالا.

مَا يَعْلَمُ الشَّوْقَ إِلاَّ مَن يُكَابِدُهُ
وَلا الصَّبَابَةَ إِلاَّ مَن يُعَانِيهَا !!.

عَدَانِى أَن أَزُورَكَ يَا حَبِيبِى ؛
مَعَاشِرُ كُلُّهُم وَاشٍ حَسُودُ.
أَشَاعُوا مَا سَمِعْتُ مِن الدَّوَاهِى
... ؛ وَعَابُونَا وَمَا فِيهِم رَشِيدُ !!.

يَتَعَاتَبَانِ وَيَشْكُوانِ هَوَاهُمَا
بِمَدَامِعٍ جَلَّت عَن الهَمَلانِ.
يَتَهَاجَرَانِ بِسُوءِ ظَنٍّ فِى الهَوَى
وَيَقِلُّ صَبْرُهُمَا فَيَصْطَلِحَانِ.

وَكَم قَد رَوَّعَت قَلْبَاً
وَسَاقَت نَحْوَهُ حُزْنَا.
وَمَلَّت بَعْدَ أَن مَالَت
وَأَدْوَت بِالرَّدَى غُصْنَا.

أَشَابَ القَلْبُ أَم كَرِهَ الشَّبَابَا
وَبَانَ الأُنْسُ أَم نَسِىَ الإِيَابَا.
وَغَالَبَنِى الأَسَى أَم غَالَبَتْنِى
حَيَاةٌ تَجْعَلُ الفَوْزَ اغْتِصَابَا.
أَتَغْصِبُنِى الدُّمُوعُ الصَّبْرَ حَتَّى
.... ؛أَرَى الدُّنْيَا أَنِينَاً وَانْتِحَابَا.
وَيُبْدِلُنِى الزَّمَانُ مِنَ التَّصَابِى
وَمِن طَرَبِى وُجُومَاً وَاكْتِئَابَا.
وَأَسْأَمُ لَذَّةَ الدُّنْيَا وَلَمَّا.....
..... ؛أَذُق مِن لَذَّةٍ إِلاَّ حَبَابَا.
فَأَزْجُرُ لَذَّتِى زَجْرَ اليَتَامَى
.. ؛إِذَا مَا الدَّهْرُ أَمَّ بِهِم ذِئَابَا.
أَفِى وَهَجِ الشَّبَابِ أَعُودُ هِمَّاً
يَذُودُ بِضَعْفِهِ النُّوَبَ الصِّعَابَا.
وَأُطْرِقُ لِلْحَوَادِثِ مُسْتَكِينَاً
كَجَانِى الشَّرِّ يَنْتَظِرُ العِقَابَا.

وَأُصْبِحُ فِى يَدِ الدُّنْيَا أَسِيرَاً
إِذَا رَامَ الفَكَاكَ وَهَى وَخَابَا.
كَمَا عَلِقَ الحِبَالَةَ ذُو جَنَاحٍ
وَلَم يَنْفَعْهُ أَن صَحِبَ السَّحَابَا.
فَصَفَّقَ ثُمَّ رَنَّقَ ثُمَّ أَعْيَى.....
..... ؛ يَحِنُّ لِدَارِهِ جَوَّاً وَغَابَا.
أَمِن عَدْلِ الحَوَادِثِ أَن أُضَرَّى
.... ؛ لأَطْعَمَ إِثْرَ لَذَّتِهِنَّ صَابَا.
وَأَن أَسْتَقْبِلَ الغَدَ مُسْتَثِيبَاً.. ؛
فَيُقْبِلَ..... ؛ لا أَفَادَ وَلا أَثَابَا.
وَأَحْمِلَ مِن بَنَاتِ الهَمِّ قَلْبَاً
إِذَا نَهْنَهْتُهُ..... ؛ زَادَ اضْطِرَابَا.
جَزَاكِ اللهُ مِن دُنْيَا خَتُولٍ
غَدَوْتِ القَلْبَ شَكَّاً وَارْتِيَابَا.
أَتَنْهَانِى عَنِ الجَزَعِ اللَّيَالِى
وَمَا تَنْفَكُّ تَتْرُكُنِى مُصَابَا.
فَتَسْلُبُنِى الأَحِبَّةَ عَن عِيَانٍ
وَتَمْنَحُنِى بِذِكْرَاهُم عَذَابَا.

وَتَسْأَلُنِى اخْتِدَاعَاً : أَيْنَ بَانُوا
وَمَن يُجْرِم تَوَقَّحَ أَو تَغَابِى.
سَلِى مَا شِئْتِ وَاسْتَمِعِى شَكَاتِى
كَمِثْلِ الدَّمْعِ تَنْسَكِبُ انْسِكَابَا.
أَعَدْلٌ مِنْكِ أَن أَجَّجْتِ قَلْبِى
فَلَوْلا الصَّبْرُ يُمْسِكُهُ لَذَابَا.
فَصَارَعْتُ الشُّجُونَ وَصَارَعَتْنِى
إِلَى أَن فُزْتُ بِالبُقْيَا غِلابَا.
فَإِنَّ الدَّهْرَ يُنْصِفُ مَن تَأَبَّى
وَيَمْنَعُ يَائِساً مِن أَن يُجَابَا.
وَمَن يُعْطَى التَّجَلُّدَ لِلرَّزَايَا
تَيَقَّنَ أَن يُصِيبَ وَأَن يُصَابَا.
وَسَائِلَةٍ بِظَهْرِ الغَيْبِ عَنِّى
وَعَن جَلَلٍ مِنَ الأَحْدَاثِ نَابَا.
تُذَكِّرُنِى الأَحِبَّةَ يَوْمَ وَلُّوْا
فَزَادَ الدَّمْعُ وَالجَزَعُ انْتِيَابَا.
أَحَافِظَتِى ؛ فَدَيْتُكِ مِن صَدِيقٍ
يُسَائِلُ مَن مَضَى عَنِّى وَآبَا.

هِيَ الدُّنْيَا تُفَرِّقُ سَاكِنِيهَا
وَفِى الذِّكْرَى تَزِيدُهُمُ اقْتِرَابَا.
أَلا لا تَعْجَبِى لِى مِن نَحِيبِى
فَإِنَّ أَمَامَنَا العَجَبَ العُجَابَا.

📖📖📖📖📖

لا تَبْكِ إِثْرَ مُوَلٍّ عَنْكَ مُنْحَرِفٍ
تَحْتَ السَّمَاءِ؛ وَفَوْقَ الأَرْضِ أَبْدَالُ.

📖📖📖📖📖

أَطَالَ بَيْنَ البِلادِ تَجْوَالِى
قُصُورُ مَالِى وَطُولُ آمَالِى.
إِن رُحْتُ فِى بَلْدَةٍ غَدَوْتُ إِلى
أُخْرَى فَمَا تَسْتَقِرُّ أَجْمَالِى.
كَأَنَّنِى فِكْرَةُ المُوسْوسِ مَا
تَبْقَى بِذِى لَحْظَةٍ عَلَى حَالِ.

📖📖📖📖📖

لأُكَلِّفَنَّ الْعِيسَ دَامِيَةَ الأ
خِفَافِ مِن بَلَدٍ إِلَى بَلَدِ.
إِمّا يُقَالُ: مَضَى فَأَحْرَزَهَا
أَو لا؛ يُقَالُ: مَضَى وَلَم يَعُدِ.

قُلْتُ لأهْلِى وَرَامُوا أَن أَمِيرَهُمُ
بِمَاءِ وَجْهِى فَلَم أَفْعَل وَلَم أَكَدِ.
لا يَسْتَوِى أَن تَهِينُونِى وَأُكْرِمَكُم
وَلا يَقُومُ عَلَى تَقْوَيْكُم أَوْدِى.
فَطِيِّبُوْا عَن رَقِيْقِ الْعَيْشِ أَنْفُسِكُم
وَلا تُمِدُّوا إِلَى أَيْدِى اللِّئَامِ يَدِى.
تَبَلَّغُوَا وَادْفَعُوا الحَاجَاتَ مَا انْدَفَعَت
وَلا يَكُن هَمُّكُم فِى يَوْمِكُم لِغَدِ.
وَلَرُبَّ مُدَّخِرٍ مَا لَيْسَ آكِلُهُ
وَمُسْتَعِدٍّ لِيَوْمٍ لَيْسَ فِى الْعَدَدِ.
وَرَبَّ مُجْتَهِدٍ مَا لَيْسَ بَالِغُهُ
وَبَالِغٍ مَا تَمَنَّى غَيْرُ مُجْتَهِدِ.

يَغْدُو الفَقِيرُ وَكُلُّ شَئٍ ضِدُّهُ
وَالأَرْضُ تُغْلِقُ دُونَهُ أَبْوَابَهَا.
حَتَّى الكِلابَ إِذَا رَأَت ذَا يِزَّةٍ
أَصْغَت إِلَيْهِ وَحَرَّكَت أَذْنَابَهَا.

وَإِذَا رَأَت يَوْمَـاً فَقِيـرَاً مُقْبِـلاً
هَـرَّت عَلَيْـهِ وَكَشَّرَت أَنْيَابَهَا.

زَمَـــانٌ يَمُرُّ وَعَيْشٌ يَفِـــرُّ
وَدَهْـرٌ يَكِـرُّ بِمَـا لا يَسُـــرُّ.
وَحَـــالٌ تَذُوبُ ؛ وَهَمٌ يَثُوبُ
وَدُنْيَا تُنَادِيـكَ أَن لَيْسَ حُـرُّ.
وَأَحْسَنَ مَا اسْتَشْعَرَ العَـارِفُو
نَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ حِلْمٌ وَصَبْرُ.
وَللهِ فِـــى كُـــلِّ مَا نَابَنِـــى
وَأَوْلَـــى وَأَبْلَى ثَنَاءٌ وَشُكْرُ.

قَالُوا أَضَرَّ بِنَا السَّحَابُ بِقَطْرِهِ
... ؛ لَمَّا رَأَوْهُ لِعَبْرَتِى يَحْكِى.
لا تَعْجَبُوا مِمَّا تَـرَوْنَ ؛ وَإِنَّمَا
هَـذَا السَّحَابُ لِرَحْمَتِى يَبْكِى.

العِشْقُ دَاءٌ دَوِىٌّ لا دَوَاءَ لَـهُ.....
.... ؛ إِلاَّ العِنَاقُ وَإِفْشَاءُ السَّرِيرَاتِ.

وَلَيْسَ يُلْتَذُّ طِيبُ العَيْشِ مِن أَحَدٍ
... ؛ إِلاَّ بِعَضِّكَ ؛ أَو رَشْفِ الثَّنِيَّاتِ.
وَوَضْعِكَ الصَّدْرَ فَوْقَ الصَّدْرِ تَجْمَعُهُ
ضَمَّاً إِلَيْكَ عَلَى ظَهْرِ الحَشِيَّاتِ. ؟!!.

إِذَا قَبَّلَ الإِنْسَانُ إِنْسَانَ يَشْتَهِى
ثَنَايَاهُ لَم يَأْثَم ؛ وَكَانَ لَهُ أَجْرَا.
فَإِن زَادَ ؛ زَادَ اللهُ فِى حَسَنَاتِهِ
مَثَاقِيلَ يَمْحُو اللهُ عَنْهُ بِهَا وِزْرَا. ؟!!.

حَبَبْتُكِ ؛ وَالأَوْهَامُ فِكْرِى وَحُجَّتِى.....
..... ؛ تُؤَلِّبُ بَعْضِى فى هَوَاكِ عَلَى بَعْضِى.
إِذَا مَا نَفَضْتُ الرَّأْىَ بِالرَّأْى ؛ رَدَّنِى.....
.... ؛ إِلَى خَطَرَاتِ الوَهْمِ مَضٌّ عَلَى مَضِّ.
أُصَارِعُ أَهْوَالاً مِنَ الغَيْظِ وَالرِّضَى.....
..... ؛ وَمَا يَتَوَلَّى الغَيْظَ فَوْقَ الَّذِى يُرْضِى.
عَجِبْتُ لَمِن رَاضَ النِّسَاءَ وَرُضْنَهُ.....
..... ؛ وَيَقْضِينَ مِن إِيلامِهِ دُونَ مَا يَقْضِى.

وَيَرْمِينَهُ بِالسَّهْمِ لَيْسَ بِضَائِرٍ.....

.. ؛ وَيَرْمِى بِمَا يَحْمِى الجُفُونَ عَنِ الغُمْضِ.

فَكَيْفَ بِهِ قَد ذَلَّ وَهُوَ مُكَرَّمٌ..... ؟!!

وَأَغْضَى ؛ وَلَو قَد نَاصَبَ الدَّهْرَ لَم يُغْضِ.

كَفَى بِكَ ذُلاً أَن تَبِيتَ عَلَى جَوَىً.....

وَتُصْبِحَ فِى ذِكْرَى ؛ وَتُمْسِى عَلَى رَمْضِ.

كَأَنَّكَ لَم تُخْلَق لِدُنْيَا تَجُوبُهَا..... ؟!!

..... ؛ وَمَا أَضْيَقَ الدُّنْيَا مِنَ الحِدَقِ المُرْضِ.

فَهُنَّ اللَّوَاتِى زِدْنَ فِى العَيْشِ لَذَّةً.....

..... ؛ فَأَقْصَيْنَ لَذَّاتٍ مِنَ الفَرَحِ المَحْضِ.

شَكَكْتُ ؛ وَقَد تُنْجِى مِنَ الشَّرِّ رِيبَةٌ.....

..... ؛ وَتُبْدِلُ مُسْوَدَّ الحُظُوظِ بِمُبْيَضِّ.

لَقَد كُنْتُ أَمْضِى طَائِعَاً غَيْرَ جَامِحٍ.....!!

.. ؛ وَأَرْضَى بِإِطْرَاقِى عَلَى الرَّيْبِ أَو غَضِّى.

وَيَفْضَحُنِى فِيكِ اقْتِحَامِى وَغَيْرَتِى.....

... ؛ وَطَرْفِى ؛ وَمَا جَسَّ الأَطِبَّاءُ مِن نَبْضِى.

وَيَأْكُلُ قَلْبِى مَا أُكَتِّمُ رَاضِيَاً.....!!

... ؛ فَمَا بَكَتِ العَيْنُ الشَّبَابَ الَّذِى يَمْضِى.

وَأَنْتِ ؛ لَعَمْرِى فِى سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ.....!!

.... ؛ يَسُرُّكِ بَسْطِى فِى الحَوَادِثِ أَو قَبْضِى.

أَأُنْثَى وَوَحْشٌ؟!!..... ؛ جَلَّ خَالِقُ خَلْقِهِ

؛ وَسُبْحَانَ كَاسِى الوَحْشَ مِن رَوْنَقٍ غَضِّ.

وَأَعْجَبُ مِنْهُ لَذَّتِى وَمَسَرَّتِى.....

.. ؛ عَلَى حِينِ نَهْشِى فِى المَخَالِبِ أَو نَفْضِى.

فَيَا سُوءَ مَا أَبْقَيْتِ فِى الدَّمِ مِن لَظَىً.....!!

وَفِى الفِكْرِ مِن كَلْمٍ ؛ وَفِى القَلْبِ مِن عَضِّ.

أَخَافُكِ فِى سِرِّى ؛ وَجَهْرِى ؛ وَمَشْهَدِى

لَدَيْكِ ؛ وَغَيْبِى..... ؛ خَوْفَ أَرْقَطَ مُنْقَضِّ.

لَقَد كُنْتِ أَحْلامِى إِذَا اللَّيْلُ ضَمَّنِى.....

..... ؛ وَكُنْتِ إِذَا مَا الفَجْرُ أَيْقَظَنِى رَوْضِى.

يُنَاجِيكِ طَيْرٌ فِى الضُّلُوعِ بِلَحْنِهِ..... ؛

لَقَد عَاشَ فِى سِحْرٍ ؛ وَقَد عِشْتِ فِى خَفْضِ.

وَكُنْتِ عَلَى وَرْدِ الخَمَائِلِ زِينَةً !!.....

..... ؛ وَكَانَ بَشِيرَ الفَجْرِ فِى الفَنَنِ الغَضِّ.

فَأَصْبَحْتِ لا خَيْرًا فَيُرْجَى..... ؛ وَلا لَقَىً

فَيُلْقَى.... ؛ وَلَسْتِ مِن سَمَائِى وَلا أَرْضِى.

تَصَامَمْتِ عَن قَلْبِى وَرُمْتِ مَسَاءَتِى!! ....

.. ؛ وَتَنْتَظِرِينَ الحُبَّ؟!!... ؛ انْتَظِرِى بُغْضِى.

شَكَوْتُ وَمَا الشَّكْوَى بِمِثْلِىَ عَادَةٌ

وَلَكِن تَفِيضُ العَيْنُ عِنْدَ امْتِلائِهَا !!.

لا تَعْذِلِيهِ فَإِنَّ العَذْلَ يُولِعُهُ

قَد قُلْتِ حَقًّا وَلَكِن لَيْسَ يَسْمَعُهُ.

جَاوَزْتِ فِى نُصْحِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ

مِن حَيْثُ قَدَّرْتِ أَنَّ النُّصْحَ يَنْفَعُهُ.

فَاسْتَعْمِلِى الرِّفْقَ فِى تَأْنِيبِهِ بَدَلاً

مِن عُنْفِهِ فَهُوَ مُضْنَى القَلْبِ مُوجَعُهُ.

قَد كَانَ مُضطَلِعَاً بِالخَطْبِ يَحمِلُهُ

فَضَلَّعَت بِخُطُوبِ البَيْنِ أَضْلُعُهُ.

يَكْفِيهِ مِن رَوْعَةِ التَّنْفِيذِ أَنَّ لَهُ

مِنَ النَّوَى كُلَّ يَوْمٍ مَا يُرَوِّعُهُ.

مَا آبَ مِن سَفَرٍ إِلاَّ وَأَزْعَجَهُ

عَزْمٌ إِلى سَفَرٍ بِالرَّغْمِ يُزْمِعُهُ.

تَأْبَى المَطَالِبُ إِلاَّ أَن تُكَلِّفَهُ
لِلرِّزْقِ سَعْيَاً وَلَكِن لَيْسَ يجمَعُهُ.
كَأَنَّمَا هُوَ فِى حِلٍّ وَمُرْتَحَلٍ
مُؤكَّلٌ بِفَضَاءِ اللَّهِ يَذْرَعُهُ.
إِذَا الزَّمَانُ أَرَاهُ فِى الرَّحِيلِ غِنَى
وَلَوْ إِلى السِّنْدِ أَضْحَى وَهُوَ يَقْطَعُهُ.
وَمَا مُجَاهَدَةُ الإِنْسَانِ وَاصِلَةٌ
رِزْقَاً وَلا دِعَةُ الإِنْسَانِ تَقْطَعُهُ.
قَد قَسَّمَ اللهُ بَيْنَ النَّاسِ رِزْقَهُمُ
لا يَخْلُقُ اللَّهُ مِن خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ.
لَكِنَّهُم كَلِفُوا حِرْصَاً فَلَسْتَ تَرَى
مُسْتَرْزِقَاً وَسِوَى الغَايَاتِ يُقْنِعُهُ.
وَالحِرْصُ فِى الرِّزْقِ وَالأَرْزَاقُ قَد قُسِمَت
بَغْىٌ أَلا إِنَّ بَغْىَ المَرْءِ يَصْرَعُهُ.
وَالدَّهْرُ يُعْطِى الفَتَى مِن حَيْثُ يَمْنَعُهُ
عَفْوَاً وَيَمْنَعُهُ مِن حَيْثُ يُطْمِعُهُ.
أَسْتَوْدِعُ اللهَ فِى بَغْدَادَ لِى قَمَرَاً
بِالكَرْخِ مِن فَلَكِ الأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ.

وَدَّعْتُهُ وَبِوِدِّى لَو يُودِّعُنِى
صَفْوُ الحَيَاةِ وَأَنِّى لا أُوَدِّعُهُ.

وَمِن عَجَبٍ أَنِّى أَحُنُّ إِلَيْهِمُ
وَأَسْأَلُ عَنْهُم مَن لَقِيتُ وَهُم مَعِى !! .
وَتَطْلُبُهُم عَيْنِى وَهُم فِى سَوَادِهَا
وَيَشْتَاقُهُم قَلْبِى وَهُم بَيْنَ أَضْلُعِى ؟!!.

إِذَا شَابَ قَلْبُ المَرْءِ شَابَ رَجَاؤُهُ
وَشَابَ هَوَاهُ وَهُوَ فِي صَحْوَةِ العُمُرْ .
وَلَيْسَت حَيَاةُ المَرْءِ إِلاَّ أَمَانِيَا
إِذَا هِيَ ضَاعَت فَالحَيَاةُ عَلَى أَثَرْ .

لا تعودى !!
أحــرقَ الشــكُّ وجودى ... لا تـعـودى.
اذهبى ماشئِت أنَّى شئتِ فى دُنيا الخلودِ.
واتركى النَّار التى أوقدتِها تقِضــمُ عُودى.
هى بـردٌ وسـلامٌ يـتـلـظَّـى فـى بُرُودى.
فاسعدى فى شِقوة الروح ولكن ...لا تعودى.

أنت والأقدارُ...كم قاسيتُ منهنَّ ومنكِ.
هى تأتى بيقينٍ خائنٍ فى إثرِ شَكٍّ.
ثم أنت الشَّكُّ فى إثر يقينٍ لم يخنكِ.
وأنا سائلُك الحيرانُ عنهنَّ وعنكِ.

فأجيبى واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

اللّظَى زادى !! فهل ينفعنى زادٌ مميتُ ؟!.
اللّظَى روحُكِ؟ أم روحى سعيرٌ مستميتُ؟!.
كلَّما مرَّت به النسمة من وجدى حَييتُ.
أهى تُحيينى إذا مرَّت بنارى أم تميتُ؟.

خبِّرينى ؛ واذهبى إن شئتِ... لكن لا تعودى.

أنا كالنَّار تَغَشَّاها من الموت رمادُ .
أحديثٌ منكِ يُحْيينى أم الصمتُ المُعادُ؟.
أم نسيمُ الحُبِّ؟ أم هجرُكِ؟ أم هذا البِعادُ؟.
أأنا حىٌّ ولا أدرى أم الحىُّ الجمادُ؟.

خبِّرينى واذهبى إن شئت.. لكن لاتعودى.

هذه الّريبةُ فى روحىَ من سرِّ حياتى.
بَعثت وَجْدِى فدبَّ الشوقُ منها فى رُفاتى.
فَجَّرَت أَغْمَض ما أخفيتُ فى جَوْفِ صَفَاتى.

فــإذا وَرْدُكِ نجــوايَ وأشــواكــى شكــاتــى.

اسمعيها ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

أنت!! ما أنت سوى شكّىَ فى طول حنينى.

كلُّ مــا فــيــك مــن الأوهام حقٌّ فى يقينى.

الـمُـنَـى والــوجدُ والصَّبوةُ نبعٌ من ظنُونى.

أنتِ إيـمـانىَ ؛ بـل كُـفـرىَ ؛ بـل أنتِ جُنونى.

أنتِ لا أنتِ ؛ اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تُعودى.

ماسمائـى؟ ؛ هـى إظــلامٌ ورعــدٌ وبُروقُ.

لا أرى نجمـى ولا فيها غروبٌ أو شروقُ.

صَـخَـبٌ يهدِمُ بُنْيانى ؛ ورعـبٌ ؛ وخُفوقُ.

ووميضٌ هـو فى روحى حريـقٌ وفـتـوقُ.

اشهدى ؛ ثم اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

ثــم مــا أَرْضىَ؟ زلـزالٌ وجـدبٌ وصُدوعُ.

ظـمـأٌ يغــتــالُ آمــالــى ؛ وأشــواقٌ تَـلــوعُ.

هــذه الأوهــامُ مـن حـولىَ أطيافٌ تَـروعُ.

أيــنَ؟ لا أينَ ؛ ضلالٌ ؛ بل خِداعٌ ؛ بل هُلوعُ.

أقبلى ثم اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

حَيْرتى فيكِ وفى نفسىَ من طولِ انتظارى.

حَيْرةُ الذرّةِ فـــى الــرِّيح بمجهولِ القفارِ.
تشتـكى للّيـل مـا تلـقاهُ من شمس النَّهارِ.
لا كؤوسُ الغَيْثِ تسـقيها ولا الموتُ يُوارى.

اذهبى ثم اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

أنــا فــى العُــزلــة لا آنَــسُ إلا بــارتيــابــى.
الأفاعى الصُّمُّ والوحشُ الضوارى من صِحابى.
فى دمـى تشتـفُّ أو تنـهـش رُوحى وإهــابـى.
فتـعـالَى ؛ واسـألى كـيـف رأتنى؟... ؛ لاتَـهابى.

اسمعيها ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

كيف لا تأنسُ فى الرِّيبة بنتُ الظُّلُماتِ؟.
مُـهْجتى.. أُمُّ الخصام المُرِّ مهدُ النَّزواتِ .
خُـلِقَت لليأْس والبأس وطَىِّ الحسَراتِ .
وارتكابِ الفرَح النَّشوان فوقَ العَبَرَاتِ .

لا أبالى.. فاذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

ما دمائى.. ؟ هى أشواقىَ من جُرحى تفيـضُ.
شُـعَـلٌ ذابـت مـن اللـذات أو وَجْدٌ غوَيضُ.
ليتها تبقى كما تـبـقـى الأمانـى لا تـغيـضُ.
حَبَّبَ الشـكُّ إلـى قـلبـىَ إيـمانٌ بـغَيـضُ.

أنتِ جُرحى.. فاذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

قد صحبتُ اللَّيلَ ؛ والليلُ اكتئابٌ وارتياعُ.

ظُـلُماتُ الصمتِ لا ينفـذُ فـيهـنَّ شُعاعُ.

حسرةٌ تُطوى على أُخرى وَهَمٌّ وضَـيـاعُ.

وأحاديثُ لـهـا فـى النَّـفـس هَدٌّ ونِـزاعُ.

أَنْصتى ثم اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

قلـتُ : يا نجمىَ ! هذا الليلُ فاسطَعْ وأَعِنِّى.

اِهْدِنِـى.. هـذى فـلاةٌ ودليلٌ ضـلَّ عنِّى.

كـلُّ ما أَخـشـاه أو أرجـوه قد أفلت منِّى.

اهدنى أو لا لقد ضعتُ ؛ فغِبْ يا نجمُ ! إنِّى.

لا أبالى فاذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

أنت يا نجمىَ كالذكـرى عـذابٌ وارتياحُ.

ظَفَرٌ يـخبـو وقـد ضـرَّم آمالى الطِّماحُ.

لكمـا فـى النَّفـس أضواءٌ تُدَمِّيها الجراحُ.

هـكـذا السُّعدُ إذا مـالامَهُ نَحْسٌ مُتاحُ.

أنتِ نجمى ... فاذهبى إن شئت.. لكن لا تعودى.

سـاعةٌ فرَّتْ إلى الذكرى.. إلى غيرِ مآبِ.

تتجلَّى كالخُلود الغضِّ فى بَرْقِ الشَّبابِ.

سـعَّـرَت للرَّاحلِ المُنْبتِّ هَمِّى وطِلابى.
فَهْى تختالُ لتُضْرِينىَ من خلفِ حجابِ.
مزِّقيه ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
هَلَكَ الماضى.. ! أما تهـلـكُ ذكـراه فتفنى؟!.
أَهْـوَ مـالُ الحـىِّ فى دنـياه يحويهِ لِيغْنى؟!.
أم ثمارُ العمر قد أنضجها الشـوقُ لِتُجْنى؟!.
أم هو الشُّحُّ الـذى لَـوَّعَ أرواحـاً وأضْنى؟!.
لستُ أدرى... فاذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
هـذه الساعـاتُ تنسابُ كأَن لم تَكُنِ.
هى كالحيَّات غابَت فى كهوف الزَّمنِ.
رُقيَةُ الذكرى أطارت حيَّةً من وسَنِ.
فأَرتْنى القَـلْبَ نَشْـوانَ بِسُمِّ الفِـتَنِ.
فتنةَ الماضى! اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
أَهِـى الجـنُّ تـجـلَّت لى أرَاهـا وتَـرانـى؟!.
وسوست لى الشكُّ فى صمتك عَنِّى كى أُعانى؟!.
أسمـعُ النَّـبْـأةَ تـأتينى بغـيـبٍ كـالبـيَـانِ؟!.
فَهْىَ حَقٌّ ملء أسمـاعى ؛ وحقٌّ فـى عـيـانـى؟!.
أُصْدُقِينى ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

أَمِنَ الإنسِ تغارُ الجِنُّ؟ أم كيف أَقولُ؟!.
أَهْىَ منهنَّ التى تَخْتِلُ عقلى وتَغولُ؟!.
هذه الأشباحُ فى شَكِّىَ تبدو وتَزولُ؟!.
كُلَّما آمنتُ.. لاريبَ ؛ أتى الريبُ يجولُ؟!.

فإلى الجنِّ.. اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

ذَكِّرى تلكَ التى تُخْفى عذابى واحتراقى.
هىَ أدرى منكِ لا شكَّ.. ولكنى أُلاقى.
اسأليها السِّلْمَ فالسِّلمُ نجاةٌ من فُواقِ.
واذكرا أَنِّى على حربكِما لستُ بباقِ.

ذَكِّريها ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

لا تعودى أحرقَ الشكُّ وجودى.
لا تعودى اذهبى ما شئتِ أنّى شئتِ فى دنيا الخلودِ.
واتركى النارَ التى أوقدِتها تقِضمُ عُودى.
هى بردٌ وسلامٌ يتلظَّى فى بُرودى.

فاسعَدى فى شِقْوةِ الروحِ ولكن.. لا تعودى.

أنا.. لاكنتُ ولا كان قصيدى أو نشيدى.
لوعةٌ تُمْلِى على الأكوان آلامَ العَبيدِ .
أنا فى الرِّقِّ أُعَانى ثَورةَ الحُرِّ العنيدِ .

أَتحدَّاكِ ولكنِّى ذليلٌ فى قُيودى!.

لا تَرِقِّى ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

نَفَثاتُ السِّحْرِ تَنَسابُ الأفاعى فى رُقاها.

هي بنتُ اللَّيلِ والأوهام لكنى أَراها.

كُلَّما نازعتُها السيْرَ رَمَتْنى فى خُطاها.

نفثاتُ السحر ما يفعلُ فى روحى صَداها؟!.

أَنْفثيها ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

هذه الزَّهرةُ من نُضْرتِها نفحُ الجَمالِ.

الشَّذى والحسنُ حُرَّاسٌ على سرِّ الجَمالِ.

أَدْبَلتْها زفزةٌ منى.. ولكن لا أُبالى.

فأنا النَّارُ ؛ وكالنَّارِ ارْتِيَابى واشتعالى.

لا أبالى فاذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى. (١)..

كَفَى حَزَنَاً لِلمَرْءِ مَا عَاشَ أَنَّهُ

.. ؛ بِبَيْنِ حَبِيبٍ لا يَزَالُ يُرَوَّعُ .

فَوَاحَزَنَاً لَو يَنْفَعُ الحُزْنُ أَهْلَهُ

وَوَاجَزَعَاً لَو كَانَ لِلنَّفْسِ مجزَعُ .

---

(١) - من روائع أبى فهر - رحمه الله تعالى - .

فَأَىُّ فُؤادٍ لا يَذُوبُ بِمَا أَرَى ؟!
وَأَىُّ عُيُونٍ لا تَجُودُ فَتَدْمَعُ ؟! .

📖📖📖📖📖

يَقُولُ أَبَعْدَ اليَأْسِ تَبْكِى صَبَابَةً؟!
. ؛ فَقُلْتُ وَهَل قَبْلَ الإِيَاسِ بُكَاءُ ؟!.
أَبْكِى عَلَى مَن لَسْتُ أَرْجُو ارْتِجَاعَهُ
؛ وَأَبْكِى عَلَى أَن لا يَكُونَ رَجَاءُ !!.

📖📖📖📖📖

قَضَى اللهُ يَا أَسْمَاءُ أَن لَسْتُ زَائِلاً
أُحِبُّكِ حتَّى يُغْمِضَ العَيْنَ مُغْمِضُ !!.

📖📖📖📖📖

اذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.
أَنَا غُصْنٌ فِى رِيَاضِ الدَّهْرِ ظَمْآنُ الصَّعِيدِ.
صَوَّحَتْنِى غُلَّةُ الوَجْدِ وَأَجَّت فِى بُرُودِى.
وَمَشَت نَاراً عَلَى أَنْوَارِ زَهْرِى وَوَرُودِى.
فَهَىَ أَلْقَاءٌ عَلَى أَرْضِىَ آثَارَ وَقُودِ !!.
فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.
أَنَا غُصْنٌ كَخَيَالِ السَّيْفِ فِى وَهْمِ الطَّرِيدِ.

نَاحِلُ الشَّخْصِ ؛ قَضِيفُ العُودِ ؛ خُمْصَانُ الغُمُودِ.(١).
لَوَّحَتْنِى وَقْدَةُ الشَّمْسِ عَلَى وَجْهِى وَجِيدِى.
كَم شُعَاعٍ غَارَ فِى قَلْبِىَ كَالسَّهْمِ السَّدِيدِ.
عَبَّ فِى مَائِى !! ؛ فَغَاضَ المَاءُ كَالحُبِّ الشَّرُودِ.

فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.

أَنَا غُصْنٌ شَاخِصُ الطَّرْفِ إِلَى رِىٍّ بَعِيدِ.
أَسَرَابٌ هُوَ أَم مَاءٌ ؟! فَيَا وَيْحَ جُدُودِى.
أَنْبَتَتْنِى ؛ حَيْثُ أَشْتَاقُ إِلَى المَاءِ البَرُودِ.(٢).
هِىَ أَشْوَاقٌ مِنَ المَوْتِ كَأَشْوَاقِ الحَسُودِ.
تَرَكَتْنِى مُوقَدَ الغُلَّةِ كَالصَّبِّ الحَقُودِ.

فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.
أَنَا غُصْنٌ حَائِرُ الأَحْلامِ كَالنَّائِى الشَّرِيدِ.
غُرْبَةُ الرُّوحِ تَهَاوَت بِى إِلَى أَرْضِ الجُحُودِ.

---

(١) - القَضِيف : الدَّقِيقُ العَظْم ؛ القَلِيلُ اللَّحْم ؛ فَهُوَ نَحِيفُ الجَسَد ؛ و ـ الخُمْصَان : الضَّامِر ؛ و ـ الغُمُود : جَمْعُ غِمْد السَّيْف.

(٢) - أَنْبَتَتْنِى جِرَاحِى : اشْتَدَّت إِلَى الغَايَةِ ؛ فَأَعْجَزَتْنِى عَنِ الحِرَاك.

قَدَفَتْنِى هِمَّةُ الأَحْرَارِ فِى ذُلِّ العَبِيدِ.
الصَّدَى ؛ وَالجَدْبُ ؛ وَالغُرْبَةُ !! سَجْنِى وَقُيُودِى.
مَزَّقَت نُضْرَةَ أَيَّامِى بِأَنْيَابِ الخُمُودِ!!.
فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.
أَنَا غُصْنٌ يُفْزِعُ الفَجْرَ بِلَيْلٍ مِن رُكُودِ.
يَتَلَقَّى مَوْلِدَ الشَّمْسِ بِأَحْزَانٍ هُجُودِ.
لَو بَكَى عُودٌ مِنَ الوَحْشَةِ فِى ذُلِّ الوجُودِ.
لأَذَابَت شَخْصِىَ الآلامُ كَالدَّمْعِ البَدِيدِ.
أَنْكَرَتْنِى الشَّمْسُ وَالفَجْرُ وَدُولاتُ العُهُودِ.
فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.
أَنَا غُصْنٌ فَارَقَتْهُ الطَّيْرُ رَبَّاتُ العُقُودُ.(١).

---

(١) - حِينَ بَقِىَ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلام - فِى اللُّجَّةِ أَيَّاماً ؛ بَعَثَ الحَمَامَةَ لِتَنْظُر هَل تَرَى فِى الأَرْضِ مَوْضِعاً يَكُونُ لِلسَّفِينَةِ مِرْفَأً ؛ فَاسْتَجْعَلَت عَلَى نُوحٍ الطَّوْقَ الَّذِى فِى عُنُقِهَا ؛ فَجَعَلَهُ جُعْلاً لَهَا ؛ وَقِيل : إِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَعْطَاهَا تِلْكَ الزِّينَة بِدُعَاءِ نُوحٍ حِينَ رَجَعَت إِلَيْهِ وَمَعَهَا مِنَ الكَرْمِ مَا مَعَهَا وَفِى رِجْلَيْهَا مِنَ الطِّينِ مَا فِيهَا ؛ فَعُوِّضَت مِن ذَلِكَ خِضَاب الرِّجْلَيْن وَطَوْق العُنُق.
وَقَد جُعِلَ الطَّوْقُ هُنَا عِقْداً - أَى فِى هَذَا البَيْت ..

مُسْكِرَاتُ الزَّهْرِ وَالنُّورِ بِأَلْحَانِ النَّشِيدِ.
نَغَمٌ ؛ هَمْسٌ !! كَهَمْسِ الغَيْثِ لِلرَّوْضِ المَجُودِ.
وَشَبَابٌ ضَاحِكُ النُّورِ بِتَرْجِيعٍ فَرِيدِ.
وَأَنَا !! الحَسْرَةُ وَالأَنَّاتُ لَحْنِى وَنَشِيدِى.
فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.
غُصُنٌ عَارٍ... وَأَغْصَانُكِ فِى بُرْدٍ جَدِيدِ.
قَد كَسَاكِ الرِّىُّ وَالنِّعْمَةُ مِن وَشْيِ البُرُودِ.
وَتَحَلَّى عُودُكِ الرَّيَّانُ نُوَّارَ الخُدُودِ.
فَإِذَا النَّشْوَةُ هَزَّتْكِ بِأَنْفَاسِى ؛ فَمِيدِى.
وَإِذَا غَنَّاكِ سَاقِى الطَّيْرِ لَحْنِى أَو قَصِيدِى.
فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.

إِلَى اللهِ كُلُّ الأَمْرِ فِى الْخَلْقِ كُلِّهِ
وَلَيْسَ إِلَى الْمَخْلُوقِ شَىْءٌ مِنَ الأَمْرِ.
إِذَا أَنَا لَم أَقْبَل مِنَ الدَّهْرِ كُلَّ مَا
تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتْبِى عَلَى الدَّهْرِ.
وَوَسَّعَ صَدْرِى لِلأَذَى كَثْرَةُ الأَذَى
وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِى.

يا قلبُ قدْ خانَ مَنْ كلفتَ بهِ
فخلِّ عنكَ البُكاءَ فى أثرهْ
شُغلكَ بالفكرِ فى تغيُّرهِ
أعظمُ ممَّا لقيتَ مِن غِيَرِهْ
فارحل فمن لا يحُلُّ موردهُ
يُفضِ بهِ صفوهُ إلى كَدَرِهْ
وارجع إلى اللهِ فى الأُمورِ فلن
تقدرَ أن تستجيرَ مِن قَدرهْ

ألا يا نسيمَ الرِّيحِ إنْ كنتَ هابطاً
بلادَ سُليمى فالتمس أنْ تكلَّما.
لتَقْرَا علَى ليلى السَّلامَ وأهلِها
وكن بعدَها عن سائرِ النَّاسِ أعجَما.

أَخْلِق بجِسْمِكَ أَن يَبيتَ كَلِيلا
عَن جُهْدِ نَفْسِكَ أَو يَمُوتَ عَلِيلا .
نَهَكَتْهُ نَفْسُكَ فى المَطَالِبِ وَالعُلَى
..... ؛ حَتَّى تَمَنَّى لِلفِرَاقِ سَبيلا .

وَلا عَيْبَ فِى نَفْسِى سِوى فَضْلِهَا ؛ بَلَى
إِقَامَتُهَا فِى أَرْضِ خَارَزْمَ عَابُهَا .
وَتِرْحَالُهَا لَيْسَ اغْتِرَابًا ؛ وَإِنَّمَا
إِقَامَتُهَا فِى النَّاقِصِينَ اغْتِرَابُهَا .
إِذَا قُلْتُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِىَ مَنْطَقِى
شُخُوصٌ بِلا لُبٍّ مُحَالٌ خِطَابُهَا .
فَمَا لَهْجَتِى إِلا صَفِيحَةُ صَارِمٍ
تَضَمَّنَهَا مِن غَيْرِ سَلٍّ قِرَابُهَا .
لَقَدْ فَقَدَتْ خُطَّابَ صِدْقٍ فَعَنَّسَتْ
عَقَائِلُ أَشْعَارِى وَطَالَ احْتِجَابُهَا .
فَلَيْتَ قَضَاءَ اللهِ أَوْجَبَ نَهْضَتِى
فَنَفَّسَ عَن نَفْسٍ بَرَاهَا اكْتِئَابُهَا .

📖📖📖📖📖

فَتَىً خَبُثَت لَهُ الدُّنْيَا وَطَابَا
فَعَاشَ مُعَاقَبًا وَقَضَى مُثَابَا.
وَفِى الأَجْدَاثِ مُتَّسَعٌ لِفَضْلٍ
إِذَا ضَاقَت بِهِ الدُّنْيَا رِحَابَا.

وَمَا سَاءَتْكَ ظَالِمَةً وَكَانَت
بِمَا سَاءَت تُعِدُّ لَكَ الثَّوَابَا.
وَلَم تَعْتَدَّهَا دَارَاً لِخُلْدٍ
فَتَجْزَع مُزْمِعَاً عَنْهَا اغْتِرَابَا.
وَسَرَّكَ هَجْرَهَا مِمَّا تَجَنَّت
وَقَد قَمُنَ الرَّدَى أَن يُسْتَطَابَا.

📖📖📖📖📖

بِرَغْمِ المُنَى ذَاكَ الخِتَامُ المُحَيِّرُ
كِتَابُكَ تَطْوِيهِ وَمُنْعَاكَ يُنْشَرُ .
دَهَاكَ الرَّدَى فِى الرَّائِحِينَ فَرَاعَنَا
... ؛ كَأَنَّكَ غَادٍ فِى الصِّبَا فَمُبَكِّرُ .
يَرَاعُكَ فِى اليُمْنَى وَذِهْنُكَ حَاضِرٌ
وَعَزْمُكَ ذَاكَ العَزْمُ وَالعُودُ أَنْضَرُ .
أَعَن سَبْقِ إِحْسَاسٍ بِمَا كَانَ مُضْمِرَاً
زَمَانُكَ آثَرْتَ النَّوَى حِينَ تُؤْثِرُ ؟!!.

📖📖📖📖📖

طَوَتْكُم يَا بَنِى الدُّنْيَا رِكَابِى
وَحَارَ بِكُم رَجَائِى وَارْتِقَابِى .

حُجِبْتُ بِهِمَّتِى مِن أَن تَرَوْنِى
أُرَاقِبُ مِنْكُمُ رَفْعَ الحِجَابِ .
لَئِن عُـرِّيتُ عَن دُولٍ أَرَاهَا
تُجَدَّدُ كُلَّ يَوْمٍ بِالكِلابِ .
لَقَد خَلَّفْتُهَا بَعْدَ ابْتِذَالٍ
لَهَا وَمَلَلْتُهَا قَبْلَ الذَّهَابِ .

آذَنَت شَمْسُ حَيَاتِى بِمَغِيبِ
وَدَنَا المَنْهَلُ يَا نَفْسُ ؛ فَطِيبِى .
إِنَّ مَن سَارَ إِلَيْهِ سَيُرَنَا ؛
وَرَدَ الرَّاحَةَ مِن بَعْدِ اللُّغُوبِ .